مكتبة
الدراسات الاجتماعية

الخلافة الإسلامية
حتى القرن الرابع الهجري

تأليف

الدكتور شحادة الناطور
الدكتور أحمد عودات
الدكتور جميل بيضون

١٩٩٠م

الناشر
دار الثقافة للطباعة والنشر
ت: ٦٤٦٣٦١ - ص.ب: ١٥٣٢
الأردن
دار الأمل للنشر والتوزيع
الأردن

الطبعة الأولى
١٤١٠هـ - ١٩٩٠م

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدّمة

نضع بين أيدى اخواننا كتاب الخلافة الاسلامية حتى القرن الرابع الهجرى وهو تاريخ أمجادنا وفخر أمتنا على مر العصور ، تناولناهُ وعرضناهُ ببساطة ويسر ، مبتعدين كل البعد عن الاستطراد والتوسع ٠

وتاريخنا هو تاريخ الأمة التى نشأ فيها خاتم الانبياء والمرسلين وهادى البشرية ، فأدى الأمانة ونشر الرسالة ، فكانت خير أمة أخرجت للناس ، تؤمن بالله ورسله وكتبه واليوم الآخر ، وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ـ أمة جمعت بين قوة الايمان وحب العلم ، فنشرت العقيدة ، وأقامت الحضارة فى جو من الحرية والكرامة والاخاء والامن فكانت منارة للعالم أجمع ٠

وشمل الكتاب حياة العرب قبل الاسلام ، ثم ظهور الرسول عليه السلام وأعماله قبل الرسالة وبعدها ، وأثر الاسلام فى النواحي الاجتماعية والاقتصادية والثقافية ، كما تناول الفتوحات الاسلامية والانجازات التى تمت فى عهد بنى أمية وبنى العباس وأشهر المفكرين الذين نبغوا فوهبوا الأجيال تراثا ضخما مليئا بالعناصر الفاعلة والقوى الخلاقة والطاقة المبدعة ٠

والكتاب يركز على دور العقيدة فى تنمية الايمان وعلى انعكاسها فى نفوس أصحابها ، كما يتحدث عن المثل العربية ، ويبرز الدور التاريخى للحضارة العربية الاسلامية ومساهمتها فى بناء الحضارة الانسانية ، كما أنه اهتم بتعميق الايمان بوحدة الامة العربية وتعميق روابط الأخوة مع الأمم

الاسلامية لتكون قادرة للتصدى والرد على المعتدين .

ولما كان من فوائد التاريخ العبرة والعظة وايجاد القدرة على الاستنتاج فما أحوجنا - فى هذه الفترة الزمنية - لقراءة تاريخنا بعمق واستقراء لنتعرف على مواطن الضعف فنحاربها ، ومواطن القوة فنسعى اليها حتى نصبح جديرين بقوله تعالى (كنتم خير أمة أخرجت للناس) ، وهل يمكن أن نكون كذلك ومقدساتنا مغتصبة ؟

ومادة الكتاب أكبر من أن يحيط بها مثل هذا الكتاب المختصر ولكننا حاولنا بقدر المستطاع وأملنا فى سعة صدر الزملاء وحسن تقبلهم وتجاوزهم عما فاتنا ، فيغطون مايشعرون أن الطلاب بحاجة الى مزيد واثراء .

ومهما بذلنا فسيبقى الكتاب ناقصا ، لان الكمال لله وحده ، وأملنا ان لايبخل الاخوة الزملاء بملحوظاتهم علينا حتى نأخذ بها فى المستقبل .

والله نسأل أن يأخذ بأيدينا الى مافيه الخير والصواب

انه نعم المولى ونعم النصير

المؤلفون

١٤٠٩ / ١٩٨٩

أهداف الكتاب

أن يتعرف الطلاب على أنظمة الحكم في الجزيرة العربية والمناطق المجاورة قبل الاسلام من حيث المظاهر السياسية (كندة ، المناذرة ، الغساسنة) المجتمع المكي •

أن يدرك الطلاب جوهر الاسلام وقيام الدولة العربية الاسلامية بقيادة الرسول (ص) •

أن يفهم الطلاب نشوء الخلافة الاسلامية وتطورها حتى نهاية القرن الرابع الهجري •

أن يدرك الطلاب أسباب ونتائج حركة الفتوحات الاسلامية حتى نهاية الفترة الاموية •

أن يدرك الطلاب التنظيمات والمؤسسات في العهدين الراشدي والاموي•

أن يتعرف الطلاب على التجديدات في النظم الأدارية في الفترة العباسية •

أن يدرك الطلاب الأسباب التي أدت الى سيطرة العناصر الأجنبية على الدولة العربية الاسلامية والتي أدت الى نهاية الخلافة كمؤسسة فاعلة •

أن يعرف الطلاب أثر الحركات التي أدت الى أضعاف دولة الخلافة : (الشعوبية ، القرامطة ، الأتراك) •

أن يتعرف الطلاب على الدويلات الاسلامية الأولى : الأمويون في الاندلس الأغالبة ، الطولونيون ، باختصار •

الفصل الأول

دراسة أنظمة الحكم في الجزيرة العربية والمناطق المجاورة قبل الإسلام

- مملكة كندة.
- مملكة الغساسنة.
- مملكة المناذرة.
- مجتمع المدينة.

تمهيد :-

لعبت شبه الجزيرة العربية دورا كبيرا في التاريخ ، فقد خرجت منها الموجات العربية القديمة (١) ، وظهرت فيها حضارة عربية عريقة ، كالحضارة المعينية والسبأية وعلى أطرافها حضارة الانباط ، وتدمر ، والغساسنة والمناذرة ، ثم ظهر فيها الاسلام الذى أنار الطريق لمئات الملايين من البشر ، كما نشر اللغة العربية والحرف العربي ٠ تقع شبه الجزيرة العربية في الطرف الجنوبي الغربي من قارة اسيا ، ويحدها من الشرق الخليج العربي ، ومن الغرب البحر الأحمر ، ومن الشمال الهلال الخصيب (بلاد الشام والعراق)، ومن الجنوب البحر العربي ، فهي بذلك تقع في قلب العالم القديم (قارة اسيا واوروبا وافريقية) ، وكانت ،لا تزال حلقة الاتصال بين الشرق والغرب ٠

والجزيرة العربية هضبة كلسية أعلى جبالها الشراه الممتدة على موازاة الساحل الغربي للبحر الأحمر ، وتقسم الى ستة مناطق :-

١ - **تهامة** :- وهي الساحل الضيق الممتد على ساحل البحر الاحمر وقد سمى بذلك لشدة حرّه وركود ريحه ، وهو لا يصلح للزراعة الا في ساحل اليمن وعسير لسقوط الامطار ٠

٢ - **الحجاز** :- وتسمى بهذا الاسم لأنه يحجز بين تهامة والعروض (٢) ، وهو يمتد من الشمال الى الجنوب حتى اليمن ، وهي جبال قاحلة إلا حول المدينة والطائف فتوجد بعض الينابيع٠

٣ - **نجد** :- وهي أرض مرتفعة تمتد من جنوبي بادية الشام حتى اليمامة وتكثر فيها الواحات واهم جبالها شمر ٠

---

(١) هاجر الاكاديون واستوطنوا العراق حوالي سنة ٣٥٠٠ق ٠م ، والعموريون (الكنعانيون والفنيقيون) الى بلاد الشام حوالي سنة ٢٢٠٠ ق٠م ، والارآميون الذين انتشروا في سوريا وشمال العراق وفلسطين حوالي سنة ١٥٠٠ ق٠م ٠

(٢) الحموى :- معجم البلدان ج٢ ، ص ٦٣ ٠

٤ ـ اليمن :ـ ارض خصبة كثيرة الخير والبركة ، لذلك سميت بهذا الاسم ويقال لأنها تقع على يمين الكعبة ، كما عرفت عند القدماء ببلاد العرب السعيدة ٠

٥ ـ العروض :ـ وتسمى اليمامة ، لانها تعترض بين نجد واليمن [1].

٦ ـ عمان :ـ وتقع في الزاوية الشرقية ، وهي بلاد جبلية خصبة يمر من وسط الجزيرة العربية مدار السرطان ، فهيّ مدارية حارة طوال السنة خاصة في السواحل والصحارى والهضاب وامطارها قليلة ، ولا أنهار فيها دائمة الجريان وانما وديان تتجمع فيها المياه ، كوادى الرمة ووادى الدواسر واسر.أما اليمن فتسقط عليها الامطار الموسمية ، لذلك اختلفت الحياة ، فيها نتيجة الامطار فترى حياة البداوة حيث قلة الامطار ، وتجد الاستقرار ، حياة الحضر حيث الامطار الكثيرة ٠

---

(١) الحموى : معجم البلدان ج٤ ، ص ١١٢ ٠

مملكة كندة

كندة قبيلة عربية تنسب الى ثور بن عفير الذي يرتفع نسبه الى يعرب بن قحطان(١)، وكندة لقب ثور بن عفير . وتعرف كندة بكندة الملوك لان الموك كان لهم على الحجاز عمهم بني عدنان(٢).

تقع بلاد كندة شرقي بلاد اليمن مما يلي حضرموت ، وحاضرتهم مدنية دمون التي ذكرت في شعر امرئ القيس (٣).

انتقلت قبيلة كندة من حضرموت الى أرض معد بنجد ، واستقرت بها . وكان أول ملوكهم مرتع بن معاوية بن ثور فملك عشرين سنة ، وأشهر ملوكهم حُجر آكل المرار (٤٦٠ - ٤٨٠ م تقريبا) وهو ابن عمرو بن معاوية بن ثور ، ولاه حسان بن تبع ملك حمير على مَعُد عدنان فيما يقرب ٤٨٠ م فكان تابع لهم ، كما كان الغساسنة تابعين للروم واللخميون للفرس (٤) ، وهو أول ملوك كندة منذ أن نزل بنجد ببطن عاقل (٥) ، ويعود سبب ذلك أن الفساد كان منتشرا في نجد، فأستنجدوا بتبابعة اليمن فملك عليهم حجر بن عمرو آكل المرار الذي أغار ببكر واعاد ما بأيدى اللخميين من أرض بكر كما أعاد الامن والطمأنينة للجميع مما جعل الناس يلتفون حوله كزعيم سياسى ، وبقى ببطن عاقل حتى مات (٦).

وسمي بأكل المرار ، نسبة لقول جارية كانت قد سُبيت من قبل أحد أمراء غسان حيث قالت ـ كأني بحُجر قد كرّ بكم فاغرا فاه كأنه جمل آكل المرار " ولما لحق بهم على تلك الهيئة سمي آكل المرار (٧).

---

(١) المسعودى:التنبيه والاشراف،ص٢٨٩. ابن خلدون:تاريخ،ج٢، ص ٥٣٦ ، ٥٧٦ ،

(٢) ابن خلدون : تاريخ ، ج١ ، ص ٥٣٦ .

(٣) قال امرؤ القيس:كأني لم ألْهُو بدمون مرةً:ولَمّ اشهدْ الغارات يوماً بِعْنَدلِ.

(٤) حتى : تاريخ العرب المطول ، ص ١٠١ .

(٥) موقع على طريق حاج البصرة بين رامين والبصرة/ ياقوت معجم البلدان .

(٦) ابن الاثير :الكامل ، ج١ ، ص ٣٠٤ .

(٧) الهمذاني : وصف الجزيرة العرب ، ص ٨٦ .

وقد تمكن من توسيع سلطانه في بلاد العرب عن طريق المصاهرة والتحالف ، فقد تزوج ثلاث زوجات (هند الهنود) ، أم انس الشيباني وحميرية ٠

ومن المعتقد أنه توفي في السنين العشر الأخيرة من القرن الخامس الميلادى ودفن في مقر ملكه ببطن عاقل ٠

عمرو بن حجر " المقصور " (٤٨٠ ـ ٤٩٥م تقريبا) :ـ

تولي الملك بعد أبيه ، وعرف بالمقصور لأنه قصر على ملك أبيه ، فلم يتوسع ، بل أن أخاه " الجون " تولى اليمامة ، وبذلك أصبح ملكه قاصرا على مناطق ربيعه ومَعَد في نجد ، ولم يزد عن كونه عاملا للتبابعة في كندة ٠

وكانت علاقة عمرو المقصور باللخميين علاقة مودّة وحسن جوار ، وتعمقت هذه العلاقة الطيبة بزواج الأسود بن المنذر ملك الحيرة من أم الملك بنت عمرو بن المقصور فأنجبت له ابنه النعمان بن الأسود ، [1] ٠

أما علاقة كندة في عهد عمرو المقصور بالغساسنة،فكانت علاقة عدائية ، فيبدو أنه كان يكثر من الاغارة على بلادهم ، فتلقاه الحارث بن أبي شمر الغساني في احدى الغارات وهزمه وقتله [2] ٠

الحارث بن عمرو بن حجر الكندى (٤٩٥ ـ ٥٢٨م) :ـ

هو أكبر أبناء عمرو المقصور من ابنة حسان بن تبع وفقا لرواية ابن الاثير ، وهو أقوى ملوك كندة على الاطلاق وأكثرهم طموحا ، فقد تولى الامارة على معد بعد أن مزقتها حرب البَسُوس التي دامت قرابة أربعين سنة ، ويرى جواد علي أن قبائل معد لم تعترف برئاستة وبتاجه عليها الا لما رأته فيه من القوة ، فرضيت به ملكا ما دام قويا والامر

---

(١) حمزة الاصفهاني : تاريخ سنى ملوك الارض ص ٦٩ ٠

(٢) اليعقوبي : تاريخ ج١ ، ص ١٧٧ ٠

بيديه [1]. وقد نجح الحارث في مد نفوذ كندة حتى الحيرة في الفترة من ٥٢٤ - ٥٢٨م بموافقة كسرى قباذ بن فيروز .

ويبدو ان الاوضاع في العراق أختلفت بسبب سوء العلاقات بين قباذ امبراطور الفرس والمنذر بن ماء السماء بسبب رغبة قباذ تحويل الناس الى المزدكية ، مما جعل الحارث ينتهز الفرصة ، فمد نفوذه في العراق على حساب الفرس بعدما رأى من حالة الضعف التي آل اليها ملوكهم ، فطمع في ضم اقليم السواد ، فأمر عسكره بأن يقطعوا الفرات ويشنوا الغارة على السواد فيما وراء الفرات ، واسترضاه قباذ فأعطاه ستة طساسيج مجاورة للحيرة ، ولما مات قباذ وتولى كسرى أنوشروان كان الحارث بن عمرو يومئذ بالأنبار ، فلما علم اعادة المنذر ابن ماء السماء ثانية الى عرش الحيرة ، انسحب من العراق الى نجد ، فلحق به المنذر بالخيل من تغلب واباد بهراء ، فلحق بهراء به بأرض كلب ، وأخذ قسم من أفراد عائلته و (٤٨) أسرى [2] ، وهكذا حلّت النكبة بعمرو بعد أن وصلت دولته نجد واليمامة ومعظم العراق الجنوبي .

ومات الحارث بعد ان قسم دولته بين أولاده : - فولى حجرا اكبر ابنائه على بني أسد بن خزيمة وغطفان وقيل على بني أسد وكنانه وابنه شرحبيل على بكر بن وائل وبني حنظلة وبني عمرو بن تميم والرباب وابنه معد بن يكرب (ويعرف بغلفاء) على قيس عيلان وطوائف أخرى وسلمة (أصغر أبنائه ، فقد أقامه على تغلب والنمر بن قاسط وبني سعد بن زيد مناه بن تميم [3].

أولاد الحارث بن عمرو ٥٢٨ - ٥٤٠م تقريبا :-

حُجر بن الحارث : كان اكثر أبناء الحارث ذكرا عند الاخباريين ، فهو والد الشاعر امرؤ القيس ، وكان الحارث وقد ولى حُجرا على أسد وكنانة المضريتين ، ولم يكن يسكن بينهما ولكن في

---

(١) جواد علي ، ج١ ، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ، ج٣ ، ص ٢٣٠ .

(٢) ابن الاثير : الكاص ، ج١ ، ص ٢٥٦ .

(٣) المصدر نفسه - ص ٣٠٥ ، ٣٣٢ .

تهامة لاحساسه بكره القلبيلتيين له [1] . وكان يرسل سنويا رُسله لأخذ الأتاوة فلما مات والده رفض بنو أسد دفعها وثاروا عليه، فجهز جيشا وقام بقتل أشرافهم وسيّرهم أسرى الى تهامة ، وكان منهم الشاعر ابن الأبرص الذى استعطفه فرق له وأرسل يطلق سراحهم.

وأتفقت قبائل كنانة وقيس وأسد ضده وهجموا على معسكر حُجر ونهبوه بعد أن اشتبكوا معه في معركة ضارية انتهت بمصرعه [2] .

ـ شرحبيل وسلمة ابن الحارث :ـ

أما شرحبيل فقد ملكه والده على بكر بن وائل ، وحنظلة بن مالك ، وبني أسد والرباب من بني مضر . أى القسم الشرقي من املاك أبيه ما عدا البحرين وملك سلمة على تغلب والنمر بن قاسط ، وسعد بن زيد ومناة . وكانت ديارهم تجاور مضر وربيعة .

ولما لم يستطع المنذر ملك الحيرة من القضاء على أولاد الحارث بن عمرو بالحرب فأتجه نحو الدهاء فعمل بالتفريق عن طريق الدس بينهما . وما زال المنذر يُغرى كلا منهما على محاربة الأخر وأخيرا تم الحرب بين الأخوين وهزم شرحبيل ومن معه ، وفر من أرض المعركة ولحقه ذو السنينة التغلبي وقتله [3] . وقيل عصيم بن النعمان بن مالك التغلبي [4] ، وحزن سلمة على أخيه وأكتشف مؤامرة المنذر الذى أراد أن يقتل الأخوان بعضهما بعضا [5].

وأرسل المنذر ملك الحيرة الى تغلب يدعوهم لطاعته فلما رفضت زحف عليها ، بعد أن تركها سلمة الى بكر بن وائل، فكانت للمناذرة واقعة عرفت باسم : أوارة ، مات فيها خلق كثير من تغلب [6].

---

(1) اليعقوبي ج1 ، ص 178 .

(2) ابن الاثير : ج1 ، ص 305 ، 307 .

(3) ابن الاثير : الكامل في التاريخ ، ج1 ، ص 332 .

(4) ابن خلدون : تاريخ ، ج2 ، ص 572 .

(5) اليعقوبي : تاريخ ، ج1 ، ص 178 .

(6) المرجع نفسه : ص 433 .

ومات سلمة بعد ان اصيب بالفالج [1].

- معد يكرب بن الحارث :-

أغار على فلسطين في عهد والده في حدود سنة ٥٠٢م [2]. ولما مات والده ولاه على قيس عيلان وبقي عليها حتى بعد موت اخوانه ، فأمضى حياته حزينا عليهم فأعتراه وسواس هلك بسببه .

- امرئ القيس بن حجر :-

كان امرئ القيس عندما قتل والده حجر مقيما بدمون من أرض حضرموت [4] ، وكان أبوه غير راض عنه لقوله الشعر ولموقفه من النساء فطرده أنفة ، فأخذ يتجول في بلاد العرب ، ويسير في أحيائهم فأتاه خبر قتل أبيه . وهو في دمون من أرض اليمن ، فلما سمع الخبر قال " ضيعني صغيرا ، وحملني دمه كبيرا ، لا صحو اليوم ، ولا سكر غدا ، اليوم خمر ، وغدا امر " . [5].

أرتحل امرئ القيس ونزل ببكر وتغلب وسألهم أن ينصروه على بني أسد فأجابوه ، وعلم عن طريق عيونه بوجود بني أسد بين كنانة ، فأقبل بمن معه من بكر وتغلب حتى أنتهى الى كنانة وهو يظنهم بني أسد ، وفاجأهم بالهجوم ، فقتل منهم أعدادا كبيرة ، وتمكن بنو أسد من الفرار وانصرف المقاتلون عنه ، فرحل الى اليمن وحل بأزد شنوءه واستنصرهم فأبوا ان ينصروه ، ثم نزل بطرف " مرثد الحميري " ، فأمده بخمسمائة رجل من حمير ، ولكن مرثد مات قبل رحيل امرئ القيس فخلفه " فرمل " فزود امرئ القيس بكل ما يلزمه ، فسار به الى بني أسد ونال أربه . وقتل

---

(١) ابن خلدون : تاريخ ، ج٢ ، ص ٥٧٢.

(٢) جواد علي : المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ج٢ ، ص ٢٤١ .

(٣) ابن خلدون : تاريخ ج٢ ، ص ٤٧٢ .

(٤) ابن قتيبة : الشعر والشعراء ، ص ٥٤ ، الاصفهاني : الاغاني ،ج٨ ، ص ١٣٣ .

(٥) ابن الاثير : الكامل في التاريخ ، ج١ ، ص٣٠٧ .

الأشقر بن عمرو سيد بني أسد [1]، ويبدو أن بني أسد قد احتموا بالمنذر بن ماء السماء فلما ظفر بهم امرئ القيس أراد المنذر أن يثأر منه ، وما زال المنذر يلح في طلب امرئ القيس ، ورغب العودة الى اليمن فخاف حضرموت ، وطلبته بنوا أسد وقبائل معد وتفرق من كان معه من حمير . فنزل هو وجماعة من أهله بالحارث بن شهاب اليربوعي فأودع عنده دروع آكل المرار الخمسة المتوارثة [2]، ولجأ الى طيئ فقامت الحرب بسببه فرحل عن ديارهم ونزل عند رجل من بني فزارة اسمه عمرو بن جابر بن مازن ، فأشار عليه بالذهاب الى السموأل بن عادياء بتيماء ، فنزل عنده ، وأقام امرئ القيس عنده ، ثم طلب منه أن يكتب الى الحارث بن أبي شمر الغساني يوصله الى قيصر (جستنيان) ، ثم عزم الرحيل ، فأودع أهله وأدرعه السموأل وسار الى الحارث ، ويذكر الاخباريون أن امرئ القيس توجه في رحلته الى القسطنطينية ، فمات في طريقه الى القيصر ، وعرف عند العرب بعمرو الضائع لموته وفي غربة غير أرب ولا مطلب [3].

المظاهر الحضارية لكندة :-

لم تكن لكندة حضارة على مستوى حضارة عرب الغساسنة او المناذرة ، ولكنهم احتفظوا بالنظم البدوية في الجزيرة العربية ، فلم تكن لهم حواضر ثابتة ، وانما كانوا ينتقلون بين الجنوب والشمال ، وكان ملوكهم محاربين مهرة يعتمدون على استنفار القبائل .

لم يحاول الكنديون في تنظيمهم السياسي أن يغيروا النظم السياسية القبلية ، فتركوا كل قبيلة تحتفظ بتنظيماتها وتقاليدها بل ورؤسائها مكتفين بالاعتراف برئاستهم العليا وبذلك كوّنوا نوعا من الاتحاد كان برئاسة وتنظيم وتوجيه كندة ، و هذا أدى الى نشر الأمن والسلم والحد من الخصومات والحروب الطاحنة في الداخل وتم توجيه قوة الاتحاد الى الخارج فامتد نفوذهم الى الحيرة والى فلسطين وبمعنى أخر كان لوحدتهم حساب من قبل الدول المجاورة ، ولما انقرضت دولة

---

(١) اليعقوبي : تاريخ ، ج١ ، ص ١٧٩ .

(٢) الاصفهاني : الاغاني ، ج١ ، ص ٣٠٨ .

(٣) الاصفهاني : الاغاني ، ج١٦ ، ص ٣٣٦ .

كندة تفككت القبائل البدوية وأخذت تحارب بعضها مما أدى الى اضطراب الامن ولنظام ثانية [1].

وكان الكنديون يعيشون في قباب من النسيج او فساطيط على عادة البدو [2] ، واشتهر منهم مهرة الصياديين ، وكبار الشعراء امثال امرئ القيس بن حجر ، ومعد بن يكرب بن الحارث .

لم يعرف الكنديون ديانة واحدة بينهم ، ولكن انتشرت بينهم ديانات عدة . فقد عبد الكنديون الاوثان ومن اصنامهم : ذو الخاصة، وكان مروة بيضاء منقوش عليها كهيئة التاج [3] ، وكانوا عندما يقدمون على عمل يستقسمون عنده بالأزلام ، وكان هناك صنم التاج [4] وكانت له ثلاثة اقداح : الآمر ، والناهي ، والمتربص ، وانتشرت اليهودية انتشارا محدودا وأنتقلت اليهم بمجاورة اليهود لبني كنانة في يثرب وخيبر ومن اتصال كندة بالتتابعية في العهد الاخير وتبعيتهم لهم ، وكانت المسيحية اكثر انتشارا في نجد من اليهودية وكان بنو تغلب وجماعة من بني أسد من نصارى العرب .

الغساسنة :ـ

سموا بالغساسنة نسبة الى ماء شربوا منه بأرض اليمن ، وفي ذلك يقول حسان بن ثابت الانصارى : ـ

امّا سألت فانّا معشر نُجُبٌ الازد نسبتنا ، والماء غسانُ [5]

وقد هاجر الغساسنة من اليمن بعد خراب سد مأرب ،وغلبوا من بالشام من العرب ، فملكها الروم على العرب [6] ، فكان أول من ملك من ملوك غسان بالشام الحارث بن عمرو بن عامر ثم ملك بعده الحارث بن ثعلبة بن عمرو ، والنعمان بن الحارث ، ثم المنذر أبو شمر بن الحارث ، ثم عوف بن أبي سمر ، ثم ملك بعد ، الحارث بن أبي شمر ، فكان ملكه حيث بعث رسول الله صلى الله

---

(١) عبدالعزيز سالم : تاريخ العرب في عصر الجاهلية ص ٣٣٤ .

(٢) صالح أحمد العلي : محاضرات في تاريخ العرب ، ص ٩٢.

(٣) ابن الكلبي : كتاب الاصنام ، ص ٣٤ .

(٤) موضع بين مكة واليمن .

(٥) المسعودى : مروج الذهب ، ج٢ ، ص١٠٧ .

(٦) القلقشندى : نهاية الارب ص ٢١.

عليه وسلم وكان آخر ملوكهم جبلة بن الأيهم [1]. وكانت ديار ملوك غسان باليرموك والجولان وغيرهما من غوطة دمشق وأعمالها ، ومنهم بمن نزل الاردن من أرض الشام .

وجبلة بن الايهم هو الذى حدثت في عهده معركة اليرموك سنة ١٣هـ بين المسلمين والبيزنطيين ، وبانتصار المسلمين دخل الغساسنة تحت سيطرة المسلمين .

وقد السلم جبلة ثم ارتد خوفا من العار واللطمة ، فحينما لطم رجل في سوق دمشق فحكم أبو عبيدة بن الجراح أن يلطمه الرجل بدلا من لطمته فخرج جبلة الى أرض الروم وتنصر [2].

وقد كان الغساسنة كالمناذرة يقومون بدور حماية حدود الدولة البيزنطية من هجمات القبائل العربية والفرس .

ومن أشهر معاركهم مع المناذرة يوم حليمة سنة ٥٤٤م [3].

ازدهرت بلادهم كثيرا ، فكان في حوران اكثر من ثلاثمائة مدينة وقرية، ووفد على بلاطهم عدد من الشعراء كالنابغة وحسان بن ثابت .

حضارة الغساسنة :-

كانت ديار غسان تمتد ما بين الجولان واليرموك [4]، فكانت الجولان قاعدة لملك الغساسنة ، ومعسكرا لهم في بلاد الشام ، واتخذ الغساسنة الجابية مركزا لامارتهم ، وهي تقع شمال حوران ، بالقرب من مرج الصفر .

وتأثرت حضارة الغساسنة بالحضارتين الساسانية والبيزنطية ، وحضارتهم تتفق مع الحضارة الأموية لأن جذورها من الحضارتين السابقتين ، وهذا ما جعل علماء الاثار يرتبكون في نسبة بعض الاثار العربية بالبادية (قصر المشتى ، الطوبة) فحينما ينسبونها الى بني أمية والبعض الأخر ينسبها

---

(١) ابن قتيبة :- المعارف ص ٢٨١ .

(٢) فليب حتى :- تاريخ العرب مطول ص ١٠٢.

(٣)فليب حتى :- تاريخ العرب مطول ص ٨٩.

(٤) المسعودى ، مروج الذهب ، ج٢ ، ص ١٠٩ .

الى الغساسنة [١].

استغل الغساسنة المياة في حوران والمتدفقة من أعلى الجبال ، فاشتغلوا بالزراعة ، فعمرت القرى والضياع ، بحيث زاد على ثلاثين قرية ، وأقاموا الأبنية الفخمة من قصور وقناطر وأبراج ، ولعل قصر المشتى الذى يرجع بناؤه الى القرن الخامس الميلادى متأثر بفن العمارة الساساني ، الذى كان يمارسه عرب الحيرة [٢]، وكذلك الأمر بالنسبة لقلعة القسطل المجاورة لهذا القصر والتي ينسب بناؤها الى جبلة بن الحارث .

ولعل ما يدل على ما وصلوا اليه من ترف ما وصف الشاعر حسان بن ثابت مجلس جبلة بن الايهم أيام كان أميرا :-

" لقد رأيت عشر قيان ، خمس روميات يغنين بالرومية بالبرابط [٣] وخمس يغنين غناء أهل الحيرة ، وأهداهن اليه اياس بن قبيصة ، وكان يفد اليه من يغنيه من العرب من مكة وغيرها ، وكان اذا جلس للشرب ، فرش تحته الآس والياسمين وأصناف الرياصين ، وضرب له العنبر ، والمسك ، في صحاف الفضة والذهب ، وأتى بالمسك الصحيح في صحاف الفضة و وأوقد له العود المندى لمن كان شاتيا ، وان كان صائفا يكن بالثلج ، وأتى هو وأصحابه بكساء صيفية ينفصل هو وأصحابه بها في الصيف ، وفي الشتاء الفراء الفنك وما أشبهه ولا والله ما جلست معه يوما قط الآ خلع علي ثيابه التي عليه في ذلك اليوم،وعلى غيرى من جلسائه ، هذا مع مسلم عمن جهل وضحك وبذل من غير مثله مع حسن وجه وحسن حديث [٤]:-

المناذرة (اللخميون) :-

مؤسس دولتهم مالك بن فهم بن غنم بن دوس من الأزد ، وملك بعده ابنه جذيمة (الوضاح) ، وقد اسسها في شمال شرق الجزيرة العربية (العراق) ، وقد ظهرت دولة المناذرة في بداية القرن الثالث الميلادى، وقد هاجر المناذرة من اليمن بعد خراب سد مأرب [٥]. وقد كانت نهاية جذيمة على يد الزباء (زنوبيا) ملكة تدمر ، عندما وقع في غرامها فأرسل اليها يخطبها، فوافقت على ان

---

(١) Creswell:Early Muslim Architecture,Vol I,P 390.

(٢) ارنست كونل: الفن الاسلامي ، ص ١١ ٠ آلة موسيقية ٠

(٣) الاصفهاني : الاغاني ، ج١٦ ، ص ٢٦ ، أحمد أمين : فجر الاسلام ، ص ٢١ ٠

(٤) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ج١ ، ص ٦٥٥٠

(٥) حمزة الاصفهاني : تاريخ سني ملوك الارض ص ٨٣ ٠

يحضر اليها ، ولشدة حبه لها ، سار اليها ، فغدرت به وقتلته(١)٠ فتولى من بعده ابن اخته عمرو بن عدى الذى صمم على الأخذ بثأر خاله من الزباء ، وقد اقتص بالحيلة منها وقتلها (٢)٠ وخلف عمرو عدة ملوك من أشهرهم المنذر بن ماء السماء ، والنعمان بن المنذر (٣)، وكان أخر ملوكهم النعمان الثالث الذى اودع درعه وعياله عندها اتى بن مسعود الشيباني ، الذى انتصر على الفرس بمساعدة القبائل العربية في معركة ذي قار سنة ٦١٠م٠ (٤)

كان المناذرة يتكلمون اللغة العربية ، وكان بلاطهم ملتقى شعراء الجزيرة العربية كعمرو بن كلثوم وطرفة بن العبد٠ وكان المناذرة طيلة عهدهم تحت السيطرة الفارسية ، ومهمتهم حراسة الحدود الفارسية من اعتداء القبائل العربية وهجمات الروم ، أو بمعنى أدق ليكون المناذرة خط الدفاع الأول ضد أى هجوم رومي على بلاد فارس ٠

ومن هنا يتبين أن سياسة الدول الكبرى لا تتغير بتغير العصور والازمان ، فهي تعمل دائما لتسخير الدول الصغيرة لمصالحها ولتحقيق اهدافها ٠

لقد حدثت حروب طويلة ، ومريرة بين المناذرة وأبناء عمومتهم الغساسنة في بلاد الشام والذين كان دورهم أيضا خدمة الروم ٠

---

(١) السعودى : بروج الذهب ج٢ ، ص ٩٥٠

(٢) ابن قتيبة : المعارف ، ص ١٨٢٠

(٣) ابن الاثير : الكامل، ١/٣٥١٠

(٤) حمزة الاصفهاني: تاريخ سني ملوك الارض، ص ٩٥٠

حضـــارة المنـــاذرة :-

ازدهـــرت الحضـــارة في عاصمـــة المنـــاذرة ، الحيـــرة ، فتقدمـــت فيهـــا الناحيـــة العلميـــة اذ كانـــت تزخـــر بمعاهـــد العلـــم مدارســـه ، حيـــث تلقـــى عدد من العلمـــاء المعرفة كالمرقـــش الاكبـــر [1] وبشـــر بن عبـــد الملـــــــك الكنـــدى صاحـــب دومـــة الجنـــدل حيـــث تعلـــم الخـــط العربـــي فيهـــا ، وفيـــها تعلـــم الكتابـــة سفيـــان بـــن أميـــة بـــن عبـــد شمـــس ، وأبـــو قيـــس بن عبـــد منـــاف بـــن زهـــرة [2] ، ويعتبـــر البعـــض الخط الحيـــرى هـــو أســـاس الخـــط العربـــي ، لأنـــه أقـــدم أشكـــال الخـــط العربـــي [3] ، وان كـــان يـــرى أخـــرون أن الخـــط النبطـــي هـــو الـــذى تطـــور فأصبـــح الطابـــع العربي الاصيل [4].

وقـــد كـــان لموقـــع الحيـــرة واحتكاكهـــا بالشعـــوب الاخـــرى أثـــر مـــن الناحيـــة الثقافيـــة ، فقـــد تأثـــرت بالثقافـــات الفارسيـــة والسريانيـــة واليونانية، فتسربـــت علـــوم ومعـــارف هـــذه الثقافـــات الى أهلهـــا .

وكـــانـــت الحيـــرة ملتقـــى شعـــراء العـــرب قبـــل الاســـلام ، فوفـــد اليهـــا معظـــم شعـــراء المعلقـــات ، وظهـــر فيهـــا من الشعـــراء : عدى بن زيـــد العبادى ، وايـــاس بن قبيصـــة الطائـــي وغيرهـــم .

وكـــان الطـــب متقدمـــا في الحيـــرة ، فقـــد تعلـــم فيهـــا عـــدد من حكمـــاء العرب وفي مقدمتهـــم ، الحارث بن كلـــــــده ، واستمـــرت على شهرتهـــا في العهـــد الاسلامـــي .

وقـــد اشتغـــل المنـــاذرة في رعايـــة المواشـــي الى جانـــب الزراعة فقـــد كانـــت لهم مـــزارع النخيـــل والبساتيـــن على ضفـــاف دجلـــة والفرات ، وركبـــوا السفـــن في الفـــرات وطافـــوا البحـــار فوصلـــوا الهنـــد والصيـــن ، مما أعـــاد عليهم

---

(١) الاصفهـانـي : الاغاني ، ج٣ ، ص ٥٧٩.

(٢) البلاذرى : فتوح البلدان ، ص ٥٧٦.

(٣) عبد العزيز سالم : تاريخ الدولة العربية ، ص ٢١٢ .

(٤) سالم : المرجع نفسه ص ٢١٣ . أحمد أمين : فجر الاسلام ، ص ١٨ .

بالاموال الوفيرة التي انعكست عليهم في حياتهم فاتخذوا في دورهم نفيس الاثاث ، [1]، واستعملوا الاواني الفضية والذهبية للأكل [2] ، واتخذوا البخور والطيوب في المجامر قبل النوم [3].

وتقدمت الصناعة في الحيرة ، ومن أهم الصناعات صناعة النسيج وخاصة الحرير والكتان والصوف ، واشتهرت الحيرة بالآزياء كالطيلسان واليلمق والسيراء [4].

واشتهرت الحيرة بصناعة الاسلحة من سيوف ونصال للرماح، وهناك صناعة التحف المعدنية والحلي وأدوات الزينة من ذهب وفضة ، وقد ذاعت شهرة الخزف الحيرى وصناعة الجلود والدباغة والتحف المصنوعة من العاج .

أما فن العمارة ، فقد أخذ أهل الحيرة هذا الفن عن الفرس بحكم المجاورة ولكنهم طوّروه بحيث أبعدوه عن أصوله الاولى ، وأصبح الطراز الحيرى في فن البناء طرازا فائقا وقد ظل هذا الطراز معروفا حتى العصر العباسي ، فكان الرواق والكمّان ، ميمنة وميسرة ، والرواق [5] ، ومن هنا اشتهرت الحيرة بقصورها التي ضربت الامثال في عظمتها مثل : قصرى الخورنق ، والسدير وبأديرتها التي أقيمت منذ انتشرت المسيحية بين سكانها وأشهرها : دير اللبح ، ودير مارت مريم ، ودير هند الكبرى ، ودير هند الصغرى ودير يمني مريتا ، ودير الجماجم ، ودير عبد المسيح .

وقد قامت البعثة الأثرية في اطلاب الحيرة فوجدت جدران الكنائس مكسوة بكسوة جبصية نقشت فيها زخارف نباتية تتحلى فيها التقاليد البيزنطية والساسانية ، وكما وجدت زخارف مدهونة في الجدران بالألوان الزاهية ، وعثر على رسوم تخلو من صور الانسان

---

(1) الاصفهاني : الاغاني ، ج2 ، ص 54 .

(2) المصدر نفسه ، ج9 ، ص 247 .

(3) المصدر نفسه ، ج16 ، ص 203 .

(4) يوسف غنيمة : الحيرة ، ص 82 .

(5) المسعودى : مروج الذهب ، ج4 ، ص 87 .

والحيوان [1].

وقد وصفت الحيرة عند الاخباريين بالبياض ، فقالوا الحيرة البيضاء ، تعبيرا عن عمارتها ووضوح اللون على سائر ابنيتها ، كما وصفوها بالامتداد والاتساع : فقالوا : الحيرة الروحاء [2].

أما ديانة أهل الحيرة : فقد تعددت :- فمنهم من عبد الاصنام، وعرف عندهم صنمان يعرفان بالضيزنين ، وهناك صنم يقال له سيد ، ومنهم من كان يعبد العزى ، ومن اهل الحيرة من عبد القمر ، وأخرون مجوس ، وعندما تنصر النعمان بن المنذر نبذ عبادة الاوثان وبنى الكنائس وكان معظم نصارى الحيرة اما يعاقبة اونساطره [3].

عرب الحجاز [4] :-

لم تقم في الحجاز دولة أو حكومة ، مركزية تبسط سلطانها وحمايتها على السكان ، كما كان الحال في اليمن ، ويعود سبب ذلك لظروف الحجاز الاقتصادية ٠

لقد كانت القبائل العربية في الحجاز تقوم على الحرية المطلقة وهي تبعا لذلك ليست مضطرة للتنازل عن حريتها لأحد ، فالقبيلة تعتبر وحدة سياسية مستقلة ، وشيخ القبيلة الذى كانت تؤهله لمنصبه ،مواصفات خاصة ، مثل أن يكون كبير السن وقورا جوادا ، كثير المال والاولاد ، صاحب مروءة وشرف ونجده حكيما في تصرفاته ، شيخ القبيلة هذا كان يمارس سلطة على افراد القبيلة قائمة على العرف والتضامن والعصبية ٠

فأفراد القبيلة جميعا متضامنون في السراء والضراء وقانونهم التقليدى : أنصر أخاك ظالما أو مظلوما [5].

---

(١) عبد العزيز سالم : تاريخ الدولة العربية ، ص ٢٢٦ ٠

(٢) ياقوت : معجم البلدان ، مادة الحيرة ، ص ٢٢٨ ٠

(٣) يوسف غنيمة : الحيرة ، ص ٣٦ ٠

(٤) العبرى : تاريخ الرسل والملوك ، ج١ ، ص ٦٢٥ - ٦٢٦

(٥) بروكلمان : تاريخ الشعوب الاسلامية ج١ ، ص ١٦

فلما جاء الاسلام أنقذهم من هذا التمزق وخلصهم من عبادة الأحجار التي لا تضر ولا تنفع ، فصقل نفوسهم وهذبها ونظم الفكر الديني عندهم ، ودعاهم الى وحدانية الله وأنار عقولهم بالقرآن الكريم الذى أصبح لهم دستورا وشرعاً ، فبين لهم أركان الايمان وأوجد بينهم الفضيلة ، فَعَلت، أرواحهم بذلك عن الخرافات ، وتفتحت بذلك عقولهم الى نور الاسلام ، فأصبحوا شعلة متحمسة يتسابقون لنشر هذا الدين متحدين تاركين وراءهم مخلفات الماضي البغيض ، متجهين الى الأمام لبناء مستقبل جديد تسوده المحبة والاخوة الاسلامية لا يفرقهم دين ولا جنس ولا قبيلة ، كلهم قلب واحد، ودين واحد واله واحد ، فكان نصرهم وكان عزهم ومجدهم •

والعلاقات بين القبائل كانت تتراوح بين العداء والصداقة تبعا للظروف ، ولكن الطابع العام كان ينزع نحو العداء لطبيعة الحياة نفسها وقسوتها ، وما كانت تفرضه من صراع حول مصادر المياه والكلأ •

وكان اقليم الحجاز أقل الأقاليم العربية شهرة قبل ظهور الاسلام ، والسبب فى ذلك يرجع الى الحياة البدوية ، وطبيعة الحياة القاسية وهذا ما أبعد عنه طمع الدول الاستعمارية في ذلك الوقت كما حدث في اليمن •

ولكن هذا الاقليم قدر له أن ينتقل الى دور الزعامة والشهرة على مستوى العالم كله بفضل الاسلام ففي الحجاز ولد الرسول صلى الله عليه وسلم ، وفيه نزل عليه الوحي ، وأشرق نور الاسلام الذى عم العالم كله ، وتأسست الدولة الاسلامية ، والحضارة الاسلامية التي أثرت الفكر البشرى على مدى قرون عديدة •

مجتمع مكة المكرمة :ـ

ان مكة ترتبط وتشتهر بقصة ابراهيم واسماعيل عليهما السلام ، والقصة تقول : ان ابراهيم ذهب بابنه اسماعيل ومعه أمه هاجر الى الحجاز ، واسكنهما بوادي غير ذي زرع ، وتركهما ، ولما نفذ الماء الذى كان معها عطش ابنها اسماعيل ، فأخذت تبحث عن الماء في هذا المكان الذى لا ماء فيه ، وأخذت تهرول بين الصفا والمروة وعندما اكملت الشوط السابع تفجر الماء من المكان الذى سمي بئر زمزم وأصبح سعيها هذا شعيرة من شعائر الحج (1).

جاءت القبائل العربية تطلب من هاجر السماح لهم بالانتفاع بهذا الماء فرحبت بهم ، وكانت هذه القبائل هي قبائل جدهم ، الذى تزوج منهم اسماعيل وانجب أولاد ، اجداد العرب (2).

وبدأ العمران يتسع حول زمزم ، وبدأت مكة تظهر الى الوجود بعد أن أمر ابراهيم في احدى زياراته لابنه اسماعيل ان يبني الكعبة المشرفة وهي عبارة عن بناء مكعب الشكل تقريبا (3). ومنذ بناء الكعبة لم تصبح ملكا للجرهميين وحدهم ، وأنما أصبحت مكانا مقدسا للعرب جميعا ، لا يستطيع أحد أن يمنع أحدا من زيارتها والطواف بها ، بل ان العرب الذين كانوا في حروب لا تكاد تنقطع فيما بينهم احتراما منهم للكعبة وقد حرموا القتال في أشهر الحج

---

(1) ابن الاثير : الكامل في التاريخ ج1 ، ص103، القلقشندى :نهاية الارب في معرفة انساب العرب ص 210.

(2) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ج1 ، ص 152.

(3) الأزرقي : أخبار مكة ص 64 .

وهي ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ٠

كما حرم القتال في شهر رجب لأنهم كانوا يكثرون من العمرة في ذلك الشهر وقد احترم الاسلام هذا التقليد العربي ٠

كان من الطبيعي أن يهتم سكان مكة بأمرها ، وبتوفير الحماية والرعاية والأمن للحجاج الذين يأتون اليها ، وقد كان اسماعيل عليه السلام يقوم مع أصهاره من قبيلة جرهم بهذه الامور ، فاضطلع هو وابناؤه بخدمة البيت وأمور الدين وترك لأصهاره أمور السياسة والحرب ٠ واستمرت قبيلة جرهم تقوم بهذه الأمور حتى انتزعت منها قبيلة خزاعة السيادة ، والسلطان في مكة وكان هذا حوالي نهاية القرن الثالث قبل الميلاد ، وظلت كذلك حتى حوالي منتصف القرن الخامس الميلادى حينما انتقلت الزعامة في مكة الى قبيلة قريش على يد زعيمها قصي بن كلاب بن مرة الجد الرابع للنبي صلى الله عليه وسلم٠

قصي بن كلاب :- (١)

كان قصي قد تزوج من ابنة زعيم خزاعة وصاحب السلطان في مكة ٠ ومنذ وفاة صهره استطاع أن ينفرد بالسلطان في مكة ليؤسس زعامة قبيلته قريش على مكة ، تلك الزعامة التي استمرت حتى ظهور الاسلام ٠

أخذ قصي يرتب الاوضاع في مكة ، فبدأ بتأسيس دار الندوة يجتمع فيها كبار القبيلة وأعيانها بزعامة قصي للتشاور في أمورهم

(١) قصي بن كلاب واسمه زيد وكان يسمى بجمعا لانه جمع قبائل قريش من خزاعة وانزلها مكة ٠ ابن قتيبة : المعارف ص ٣٢ ٠

وأمور الكعبة ، ومن خلال مشاوراته مع رؤساء قومه رتب وظائف الكعبة الدينية ٠

١ ـ **السقاية** :ـ وهي توفير الماء للحجاج وكانت مهمة شاقة خصوصا بعد ردم بئر زمزم ، وظلت بئر زمزم مطمورة حتى أعاد حفرها غبد المطلب بن هاشم جد النبي صلى الله عليه وسلم ٠

٢ ـ **الرفادة** :ـ وهي تقديم الطعام للفقراء من الحجاج وقد ألزم قصي نفسه بذلك وكانت قبيلته تساعده في القيام به ٠

٣ ـ **اللواء** :ـ وهي راية الحرب ، وكان يتبع اللواء قيادة الحرب ٠

٤ ـ **الحجابة** :ـ وهي سدانة الكعبة وخدمتها وتولي مفاتيحها ٠

٥ ـ **الندوة** :ـ وهي رئاسة الجلسات في دار الندوة ٠

تولى قصي هذه الوظائف والمهام في حياته وبعد وفاته انتقلت الى ابنه الاكبر عبد الدار ولم ينازعه عليها أخوه الأصغر عبد مناف ٠ (١)٠

ولكن عندما توفي عبد الدار تنازع ابناءه وابناء عبد مناف على هذه الوظائف الدينية ، وكادت أن تقع الحرب بينهم ، وانتهى الموضوع الى تقسيم أمور الكعبة بين أبناء عبد الدار وعبد مناف فأعطيت السقاية والرفادة لأبناء عبد مناف وتركت الحجابة واللواء والندوة لبني عبد الدار (٢)٠ وتولى هاشم بن عبد مناف السقاية والرفادة وتولاها بعده، أخوه المطلب وبعد وفاته تولاها ابن اخيه عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ٠

---

(١) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، ج٢ ، ص ٢٦٠ ، ٠

(٢) ابن الاثير : الكامل في التاريخ ج٢ ، ص ٢١ ٠

لقد أصبحت مكة مركزا تجاريا ممتازا ، فتحولت اليها التجارة التي كانت تمر باليمن بعد تدهور أحوالها واحتلال الاحباش لها ، وكانت محطة كبيرة للقوافل التجارية التي كانت تأتي اليها من كل صوب وازدهرت اسواقها التجارية وبرع في التجارة رجالها وكان لهم فيها نشاط كبير ٠

واشتهرت مكة برحلاتها التجارية الى البلاد المختلفة ٠ وكانت لها رحلتان شهيرتان احداهما في الشتاء الى اليمن والاخرى في الصيف الى الشام ، ويقال ان الذى سن هذه الرحلات التجارية هاشم بن عبد مناف جدالنبي عليه الصلاة والسلام ٠

وقد جنت قريش من هذا النشاط التجارى أرباحا كثيرة وأصبح أهلها خبراء في ميدان التجارة وعلى درجة كبيرة من الثراء الذى أدخلهم في حياة الترف والنعيم ٠

٢ ـ الحالة السياسية :ـ

كانت كل قبيلة عربية في الجزيرة العربية تؤلف ما يشبه الدولة في وقتنا الحاضر ، فكل قبيلة لها أميرها أو شيخها وهو بمثابة رئيس الدولة يحل المشاكل ويخطط لقبيلته في وقت الحرب والسلم ، (١) ويعاونه وجهاء القبيلة وكبار السن ، يستشيرهم في معظم الامور ٠

اما افراد القبيلة من الرجال يشكلون الجنود للقبيلة للدفاع عنها والغزو والاغارة على القبائل المعادية ٠

ويختار أمير القبيلة عادة من اكبر افراد القبيلة سنا واكثرهم مالا ، وأقواهم عصبية وجاها كانت القبائل العربية تعتمد

(١) بروكلمان : تاريخ الشعوب الاسلامية ج١ ، ص١٧ ٠

في دخلها على ما تحصل عليه من غنائم من القبائل الاخرى اذ تعتبره جزءا هاما من الدخل فنشأت بين القبائل الخلافات والنزاعات، والتي أدت الى الحروب والمعارك الطويلة والمريرة ، وكثيرا كانت تقع هذه الحروب لاتفه الاسباب وقد دعيت هذه الحروب بأيام العرب في الجاهلية ٠

أيام العرب في الجاهلية المشهورة :ـ

١ ـ البسوس :ـ سميت بهذا الاسم نسبة الى البسوس بنت منقذ بن عمرة (١) ٠

وقعت هذه الحرب بين قبيلتي تغلب وبكر ابني وائل بن ربيعة، واستمرت أربعين سنة ، وقد ضرب بها المثل لشدتها ٠

وسبب الحرب المباشر هو عندما أصبح كليب وائل بن ربيعة زعيم قبيلة تغلب زعيما لقبائل معد ومن بينها قبيلة بكر بعد تحريرها من حكام اليمن (٢) أصابه الغرور وطغى وتجبر وكان كليب متزوجا خليلة بنت مرة بن ذهل زعيم قبيلة بكر ، وهي أخت جساس بن مرة (٣)٠

لقد حمى كليب أرضا من العالية في أول الربيع ، ثم ان رجلا يقال له سعد الجربي نزل عند البسوس بنت منقذ بن عمرو خالة جساس بن مرة ، وكانت للجربي ناقة اسمها سراب ترعى مع ابل جساس ، فاعترض كليب عليها ، ولكن جساس اصر على أن ترعى ناقة الجربي مع

---

(١) ابن عبد ربه : العقد الفريد،جه ص ١١٤ ٠

(٢) ابن العديم : بغية الطلب في تاريخ حلب ج٣ (مخطوط) ص ٥٧٩ ٠

(٣) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ج٤ ، ص ٣٠١ ٠

ابلـه فأدى ذلـك الاصرار والعنـاد على ضـرب الناقـة في ضرعهـا من قبـل كليـب ، ولمـا علـم جسـاس بمـا فعـل كليـب تأثـر كثيـرا ، واعتبـر هـذا العمـل موجهـا اليـه ، فأصـر علـى قتـل كليـب انتقامـا منـه لفعلته ، فأخـذ يترصـد بكليـب ، وينتظـر خروجـه ، وعندمـا خـرج كعادتـه تبعـه حتى انفـرد بـه فطعنـه من الخلـف فأرداه قتيـلا ٠ [1].

أمـا سبـب الحـرب غيـر المباشـر فهـو بغي وظلـم كليـب ، وتحكمه، واعتـداده بنفسـه ، ممـا أوجـد الحقـد والكـره لـه ٠

طالـت الحـروب بين تغلـب وبكـر ، وكثـر القتـل بين القبيلتيـن في المعـارك الشديـدة ومن أشهـر هـذه المعـارك : النهـي ، الذنائـب ، يـوم واردات ، يوم عنيـزة ، يـوم الحنـو ، وضريسـة ، والقصيبـات وكان النصـر في هـذه المعـارك كلهـا لتغلـب [2].

لكـن قبيلـة بكـر انتصـرت في يـوم تَحْـلَاقِ اللِّمِم ، وكثـر فيهـا من بني تغلـب ، فأخـذ التغلبيـون يفكـرون في انهـاء الحـرب واحـلال السلام بين القبيلتيـن ، فراسلـوا بكـرا في ذلـك ، فاستجابـوا لرغبتهـم وانتهـت هـذه الحـرب ٠ على يد قيس بـن مـرة بـن همـام ٠

٢ ـ يوم داحـس والغبـراء [3]:ـ

وقعـت هـذه الحـرب بيـن عبـس وذبيـان ابني بغيض بن ريث بـن غطفـان ، واستمرت اواصـر هـذه الحـرب أربعيـن سنـة لم تنتـج لهم ناقـة ولا فـرس لانشغالهـم في الحـرب ٠

---

(١) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ج٤ ، ص ٣٠١ ٠

(٢) النويرى : نهاية الارب في فنون الادب ج ١٥ ، ص ٤٠٣ ٠

(٣) ابن الاثير : الكامل في التاريخ ج١ ، ص ٥٦٦ ٠

وداحس والغبراء :- اسما فرسين لقيس بن زهير سيد بني عبس ، وكان يلقب بقيس الرأي لجودة رأيه [1].

وسبب هذه الحرب رهان بين حذيفة بن بدر وقيس بن زهير، فكان لقيس داحس والغبراء ولحذيفة الخطار والحنفاء .

كان الرهان على مائة بعير ، وجعلا المسافة مقدار رمية السهم وجعلا الاعداد ليوم السباق اطعام الخيل طعاما خاصا وتدريبها على الجري مدة أربعين ليلة .

وبعد أن مضت المدة المقررة قادوا الخيل الى رأس الميدان ، وأقام حذيفة رجلا من بني أسد في الطريق ، وأمره أن يرد داحسا اذا كان سابقا . فلما أرسلت الخيل سبقتها داحس سبقا بينا ، ولما هبط داحس في الوادي عارضه الأسدي ، فضرب وجهه فألقاه بالماء ، فكاد يغرق هو وراكبه ولم يخرج الا وقد فاتته الخيل ، وأما راكب الغبراء فأنه خالف الطريق عندما رأى داحس قد أبطأ ، ثم عاد الى الطريق واجتمع مع فرسي حذيفة ، ثم سقطت الحنفاء ، وبقي الخطار والغبراء .

ثم ان الغبراء جاءت سابقة ، وتبعها الخطار ثم جاء داحس بعد ذلك ، والغلام يسير على رسله ، وأخبر الغلام قيسا بما صنع بفرسه ، أنكر حذيفة ذلك وادعى السبق ظلما ثم ان حذيفة لج في ظلمه وأرسل الى قيس ابنه ندبة يطالبه بالسبق ، فتناول قيس الرمح فطعنه ، وعادت فرسه الى أبيه حائرة . ووقعت بين عبس وذبيان على أثر ذلك معارك عديدة طاحنة ذهب ضحيتها العديد من الحيين وفي النهاية اصطلحوا وتعاقدوا على أن يحتسبوا القتلى فيؤخذ الفضل مما هو عليه .

---

(١) ابن الاثير : الكامل في التاريخ ج١ ، ص ٥٦٦ .

٣ ـ حـــروب الفجـــار :ـ[1]

وقعـت هـذه الحـروب بيـن كنانـــة وقيـس ، وسميـت بالفجـار لأنهـا وقعـت في الأشهـــر الحـرم ـ ذو القعدة وذو الحجـة ، المحـرم ، ورجـب ـ وهـي فجاران ، الفجـار الاول ثلاثـة أيـام ، والفجـار الثانـي خمسـة أيـام في اربـــع سنيـن ، وقـد حضـر النبي صلى الله عليه وسلم يوم عكـاظ مع أعمامـه وكـــان يناولهـم النبـل ، وانتهـت سنـة ٥٨٩ م[2] .

أيــام الفجـــار الأول :ـ

اليوم الاول :ـ وهو بيـن كنانـة وهـوازن ، وسبـب وقـوع الحـرب فيـه أن بـــدر ابـن معشـر بن مُكيـل بـن حمـزة ابن بكـر بن عبـد منـاة بن كنانـة وكـــان حدثـا منيعـا في نفسـه ، جعـل لـه مجلسـا بسـوق عكـاظ ، وأخـذ يتطـاول على النـاس ، ثـم مـد رجلـه وقـال : ـ أنـا أعـز العـرب فمن زعم أنـــه أعـز مني فليضربهـــا بالسيـف فوثـب رجـل بني نصـر ـ الاحمر بن مازن ـ فضربـه بالسيـف على ركبتـه فقطعهـا ، فتحـاور الحيـان حتى كـاد ان يكـون بينهمـا الدمـاء ثم تراجعـوا ٠

اليـوم الثانـي :ـ رأى شبـاب من قريـش وكنانـة امـرأة حسنـاء من بني عامـر في سـوق غكـاظ جالسـة عليهـا برقـع ، فأخـذ شبـاب قريش وكنانـة يطوقـون بهـا ، وطلبـو منهـا ان تكشـف عن وجههـا ، فرفضـت ، فقام احدهم وجلس خلفهـا ، وحـل طـرف ردائهـا وهي لا تعلـم ، فلمـا قامـت انكشـف ظهرهـا ، فضحكـوا ، وقالـوا : منعتنـا النظـر الى وجهـك ، وجـدت لنـا بالنظـــر الى ظهـرك ، فنادت يـا آل عامـر ؟ فسـاروا وحملـوا السـلاح ، وحملـــت

---

(١) ابن عبد ربه : العقد الغريـد ج٥ ، ص ٢٥١ ـ ٢٦٠ ٠

(٢) المسعودى : مروج الذهب ج١ ، ص ٢٩٣ ٠

كنانة السلاح أيضا واقتتلوا ، وذهب ضحية ذلك الكثير من القتلى ، فتوسط حرب بن امية بينهن وأنهى الحرب .

اليوم الثالث :- كان لرجل من جشم بن بكر بن هوازن دين على رجل من كنانة ، فما طالبه به فجاء الجشمي الى سوق عكاظ ومعه قرد، وأخذ ينادى من يبغيني مثل هذا القرد بمالي على فلان بن فلان الكناني ؟ فلما طال نداؤه ضربه رجل منهم فضرب القرد بسيفه فقتله ، فنادى الجشمي يا آل هوازن ؟ ونادى الكناني : يا آل كنانة ؟ فتجمع الحيان حتى تحاجزوا ، ولم يكن بينهم قتلى ثم كفوا . (1).

أيام الفجار الثاني :-

أ - يوم نخلة :-

كان البراض بن قيس الكناني سكيرا فاسقا خلعه قومه وتبرؤا منه ، فنزل على حرب بن أمية فحالفه وأحسن جواره ، وشرب بمكة حتى هم حرب بخلعه ، فقال له البراض : دعني على حلفك وأنا خارج عنك ، وفعلا تركه وخرج .

وكان النعمان بن المنذر قد بعث قافلة تجارية الى سوق عكاظ، واختلف البراض وعروة بن عتبة ابن جعفر بن بني عامر بن صعصعة على حمايتها كل منهما يريد أن ينال شرف حمايتها ، ولكن ثروة فاز بها (2).

خرج ثروة بالقافلة فتبعه البراض وقتله وأخذ القافلة الى خيبر فوقعت على اثر ذلك الحرب بين هوازن وقريش في نخلة - موضع قرب مكة فيه نخل وكروم - واشتدت المعركة على قريش حتى دخلت

---

(1) ابن الاثير : الكامل في التاريخ ج1 ، ص 586 .
(2) ابن عبد ربه: العقد الفريد ج5 ، ص 151 - 260 .

قريش الحرم [1] ، ونادى أحد بني عامر يا معشر قريش ميعادنا هذه الليلة العام المقبل بعكاظ .

ب - يوم شمطة :-

وفي العام الثاني وبنفس الموعد تجمعت قريش وكنانة بأمرها بشمطة - موضع قريب من عكاظ - وكان على رأس كنانة حرب بن أمية، وعلى هوازن وسليم كلها مسعود بن معتب الثقفي . وكانت الدائرة في أول النهار لكنانة على هوازن وفي أخر النهار انهزمت كنانة واشتد القتل فيها .

ج - يوم القبلاء :-

عادت هوازن وكنانة في اليوم الثالث الى الحرب واقتتلوا وكانت الهزيمة من نصيب كنانة ، وكان لقاؤهم في القبلاء بالقرب من عكاظ ، وفي هذا اليوم قتل العوام بن خويلد والد الزبير ابن العوام .

د - يوم عكاظ :-

التقت كنانة وقريش في اليوم الرابع من أيام عكاظ وخشيت أن يجرى عليها ما حصل لها يوم القبلاء فصمم بنوا أمية على أن لا ينهزموا الموت او النصر ، فكان النصر من نصيب قريش وكنانة .

---

(1) ابن الاثير : الكامل في التاريخ ج1 ، ص 593 .

هـ - يوم الحريرة :-

وفي اليوم الخامس وعلى رأس الحول اجتمعت جموع قريش وكنانة ، وجموع قيس ، فاقتتل الفريقان قتالا شديدا ، فانهزمت كنانة ، ثم تداعوا بعد ذلك الى الصلح على أن يعدوا القتلى فمن كان له قتلى اكثر اخذ ديتهم - وانتهت الحرب (١).

٣ - الحالة الاجتماعية :- ...

حافظت الجزيرة العربية - موطن العرب الأصلي - على نقاء سكانها ، لان تكوينها الطبيعي حال دون اختلاط الاجناس المختلفة بهم منذ القدم .

فالجزيرة العربية محاطة من جهاتها الثلاث بالماء ، أما الجهة الرابعة - هي الجهة الشمالية - فهي رمال قاحلة فكانت هي ايضا حاجز طبيعي .

كان سكان الجزيرة العربية ينقسمون الى قسمين البدو، والحضر . فالبدو يمثلون الاهلية العظمى من السكان ، ومهنتهم الرئيسية تربية المواشي وعليها اعتماد حياتهم ، حيث يأكلون لحومها ، ويشربون لبنها ، ويلبسون أصوافها ، كما انهم كانوا يضعون خيامهم التي يأوون اليها من أصواف ماشيتهم . فكان هم البدوي شغله الشاغل هو البحث عن الماء والعشب ، فهو غير مستقر ، ينتقل من مكان الى اخر .

كان البدوي يعشق الغزو والاغارة على غير قبيلته، ليسلب وينهب ، فسيطرت

---

(١) ابن عبد ربه : العقد الفريد ج د ص ٢٥١ - ١٦٠.
ابن الاثير : الكامل ، ج١ ص ٥٩٥ .

البغضاء بين القبائل ، وكثرت الحروب التي انهكت قوتهم ، وقضت على ثروتهم ، وذهب ضحية هذه الحروب الكثير من الارواح ٠

كان البدوي يعتبر ما يسلبه وينهبه من القبائل الاخرى من اموال ونساء او مواشي جزءاً من دخله فكان شغله الشاغل البحث عن غنيمة يستولي عليها ، لا يهمه من اين جاءت ، فهو لا يفرق بين الحرام والحلال، وبين الحق والباطل ، بل يعتبر ذلك شجاعة وبطولة يتفاخر بها بين قومه وقبيلته ٠

ومن أجل هذا كان افراد القبيلة عصبة واحدة ، ينصرون بعضهم بعضا ، فكانت جناية الفرد تتحمله قبيلته ، كما كانت غنيمته او مكسبه غنيمة للقبيلة كلها توزع على أفرادها ٠

الفرد في القبيلة يحرس على صالح قبيلته ، شعوره مرتبط بها ، فهو مسئول عن حمايتها لانه يعتبر نفسه جنديا من جنودها ، كما ان ألقبيلة كلها مسئولة عن جماية افرادها ؛ وكثيرا ما وقعت الحروب بسبب خطأ ارتكبه أحد أفرادها ، وهذا ما عرف بالعصبية القبلية٠ لم تكن التجارة والزراعة مهنة للبدوي وانما كان كثيرا ما يقوم هاديا او حاميا للقوافل التجارية يتقاضى عن ذلك العمل أجرا ٠

كان من صفات البدوي بل والعربي المروءة والشجاعة ، والكرم، فالشجاعة مفخرته ، فهو يتفاخر بالدفاع عن قبيلته ، يتفاخر بالمعارك والغزوات التي خاضها من أجلها ، وهو يتفاخر أيضا بالاسلاب التي حصل عليها ٠

واما كرمه فيتجلى باكرامه للضيف الذي يذبح له الذبائح ، ومساعدته للفقراء والمحتاجين ٠ حياة البدوي تتصف بالخشونة والقسوة، فهو يتحمل حرارة الصحراء في فصل الشتاء ، وهو يتحمل القحط الذي يصيب

الجزيرة العربية من حين الى آخر ، وهذا ما دعاه الى الهجرة احيانا الى البلاد المجاورة مثل بلاد الشام والعراق واليمن لخصوبة ارضها وكثرة مياهها ، فأستقر فيها كثير من البدو [1].

كانت المرأة البدوية تشقى كثيرا في حياتها ، فهي تقوم بكثير من الاعمال المتممة لعمل الرجل فهي تحتطب الحطب ، وتحضر الماء وتجلب الماشية وتنسج المسكن والملبس وتخيط الثياب وغير ذلك .

والمرأة كانت تورث كما يورث المال ، يرثها اكبر الاولاد واذا لم يكن له حاجة بها ورثها احد اخوته [2].

كان البدوى يحرس على زواج بناته في سن مبكر او حينما تبلغ سن الزواج للحفاظ على الشرف او خوفا من ان تقع فريسة لاحدى القبائل اثناء الغارات او الغزو .

كانت المرأة تستشار في امر زواجها من قبل أبيها ، ويدفع الزوج مهرا لها من الابل او المال ، البدوى يحب الاكثار من الاولاد ليكونوا درعا للقبيلة ، ومن أجل ذلك يتزوج البدوى عددا كبيرا من الزوجات ، ويتخلص من أية زوجة لا يرغبها بالطلاق ، فالعصمة كانت بيده ، وكثيرا من النساء كن يشترطن عند الزواج ان تكون العصمة بأيديهن [3].

لكن كانت الى جانب هذه العادات الحسنة عادة سيئة هي دفن البنات وهن أحياء تخلصا من عارها اذا ما وقعت اسيرة او غنيمة بيد الاعداء ، كما كان البدوى يتخلص من بناته خوفا من الفقر . وقد انتشرت هذه العادة السيئة في بني سليم وتميم [4] ، وقد اشار القرأن الكريم الى

(١) احمد امين : فجر الاسلام ص ١١ .

(٢) النويرى : نهاية الارب ج٣ ، ص ١٢٠.

(٣) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسي ج١ ، ص ٦٥ .

(٤) الاصفهاني : الاغاني ، ج ١٦ ، ص ١٦٤ .

ذلك بقوله تعالى : " وإذا بشر أحدهم بالانثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم ، يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب ألا ساء ما يحكمون "[1].

كما نهى القرآن الكريم عن دفن البنات بقوله تعالى : " واذا الموؤدة سئلت بأى ذنب قتلت "[2] . هكذا كانت حياة البدو كلها حروب كانت تقع لاتفه الاسباب ، فكان النزاع بين فردين من قبيلتين مختلفتين يؤدى الى قيام الحروب بين هاتين القبيلتين ، كما ان النزاع على موارد المياه والمراعي يؤدى الى حروب مريرة وكان النزاع على الزعامة الرياسة يؤدى الى الحروب بين القبائل المتقاربة في النسب او السكن .

ان وصول البدوى الى هذا الوضع لعدم اهتمامه في التعليم ، فالجهل يكاد ان يكون عاما[3] ، فرأيناه يغوض الى اعماق الفساد ويرتكب كثيرا من الاخطاء ، فلا دين يردعه ، ولا علم ينير طريقه .

اما الحضر فكانت حياتهم ارقى ، فكان الاستقرار من صفاتهم ، فسكنوا المدن ، وبنوا القصور الفخمة أما مهنتهم فكانت الزراعة والتجارة .

كان التعليم موجودا عندهم ، وقد شجع على ذلك هو تنقلهم من خلال التجارة في البلدان المجاورة ، كما ان اختلاطهم بالروم وبالفرس والجاليات اليهودية صقل نفوسهم ، وظهر ذلك في شعرهم وأدبهم ، كما أنه ظهر منهم المفكرون والحكماء فظهر ذلك في خطبهم .

---

(١) سورة النحل : آية (٥٨ ، ٥٩) .

(٢) سورة التكوير : آية (٨ ـ ٩) .

(٣) بخيت : ظهور الاسلام ص ٣٢ .

٤ ـ الحالــة الاقتصاديــة :ـ

كان البدو يعتمدون في معيشتهـم على تربيــة المواشي ، فجعـل حياتهـم غيـر مستقـرة ، حيث كانـوا ينتقلـوم من مكـان الى آخـر طلبـا للمـاء والعشـب، فالبـدوى كان يحـط رحالــه حيـث يكثـر المـاء والعشب ـ ٠

لم يكـن البـدو يهـتمـون كثيـرا بالطعـام ، بـل كانـوا يأكلـون لحـم مـا يجدونـه ، فكانـوا يأكلـون اللبـن واللحـم من منتوجـات مواشيهـم ، وكان بعـض الاعـراب يأكلـون لحـم الكـلاب كقبيلـة أسـد ، وقبيلـة هذيـل أكلـت لحـم البشـر وأكلـت قبيلـة طهي الجـراد ، كمـا أكـل بعض الاعراب الافاعـي والعقـارب والجعـلان والخنافـس (١).

لم يعتمـد البـدو على الزراعـة لانهـا تتطلـب منهـم الاستقرار في مكـان واحـد ، وهـذا ضـد طبيعتهـم التي نشـأوا عليها وهي التنقل ٠ لكـن البـدو كانـوا يقومـون أحيانـا بحمايـة القوافـل التجاريـة التي كانـت تمـر فـي منطقتهـم مقابـل أجـر كمـا انهـم كانـوا يعتبرون ما يكسبونـه من الغـزو جـزءا أساسيـا من دخلهـم ٠

اما الحضـر سكـان المدن فكانـوا يعتمدون اعتمادا كليـا علـى الزراعـة والتجـارة ، وقـد أثـروا ثـراءا كبيـرا من هـذه المهنـة ، اضـف الى ذلـك فانهـا اكسبتهـم مهـارة الكتابـة والقـراءة ، كمـا انهـا اكسبتهـم لغـات كثيـرة من خـلال تنقلهـم في البـلاد المجـاورة ، فالتاجـر مضطـر من أجـل التفاهـم مع الامـم الاخرى فعليـه ان يتعلـم لغـة او لغـات غيـر لغتـه ٠

لقـد أثـرت مهنـة الزراعـة والتجارة في سلـوك الحضـر سكـان المـدن فصقلتهـم وظهـر ذلـك جليـا في سلوكهـم كما كان واضحا في شعرهم وخطبهم وادبهم

---

(١) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ج٢ ، ص ٣ ٠

٥ ـ الحالـــة الثقافيـــة :ـ

كان الحضـر من سكـان الجزيـرة العـربيـة يعتمـدون على التجارة كمهنة اساسيـة ، فكـان التجـار العـرب يتنقلـون من اجـل تسويـق بضاعتهـم فـي البـلاد المجـاورة ، وشـراء غيرهـا ممـن يمكـن تسويقـه في بلادهم •

ان حاجـة التجـار الى التعليـم اكثـر من غيرهـم من اجـل الربـح والكسـب وهـذا مـا جعلهـم يضطـرون لاتقـان القـراءة والكتابـة ، وخاصـة لانهم كثيـرى التنقـل بيـن اليمـن وبـلاد الشـام والعـراق •

كانـت مكـة مركـزا للحركـة التجاريـة بسبب موقعهـا بين اليمـن وبـلاد الشـام ، كمـا كانـت بسبب قدسيتهـا لوجـود الاصنـام فيّ الكعبة المكان الـذى يجتمع فيـه سكـان الجزيـرة العربيـة في مواسم الحـج ، وهـذا ممـا جعـل الحركـة الادبيـة تزدهـر ، فباجتمـاع العـرب في هـذه المواسم كانت تتناقـل معهم الاداب الاجتماعيـة ، والتفاخـر بالانسـاب والبطـولات •

هكـذا كان العـرب في الجزيـرة العربيـة المتعلم فيهـم قليـل ، والجهـل يكـاد يكـون مطبقـا ، لكـن على الرغـم من هـذا فانـه بـرز منهم بعـض الاشخـاص الذيـن نالـوا قسطـا كبيـرا من العلـم •

وعندمـا جاء الاسـلام شجـع العرب على التعلم ، واكبـر دليـل على ذلك أن الرسـول الكريـم صلى الله عليـه وسلـم كلـف أسـرى بـدر الذين يعرفـون القـراءة والكتابـة ممـن لم يستطيعـوا دفـع الفـداء بأن يعلـم كـل منهـم عشرة من أبنـاء المسلميـن الكتابـة والقـراءة (١).

وقـد ساعـد الاختـلاط العـرب سكـان الجزيـرة العربيـة من خـلال التجارة بالفـرس والـروم والجاليـات اليهوديـة الى صقـل شعـر الشعـراء ،

---

(١) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، ج٢ ، ص ٤٧٦ •

فظهرت فيه الحكمة ، وبعض الافكار التي تدعو الى عبادة الله الواحد الاحد كقيس بن ساعدة ، وأمية بن أبي الصلت ، كما ظهرت في خطب الخطباء واقوال الحكماء كورقة بن نوفل وغيره ٠

ان اعتناق الكثير من العرب الصابئة ، جعلهم يتبعون الكواكب التي عبدوها فمهروا في علم الفلك [1] ، وظهرت هذه الكواكب ايضا في أدبهم وشعرهم ٠

٦ ـ الحالة الدينية :ـ ٠٠٠

كانت الجزيرة العربية في العصر الجاهلي معرضا للديانات والمذاهب المختلفة لتأثرها بالبلاد المجاورة ، لكن الديانة الوثنية هي التي كانت الغالبة ٠

وذكر ابن الكلبي :ـ ان عبادة الاوثان مستوردة من بلاد الشام وروى قصة قال فيها : (أصيب عمرو بن لحي زعيم مكة بمرض شديد ، فقيل له :ـ ان بالبلقاء من الشام حمة انى أتيتها برأت فأتاها فاستحم بها فبرأ ، ووجد أهلها يعبدون الاصنام فقال : ما هذا ؟ فقالوا نستسقي بها المطر ، ونستسقي بها على العدو ، فسألهم أن يعطوه منها ، فنقلها وقدم بها مكة ونصبها حول الكعبة) [2]٠

عرف سكان الجزيرة العربية عبادة الاصنام منذ ذلك التاريخ، وكان لقريش أصناما كثيرة في داخل وحول الكعبة ، ومن أشهر هذه الاصنام :ـ

---

(١) الصابي : رسوم دار الخلافة ص ٦ ٠

(٢) ابن اسحق : سيرة النبي ج١ ، ص ٥١ ، اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ج١ ، ص ١٥٤ ٠ المسعودى : مروج الذهب ج٢ ، ص ١٣٨ ٠

١ ـ هبــل :ـ

كان من عقيـق احمــر على صـورة انسـان مكسـور اليـد اليمنـــى ، فصنعـت لـه قريـش يـدا من ذهـب وبلـغ تقديـس قريـش لـه انهـم كانـوا اذا أرادوا سفـرا يأتـون الـى عنـده ، ويستشيرونـه بضـرب القـداح [١].

٢ ـ منـاة :ـ

كان الاوس والخـزرج من اكثـر القبائـل العربيـة تقديسـا لـه ، وكـان مبنيـا بقديـد (بيـن المدينـة ومكـة) [٢].

٣ ـ الـلات :ـ

وهي صخـرة مربعـة بيضـاء أقيـم عليهـا بنـاء ، وسدنتهـا من ثقيـف بني عتـاب بن مالـك ، وسميـت بالـلات لان رجـلا كـان يجلـس على صخـرة يبيـع السمـن فيهـا ، فسميـت صخـرة الـلات ، وعندمـا توفـي قـال لهـم عمـرو بن لحـي : (ان ربكـم كان اللات فدخـل في جـوف الصخـرة) [٣].

٤ ـ العـزى :ـ

هي عبـارة عن شجيـرات في وادى نخلـة عند يميـن الذاهـب من مكـة الى العـراق ، وهي احـدث من الـلات ومنـاة وكانـت قريـش وخزاعـة ومضـر تعظمهـا ، وكـان سدنتهـا بنـو شيبـان من بني سليـم حلفـاء بني هاشم [٤].

وقـد أشـار اللـه تعالـى الى العزى بقولـه :ـ " **أفرأيتم اللات والعـزى ، ومناة الثالثة الاخرى** " [٥] .

---

(١) ابن الكلبي : الاصنام ص ٢٨ .

(٢) بخيث : ظهور الاسلام ص ١٨ .

(٣) ابن الكلبي : الاصنام ص ١٦ .

(٤) ابن الكلبي : الاصنام ص ١٨ .

(٥) سورة النجم : آية (١٦ ـ ٢٣).

٥ ـ ود :ـ

كانت بدومة الجندل ، وسدنته في بني القرافصة ابن الاحوض الكلبيين [١] .

٦ ـ يغوث :ـ

وكان صنما لمذحج وهو على هيئة الاسد [٢] .

٧ ـ يعوق :ـ

وكان تعظمه خيوان (وهي بطن من همذان) [٣] .

٨ ـ نسرا :ـ

وكان صنما على شكل صورة النسر وقد عبدته خمير [٤] .

٩ ـ سواع :ـ

وقد عبدته قبائل هذيل بن مدركة التي كانت تسكن في رهاط من أرض ينبع من قرى المدينة ، أما سدنته فبنو لحيان [٥] .

١٠ ـ اساف ونائلة :ـ

وهما رجل وامرأة مسخا حجرين ، فجعل أحدهما بجانب الكعبة والاخر عند زمزم ، وكان العرب في الجاهلية يبدأون بطوافهم من اساف وينتهي بنائلة ، ثم اتخذهما قصي بعد ذلك ليذبح عندهما عند موضع زمزم [٦] .

---

(١) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسي ج ١ ، ص ٧١ ٠

(٢) علي ابراهيم حسن : التاريخ الاسلامي العام ص ١٥٠ ٠

(٣) ابن اسحق : سيرة النبي ج١ ، ص ١٥٢ ٠

(٤) ابن الكلبي : الاصنام ص ١١ ٠

(٥) ابن اسحق : سيرة النبي ج١ ، ص ٥١ ٠

(٦) ابن الكلبي : الاصنام ص ٩ ٠

١١ ـ الجلسد :ـ

وهو من صخرة بيضاء كصورة وجه انسان ، كان موجودا بحضرموت ، وكانت تعبده كندة وسدنته بنو شكامة بن الشبيب بن السكون ، وله حمى ترعاه سوامة وغنمة [(١)].

١٢ ـ الكعبات :ـ

هو بيت لربيعة يطوفون به ، وقيل انه كان لبكر وتغلب ابني وائل في سنداد [(٢)]. لقد كانت الاصنام منتشرة في انحاء الجزيرة العربية ، حتى قيل انه كان حول الكعبة وحدها ثلثمائة وستون صنما .

لم يقتصر عبادة القبائل العربية للاصنام فقط ، وانما عبدوا الاشياء المحيطة بهم ، فعبدوا الحيوان لكنهم لم ينحتوا الاصنام على صورة الحيوان لعدم معرفتهم بفن الرسم ، وقد انتشرت عبادة الخيل في البحرين [(٣)].

كما عبد العرب الحمام من الطيور وأقاموا لها في الكعبة ، وعبدوا الاشجار ، وكانت لهم شجرة كبيرة يقال لها (ذات انواط) يأتون اليها كل سنة ، فيعلقون عليها اسلحتهم ويذبحون عندها ويقضون عندها يوما كاملا [(٤)].

---

(١) اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ج١ ، ص ١٥٤.
(٢) الزمخشرى : كتاب الامكنة والمياه والجبال ص ٢٧ .
محمد نعمان الجارم : أديان العرب في الجاهلية ص ١٢٨ .
سنداد : نهر فيما بين الحيرة الى الابلة وكان عليه قصر تحج اليه العرب .
الحموى : معجم البلدان ج٣ ، ص ١٦٦ .
(٣) البلاذرى : فتوح البلدان ص ٨٩ .
(٤) ابن اسحق : سيرة النبي ص ١٤٦ .

وقد انتشرت في الجزيرة العربية ديانات ومذاهب الامم المجاورة ومن اشهر هذه الديانات :-

١ - البرهمية :-

كان هذا الدين منتشرا في الهند ، وقد نسب هذا الدين الى برهما ، وكان له معبدا في الهند ، عبده البراهمة ، وتفش هذا الدين بين سكان عمان [(١)] ٠

٢ - الصابئة :-

وهم الذين يقدسون الكواكب ، وكانوا يصلون لها ثلاث مرات في اليوم ، وكانت طريقة عبادتهم بالسجود لها عند شروقها ، وعند غروبها وعندما توسطها في السماء [(٢)].

وأول من دان به من العرب القبائل الحميرية حيث عبدوا الشمس ، وعبدت كنانة القمر ، ولخم وجذام المشترى ، وطيّ سهيلا ، وقيس الشعرى ، وأسد عطارد ٠ ومن الصابئة اخذ العرب علم النجوم واشتغلوا به [(٣)].

٣ - المجوسية :-

كان مركز هذه الديانة بلاد فارس ومنها انتشرت في الجزيرة العربية ، وتقوم هذه الديانة على عبادة النار واتخاذها الٰهـا ،

---

(١) شحاتة : تاريخ الامة العربية ج٣ ز ص ٢٥ ٠
(٢) الصابي : رسوم دار الخلافة ص٦،جيبون ادوارد (Edward Gibon)
اضمحلال الامبراطورية الرومانية وسقوطها ج٣ ص٢٦، ترجمة د٠محمد سليم الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة ١٩٦٦م٠
(٣) د٠ علي ابراهيم حسن : التاريخ الاسلامي العام ص ١٦٧ ٠

وكانوا يعتقدون أن هناك قوتين تتنازعان العالم احداهما اله الخير ، ورمز له بالنور ، ويسمونه أهرومزدا ، والاخرى اله الشر ورمز له بالظلمة ويسمونه أهرمان أو اهرمن، وهما في نزاع مستمر مع بعضهما[1]

وعندما انتشر الاسلام في الجزيرة العربية عامل الرسول صلى الله عليه وسلم المجوس معاملة اهل الذمة فقبل منهم الجزية فعرض على مجوس اليمن دينار على كل رجل وأمرأة ، بلغ الحلم [2].

٤ ـ اليهودية :ـ

تسربت هذه الديانة الى الجزيرة العربية من فلسطين ، وكانت يثرب واليمن من أهم مواطنها [3] ، كما كان جماعات منهم في : فدك ويماء ، ووادى القرى ، وتبوك ، وأيله ، والبحرين ، وحضرموت ، وفي بني كنانة ، وبني الحارث بن كعب بن نمير ، وبني كندة الذين سكنوا بجوار مكة ، وكان بخلاف الطائف قوم من اليهود [4].

٥ ـ النصرانية :ـ

كانت نجران اهم موطن للنصرانية ، وقد تسربت هذه الديانة الى الجزيرة العربية من الحبشة وفلسطين وشبه جزيرة سيناء بفضل جهود أباطرة الدولة) الرومانية الشرقية في القرن الرابع الميلادى ٠ وقد

---

(١) روفائيل ابو اسحق :تاريخ نصارى العراق ص ٢٠١ ٠

(٢) البلاذرى : فتوح البلدان ص ٨٨ ٠

(٣) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ج٢ ، ص٢٧ ٠

(٤) البلاذرى : فتوح البلدان ٦٨ ٠

وقد انتشرت هذه الديانة بين قبائل تغلب وغسان وقضاعة [1] .

٦ ـ الحنفاء والموحدون :ـ

على الرغم من انتشار الديانة الوثنية والمذاهب والديانات الاخرى في الجزيرة العربية الا ان هناك جماعة من العرب ثارت على هذه الاوضاع الفاسدة ودعت الى اصلاحات واسعة في الحياة ، ومحاربة الفساد الذى كان متفشيا في ذلك العهد كوأد البنات ، وشرب الخمر ولعب الميسر والاستقسام بالأزلام وغير ذلك .

واعتقد هؤلاء الجماعة بالقضاء والقدر ، وبالبحث ووجود اله واحد قادر لا شريك له ، يحاسب ويجازى على اعمال الناس من خير وشر [2] .

ومن اشهر هؤلاء الجماعة : أمية بن أبي الصلت ، وورقة بن نوفل وزيد بن عمرو بن نفيل وعثمان بن الحويرث ، وعبيد الله بن جحش وقُسّ بن ساعدة الايادى [3] .

ان تعدد الاديان والمذاهب والافكار والاراء المسيحية واليهودية والفارسية والتخبط الذى كان فيه العرب في الجاهلية مهدت الطريق لظهور المصلح المنتظر ، وهو النبي محمد صلى الله عليه وسلم.

---

(١) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسي ج١ ، ص ٧٣ .

(٢) شحاتة : تاريخ الامة العربية ج٣ ، ص٩٧ .

(٣) ابن قتيبة : المعارف ص ٢٨ .

الفصل الثاني

قِيَامُ الدَّولة العَرَبِيّة الإِسلَامِيّة (حكومة المدينة) "

- الدعوة الاسلامية والهجرة
- المؤاخاة في المدينة
- المواجهة مع مكة والقبائل العربية الاخرى

١ - حياة الرسول :-

قبل الدخول في تفاصيل حياة الرسول صلى الله عليه وسلم ، علينا أن نبين نسبه الكريم ، فقد اتفق المؤرخون على نسب الرسول انه محمد بن عبد الله بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهد بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد ابن عدنان ، وينتهي نسبه الى اسماعيل بن ابراهيم عليه السلام (١) .

وأما نسبه من جهة أمه ، فأمه أمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة ، فأمنة بنت وهب سيد زهرة من بني عدى النجار أخوال جده عبد المطلب من سكان يثرب (المدنية المنورة) (٢) .

لقد اختار عبد المطلب لابنه عبد الله أحب أولاده اليه أمنة لتكون زوجة له وبعد زواجه منها خرج في تجارة الى الشام ، وتركها حاملا ، وفي طريق عودته الى مكة أصابه المرض ، ولم يتمكن من الوصول اليها ، فتأخر في يثرب عند بني النجار أخوال جده، لكن الاجل عاجله ، فتوفي ودفن فيها .

بعد أشهر قليلة من وفاة عبد الله ولد محمد عليه السلام في صبيحة يوم الاثنين الموافق الثاني عشر من ربيع الاول/ ٣٠ ابريل سنة ٥٧١م.

وفي ليلة مولد الرسول الكريم ارتجت ايوان كسرى ، وسقطت منه أربع عشرة شرفة وخمدت نار فارس ولم تخمد قبل ذلك بألف عام.

---

(١) احمد بن بيليك المحسني : الجوهر الثمين في نخب سير الامين(مخطوط) ص ٢.

(٢) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ج٢ ، ص ٤ .

اما في السنة التي ولد فيها الرسول صلى الله عليه وسلم ، فقد حمى الله البيت الحرام من اصحاب الفيل [1] ، وأرسل اليهم طيرا ابابيل ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف مأكول.

كان من عادة أهل مكة ارسال أطفالهم الى البادية لقضاء فترة رضاعتهم وطفولتهم فيها ، لأنها أصح هواء وأفصح لغة ، وتأتي المرضعات الى مكة لاختيار الاطفال فكان محمد بن عبد الله من نصيب حليمة بنت أبي ذؤيب عبد الله بن الحرث بن شجنة بن رزام بن ناصرة ، بن فصية بن قيس بن عيلان [2].

لقد مكث الرسول صلى الله عليه وسلم عند حليمة خمسة أعوام وعندما بلغ محمد عليه السلام السادسة من عمره قام بزيارة يثرب برفقة والدته حيث نزل على أخوال جده من بني عدى النجار ، وزار قبر والده ، ثم عاد هو ووالدته الى مكة بعد مضي شهر في يثرب، وفي الطريق داهم والدته المرض فتوفيت من أثره فعادت به جاريته ام أيمن الى مكة [3].

وصل محمد عليه السلام الى مكة وقلبه مفعم بالاحزان لفقد والدته ، لكن جده عبد المطلب أزال عنه هذه الاحزان بما أصبغه عليه

---

(١) ابن الاثير : الكامل في التاريخ ج١ ، ص ٤٤٥ .

(٢) ابن اسحق : سيرة النبي ج١ ، ص ١٠٤ .

(٣) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ج٢ ، ص ٤ .

من العطف والحنان والحب فعوضه عن ذلك عن والدته ، لكن محمد عليه السلام يفجع بوفاة جده بعد عامين من وفاة والدته وعمره لا يزال في الثامنة ، واحتضنه عمه أبو طالب فأحسن ولايته وعوضه حنان وعطف جده ٠

كان أبو طالب لا يطيق فراق ابن أخيه حتى أنه كان يأخذه الى أي مكان يذهب اليه ، فرافقه في احدى رحلاته التجارية الى بلاد الشام وهو ابن ثلاث عشرة سنة ، فمروا بالراهب بحيرى عند بصرى ، فدعا القوم الذين يرافقونه الى طعام ، وأخبر عمه بنبوته بعد أن تأكد من العلامات المميزة فيه ، وأوصاه به خيرا (١).

وعندما بلغ محمد عليه السلام الخامسة والعشرين من عمره خرج الى الشام تاجرا بمال خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى ومعه غلامها ميسرة ، ومروا بنسطور الراهب ، فرأى فيه علامات النبوة ، فأخبر ميسرة ، وعندما عاد الى مكة ، أخبر ميسرة خديجة ما قاله له الراهب ، فعرضت عليه نفسها للزواج منه ، فأخبر محمد عمه بذلك ، فجاء ابو طالب وخطبها اليه ، وزوجه وحضر جمع كبير من قريش الزواج ، فوقف أبو طالب خطيبا ٠ فقال:

" الحمد لله الذي جعلنا من ذرية ابراهيم وزرع اسماعيل ، وضئضي مَعَدّ، وعنصر مضر ، وجعل الينا بيتا محجوجا ، وحرما أمنا ، وجعلنا أمناء بيته وسواس حرمه ، وجعلنا الحكام على الناس ، وأن ابن أخي محمد بن عبد الله من قد علمتم قرابته ، وهو لا يوزن بأحد الا يرجح به ، فان كان في المال قل ، فان المال زائل ، وقد خطب خديجة بنت

---

(١) ابن اسحق : سيرة النبي ج١ ، ص ١١٨ ٠ الطبري : ج٢ ، ص ٢٧٨ ٠

خويلد وبذل لها من الصداق ما عاجله وآجله من مالي كذا وكذا وهو والله بعد هذا له بناء عظيم وخطر جليل " .[1]

تزوج الرسول الكريم خديجة وعمرها في ذلك الوقت في الاربعين ، وقد ولدت له القاسم وعبد الله والطاهر والطيب ، وفاطمة ، ورقية ، وزينب ، وأم كلثوم وقد ماتوا جميعا في حياته عدا فاطمة فانها ماتت بعده بوقت قصير .[2]

لقد استقرت نفس محمد عليه السلام بهذا الزواج ، وأخذ ينظر حوله يرى أهله واصدقاءه ماضين في غيهم ، يعبدون الاصنام ، فلا يعجبه هذا الصنع ولا يروقه هذا المظهر الوضيع ، فهداه فكره وعقله المنير انه لا بد من وجود خالق عظيم سميع بصير حكيم .

كان محمد عليه السلام يحب العزلة والانقطاع عن الناس ، فأخذ يتردد على غار حراء على مقربة من مكة يتعبد فيه شهرا من السنة حاملا معه من الطعام ما يكفيه فترة ، فاذا فرغ رجع الى زوجته السيدة خديجة ، ليحمل ما يكفيه بقية الشهر .

٢ - البعثة والدعوة الاسلامية :-

كان النبي عليه السلام يضيق ذرعا من البيئة الفاسدة الموجودة في مكة حيث كان سكانها يتخبطون في عبادة الاصنام ، فرأى العزلة والابتعاد عن هذا الجو ، فأخذ يذهب الى غار حراء الذي يبعد عن مكة مسيرة ساعة على الاقدام .

---

(١) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ج٢ ص ٥ .

(٢) ابن الاثير : الكامل في التاريخ ج٢ ، ص ٤٠ .

كان الرسول صلى الله عليه وسلم يخلو في هذا الغار شهر رمضان من كل سنة فكان يتزود في الطعام ما يكفيه لقضاء جزء كبير منه ، وعندما بلغ الرسول الكريم الاربعين من عمره ، وبينما هو في الغار دخل عليه جبريل الامين ، فضمه ضمة شديدة حتى بلغ منه الجهد ، وقال له : اقرآ ، قال : ما أنا بقارئ ، فضمه مرة ثانية وثالثة حتى بلغ منه الجهد وقال له : " اقرآ باسم ربك الذى خلق خلق الانسان من علق ، اقرأ وربك الاكرم الذى علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم " ‎(١)‏ ..

لقد أصاب الرسول صلى الله عليه وسلم الخوف الشديد ، وأخذ يرتجف ، ورجع الى منزله مسرعا ، وقال لزوجته : زملوني ، زملوني (لفوني) ، فزملوه حتى هدأ روعه وذهب الخوف عنه ، ثم اخبر زوجته ما حصل معه ، فقالت له : والله لا يخزيك الله أبدا ، والله انك لتصل الرحم ، وتصدق الحديث ، وتحمل الكل ، وتكسب المعدوم، وتقرى الضيف ، وتعين على نوائب الحق ، فانطلقت به الى ابن عمها ورقة بن نوفل ، وهو شيخ أعمى ، قد درس النصرانية ، فلما سمع من الرسول صلى الله عليه وسلم ، ما حدث معه في غار حراء ، أدرك أن هذا الوحي الذى كان ينزل على الانبياء ، فبشر محمدا عليه السلام أنه نبي هذه الامة ، وتمنى ورقة أن يطول عمره حتى تظهر رسالة محمد ليكون من انصاره ‎(٢)‏ .

‎(١)‏ سورة العلق آية (١ ـ ٥) .

‎(٢)‏ القلقشندى : نهاية الارب ص ٣٨ .

الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ج٢ ، ص ٢٩٨ .

عاد محمد عليه السلام الى الغار بعد فترة ، فنزل عليه جبريل مبشرا أنه رسول الله ، فرجع الى منزله ، وقال لزوجته : دثروني ، فنزلت عليه الآية : **" يا أيها المدثر ، قم فأنذر ، وربك فكبر ، وثيابك فطهر ، والرجز فاهجر ، ولا تمنن تستكثر ، ولربك فاصبر "** (١) .

بعد نزول هذه الاية الكريمة اصبح مطالب بتبليغ الرسالة الى الناس ، كما يجب عليه ان يدعو الناس الى دين الله ، دين الاسلام، فصعد الرسول الى جبل الصفا ونادى أهله وعشيرته ، وعندما تجمعوا حوله قال لهم : "أرأيتم لو أخبرتكم ان خيلا بالوادى تريد أن تغير عليكم اكنتم تصدقوني ؟ قالوا : نعم ، ما جربنا عليك كذبا قط قال : اني نذير لكم ، بين يدى عذاب شديد . فقال أبو لهب : تبا لك : الهذا جمعتنا ؟ فقال عليه السلام : ما اعلم انسان في العرب جاء قومه بأفضل مما جئتكم به ، فقد جئتكم بخير الدنيا والاخرة ، وقد أمرني ربي أن أدعوكم اليه ، فأيكم يؤازرني على هذا الأمر ، فلم يجبه احد ، فقال علي بن ابي طالب : أنا يا رسول الله عدتك ، أنا حرب على من حاربت . فقال أبو لهب : تبا لك ولمن اتبعت) (٢).

وأنزل الله قوله تعالى : **" تبت يدا ابي لهب وتب ما أغنى عنه ماله وما كسب سيصلى نارا ذات لهب ، وامرأته حمالة الحطب في جيدها حبل من مسد "** (٣) .

---

(١) سورة المدثر : آية رقم (١ ـ ٨) .

(٢) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ج١ ، ص٢١٧ .

(٣) سورة المسد : آية (١ ـ ٥) .

لم يزد معارضة المشركين للرسول الا تمسكا بدينه ، وصمودا ، فأخذ ينشر هذا الدين الالهي بين أقرب الناس اليه ، فأول من آمن بالله وصدق من النساء خديجة رضي الله عنها ، ومن الرجال ابو بكر الصديق رضي الله عنه ، نثم من الصبيان علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وزيد بن حارثة ، وعثمان بن عفان ، والزبير بن العوام ، وسعد بن أبي وقاص ، وعبدالرحمن بن عوف ، وطلحة بن عبيد الله ، وأبي عبيدة عامر بن الجراح ، وكما أسلم الأرقم بن أبي الأرقم الذى اتخذت داره مركزا لنشر الدعوة الاسلامية . [1].

كانت الدعوة في بداية أمرها سرية ثم تطورت بعد ثلاثة اعوام من بدء الوحي حينما نزلت الآية الكريمة **" فاصدع بما تؤمر ، وأعرض عن المشركين"** [2]. واتخذت مظهر الجهرية ، وأخذ محمد عليه السلام يجمع القوم ويدعوهم الى الدين الحنيف ، وبدأ بعشيرته ، فطلب من ابن عمه علي بن ابي طالب أن يدعو أهله وبنو عمومته بنو عبد المطلب وأولادهم الى طعام في بيته ، فاجتمع نحو من الاربعين رجلا فدعاهم الرسول صلى الله عليه وسلم الى ترك معتقداتهم الفاسدة ، والايمان بالله وحده ، فغضبوا وقاطعوا كلامه وخرجوا مسرعين [3].

أما قريش فقد شعرت أن ظهور هذا الدين الجديد فيه الخطر الداهم ، الذى يهدد كيانها المادى والادبي ، فكانوا يعتمدون على مركز الكعبة الديني التي كانت محج العرب ومورد ثروتهم ، وكانوا يستمدون

---

(١) ابن بيليك : الجوهر الثمين (مخطوط) ص ١٠ .
(٢) سورة الحجر : آية (٩٤).
(٣) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ج٢ ص ٧ .

مجدهم وفخارهم على سائر العرب من صلتهم بالبيت الحرام ، وقيامهم بالمحافظة على الاصنام وسقاية الحجاج كما كانوا يعتبرونها مورد رزق لهم وينبوع ثروة بالتجارة التي يحترفونها فكانت قوافلهم تجوب الارض دون أن يتعرض لها أحد ، فانتصار هذا الدين الجديد يعني فقدانهم هذه الامتيازات ، لذلك صممت قريش ان تقف ضده وان تعمل على القضاء على هذا الدين باضطهاد صاحبه ومن اتبعه .

أخذت قريش تلفق التهم بالرسول صلى الله عليه وسلم ، فتارة تصفه بالشاعر وتارة اخرى تصفه بالساحر ، وتارة تصفه بأنه مخادع وهدفه الوصول الى السيطرة على العرب .

ثم أخذت قريش ترسل الى الرسول صلى الله عليه وسلم الرسل لاقناعه والرجوع عن هذه الدعوة ، واقناعه بالعدول عنها بالمال او بالملك ، فأرسلت اليه عتبة بن ربيعة وكان سيدا في قومه ، فجاء الى الرسول الكريم وهو يصلي بالمسجد وقال له :انك أتيت قومك بأمر عظيم فرقت به جماعتهم ، وسفهت به أحلامهم ، وعبت به الهتهم ودينهم وكفرت به من مضى من آبائهم . فاسمع مني أعرض عليك أمورا ننظر فيها لعلك تقبل منها بعضها ، فقال عليه السلام : يا أبا الوليد أسمع . فقال عتبة : يا ابن أخي ان كنت تريد بما جئت به من هذا الامر مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون اكثرنا مالا ، وان كنت تريد شرفا سودناك علينا حتى لا نقطع امرا دونك ،وان كنت تريد ملكا ملكناك ، وان كان هذا الذي يأتيك من الجن لا يستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب . وبذلنا فيه اموالنا حتى نبرئك منه . فقال عليه السلام : " لقد فرغت يا أبا الوليد قال نعم ، قال فاسمع مني :

بسم الله الرحمن الرحيم : " **ألمر ، كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعقلون بشيرا ونذيرا ، فاعرض اكثرهم فهم لا يسمعون "** [1].

رجع عتبة الى قريش قائلا : اني سمعت قولا ما سمعت مثله قط : واللات ما هو بالشعر ولا هو بالسحر ولا بالكهانة يا معشر قريش : (اطيعوني واجعلوها لي ، وخلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه، فقال النضر بن الحارث : بماذا جاءنا محمد واللات ما محمد بأحسن حديثا مني)) [2].

لقد ازداد تعنت قريش للرسول صلى الله عليه وسلم ولدعوته ، وجن جنونها ، وأخذ كل منها يعمل بمفرده ، وحسب طريقته لردع الرسول صلى الله عليه وسلم وأتباعه ، فألقى أبو جهل على الرسول وهو يصلي رحم شاة مذبوحة .

وقام عقبة بن أبي معيط بوضع ثوب الرسول في عنقه فخنقه الا أن أبا بكر الصديق خلصه منه ـ لقد تحمل الرسول صلى الله عليه وسلم الاذى .

أما موقف قريش من أتباع الرسول وأصحابه فقد كان اشد قوة وعنفا فقد لاقى بلال بن رباح رضي الله عنه من أمية بن خلف انواعا من الاذى ، والوانا من التعذيب فكان يلقيه على ظهره عندما تشتد حرارة الشمس ثم يضع على صدره خجرا ، ويقول له : ستبقى هكذا حتى تكفر بمحمد وتؤمن باللات ، ولكنه صبر واحتمل كل هذا العذاب وكلما التمس منه جوابا كان يرد عليه بكلمة واحدة احد احد ..... وبقي يلاقي العذاب حتى خلصه أبو بكر الصديق حيث اشتراه منه واعتقه في

---

(١) سورة فصلت .

(٢) ابن اسحق: سيرة النبي ج١ ، ص ١٩٠ .

سبيل الله .

ولاقى عمار بن ياسر وأبوه وأمه رضوان الله عليهم صنوفا من العذاب ، وقد مر بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم في العذاب ، فقال لهم : صبرا آل ياسر موعدكم الجنة وقد مات ياسر من شدة العذاب لأنه لم يتحمله لكبر سنه ، أما امرأته سمية فطعنها ابو جهل في قلبها بحربة فماتت ، أما عمار فقد صبر وتحمل العذاب [1] .

لقد مر المسلمون في معاناة شديدة وتعذيب يعجز القلم عن وصفه لكنهم تحملوا العذاب في سبيل الله ، ولكن زعماء قريش عندما عجزوا ورأوا ان التعذيب ليس وسيلة كافية فانتقلوا الى مرحلة جديدة لعلهم عن طريقها يصلون الى اهدافهم واغراضهم فذهبوا الى عم الرسول صلى الله عليه وسلم أبي طالب لابعاده عنه ويتخلى عن نصرته ، وكان في مقدمة هؤلاء الزعماء أبي سفيان بن حرب فقالوا له : ((يا أبا طالب ، ان ابن أخيك قد سب الهتنا ، وعاب ديننا وسفه أحلامنا ، وضلل أباءنا ، فاما ان تكفه عنا ، واما أن تخلي بيننا وبينه فردهم ابو طالب ردا جميلا ، ثم عادوا اليه فسألوه النصفة فدعا النبي صلى الله عليه وسلم الى بيته بمحضرهم وعرضوا عليه قولهم ، فتلا عليهم القرآن وأيأسهم من نفسه ، وقال لآبي طالب : يا عماه ، لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الامر حتى يظهره الله أو اهلك دونه ما تركته ، واستعبر ، وظن أن أبا طالب بدا له في أمره ، فرق له أبو طالب وقال له : يا ابن اخي قل ما أحببت فوالله لا أسلمك ابدا)) [2].

---

(1) ابن الاثير : الكامل في التاريخ ج٢ ، ص ٦٧ .

(2) ابن اسحق : سيرة النبي ج١ ، ص ١٧٣ .

خرج زعماء قريش من عند أبي طالب يجرون أذيال الخيبة والفشل ، ورأوا أنه لا بد من الحاق الاذى في اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم ، فاشتد العذاب والاذى في أصحاب الرسول فأشار عليهم ان يذهبوا الى الحبشة المسيحية لآن ملكها النجاشي ملك عادل ، فهاجر عدد من المسلمين اليها في شهر رجب من السنة الخامسة للبنوة ، وكان عددهم في أول الأمر أحد عشرة رجلا واربع نسوة ثم ازداد عددهم حتى وصل الى ثمانين رجلا غير النساء والاطفال ، وكان من بينهم عثمان بن عفان وزوجته رقية فأكرمهم النجاشي وأحسن استقبالهم ومعاملتهم وأمنهم (١).

ثارت قريش لخروج أتباع محمد عليه السلام واعتبرته عملا خطيرا ، فرأت أن تعمل طريقة لطردهم من الحبشة ، فكر زعماء قريش بهذا الامر ،واهتدوا الى استمالة ملك الحبشة بالهدايا ، فأرسلوا عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي ربيعة يحملان الهدايا الفاخرة الى النجاشي وبطارقته ، لكن النجاشي استاء منهما كثيرا عندما تأكد أن محمدا واتباعه على حق ، فعاد وفد قريش الى مكة خاشبين دون تحقيق اى مكسب (٢).

لقد انتشر الاسلام على الرغم من مقاومة قريش له ، وقد ازداد الاسلام عزة وقوة عندما اسلم عمر بن الخطاب ، وكان سبب اسلامه انه عندما بلغه اسلام اخته فاطمة مع زوجها سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل ابن عمه وأن خباب بن الأرت عندهما يعلمهما القرآن فجاء الى

---

(١) ابن خلدون:تاريخ ابن خلدون ج٢، ص٨ . الطبرى:تاريخ الرسلوالملوك ج٢، ص٣٢٦ .

(٢) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ج٢ ، ص ٣٣٥ .

اخته غاضبا على فعلتها فضربها ، ولكنه عندما سمع آيات من القرآن الكريم خشع قلبه وأعلن اسلامه ، وذهب الى الكعبة وصلى عندها جهرا [1] ، واندفع المسلمون يصلون معه ٠

لقد ازداد تعنت قريش ضد الاسلام خاصة حينما رأوا ازدياد عدد المسلمين فاتفق زعماء قريش على مقاطعة بني هاشم وبني عبد المطلب مقاطعة تامة ، فاضطر بنو هاشم الى النزوح الى شعب أبي طالب الذى يقع شرق مكة ، وطال الحصار حتى بلغ الثلاث سنوات [2].

لم يؤثر الحصار على الرسول صلى الله عليه وسلم وصحبه بل زادهم تمسكا بدينهم ، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم ينتهز فرصة الحج ليخرج ويدعو القبائل الى الاسلام ٠ وفي العام الذى انتهت فيه المقاطعة وبعد ثمانية أشهر من انتهائه مات أبو طالب وماتت خديجة وبعده بثلاثة أيام ، وكان عمر الرسول صلى الله عليه وسلم تسعا واربعين سنة ، وسمي ذلك العام بعام الحزن ٠

حزن الرسول صلى الله عليه وسلم على وفاة عمه وزوجته لأنهما كانا سندا عظيما له ، فاشتد أذى قريش له ولصحبه ولكن الرسول واتباعه تحملوا الاذى ، وازدادوا تمسكا بالدين ٠

خرج الرسول الكريم الى الطائف لعله يجد مخرجا للمسلمين ، ولعله يجد انصارا له خاصة وان قبيلة ثقيف من اهم قبائل العرب بعد قريش ، لكنه لم يجد من قبيلة ثقيف الا الجحود والاعراض ، حتى وبعد ان أغروا به عبيدهم وسفهاءهم يسبونه ويقذفونه بالحجارة حتى لجأ الى

---

(١) ابن قبيبة : المصارف ص ٧٨ ٠

(٢) ابن الاثير : الكامل في التاريخ ج ٢ ص ٨١٠

حديقة فجلس في ظل شجرة ، وقد أخذ منه التعب كل مأخذ ودميت عقبة ، وضاق صدره ، واشتد به الكرب والبلاء ، فاتجه الى الله بهذا الدعاء : " اللهم اليك أشكو ضعف قوتي ، وقلة حيلتي ، وهواني على الناس أنت أرحم الراحمين ، أنت رب المستضعفين ، أنت ربي الى من تكلني ؟ الى بغيض يتجهمني ؟ أو الى عدو ملكته امري ؟ ان لم يكن بك غضب عليّ فلا أبالي ولكن عافيتك هي أوسع لي ، أعوذ بنور وجهك الذي اشرقت به الظلمات ، وصلح عليه أمر الدنيا والاخرة من أن تنزل بي غضبك او يحل عليّ سخطك ، لك العتبى (الرضا) حتى ترضى ، ولا حول ولا قوة الا بك ")) [1].

رجع الرسول صلى الله عليه وسلم متعبا بما حدث له في الطائف ليجد قومه بانتظاره ليمنعوه من الدخول الى مكة ، فاستجار بالمطعم بن عدى فأجاره وحماه وعاد الى منزله .

عاد الرسول صلى الله عليه وسلم الى مكة وقلبه مفعم بالحزن واللوعة على ما أصابه ولكن الله أراد أن يطمئنه بمشاهدة أياته ، فكان الاسراء الى بيت المقدس ثم العروج الى السماوات ، ولقي من لقي من الانبياء ، ورأى جنة المأوى ، وسدرة المنتهى في السماء السادسة ، وفرضت الصلاة في تلك الليلة ، وكان قد بلغ من العمر احدى وخمسين سنة وأشهرا ، وقيل ان الاسراء كان في المنام ولكن معظم السلف وعامة المتأخرين من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين أكدوا أنه أسرى بجسده صلى الله عليه وسلم [2].

---

(١) ابن اسحق : سيرة النبي ج١ ، ص ٢٨٦ .
(٢) ابن بيليك : الجوهر الثمين ـ مخطوط ص ١١ .

لقد أعطت حادثة الاسراء والمعراج للرسول القوة على الرغم من أن قريشا لم تصدقها ، فاستمر في الدعوة الى الاسلام ، وأخذ يكرر لقاءاته مع القبائل العربية في مواسم الحج ، فيعرض نفسه على وفودهم ويدعوهم الى نصرته ويتلو عليهم القرآن الكريم ، وقريش تتعرض له والى من تبعه ، واكثرهم في ذلك أبو لهب ، وكان الكثير من الوفود العربية من يحسن الاستماع ومنهم من يعرض ، ويصرح بالاذى ، ومنهم من يشترط الملك ، فيرد الرسول الأمر الى الله تعالى ·

لم تثن الرسول صلى الله عليه وسلم ما لاقاه من الوفود العربية واستمر في لقائهم في مواسم الحج ، وفي احدى المواسم لقي الرسول صلى الله عليه وسلم ستة نفر من الخزرج فدعاهم الى الاسلام ، فاستجابوا له وآمنوا وأسلموا ، وعادوا الى المدينة ، وأخذوا يدعون الى الاسلام حتى انتشر فيها ، ولم تبق دار من دور الانصار الا وفيها ذكر النبي عليه الصلاة والسلام ثم قدم في العام التالي سنة (٦٢١م) من الاوس والخزرج اثنا عشر رجلا منهم خمسة من الستة الذين أسلموا في العام السابق ، فبايع هؤلاء الرسول عليه السلام عند العقبة ، وتعرف هذه بيعة العقبة الاولى ، وبعث معهم الرسول عليه السلام مصعب بن عمير ليعلم من أسلم منهم القرآن الكريم وليفقههم في الدين ، فنزل في يثرب على أسعد بن زرارة وكان يؤمهم بالصلاة وأسلم على يديه خلق كثير [1].

ثم عاد مصعب بن عمير في الموسم الثاني الى مكة ومعه عدد ممن أسلم من الاوس والخزرج للاجتماع بالنبي عليه السلام ، وتم الاجتماع في العقبة ، فبايعوا الرسول على أن يمنعوه مما يمنعوا منه نساءهم وابناءهم

---

(١) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ج٢ ، ص ١٢ ·

وأن يرحل اليهم هو وأصحابه .

كان عدد الذين بايعوا تلك الليلة ثلاثا وسبعين رجلا وامرأتين ، واختار الرسول صلى الله عليه وسلم منهم اثني عشر نقيبا يكونون على قومهم ، تسعة من الخزرج وثلاثة من الاوس وقال لهم أنتم كفلاء على قومكم ، وأنا كفيل على قومي [(1)].

ولما تمت البيعة أمرهم الرسول صلى الله عليه وسلم بالعودة الى رحالهم ، فرجعوا لكن قريش سمعت بخبرهم ، فخرجوا في طلبهم ، فأدركوا سعد بن عبادة (من الخزرج) فجاءوا به الى مكة يضربونه ويجرونه حتى خلصه جبير بن مطعم ، والحرث بن أمية [(2)].

أخذ أهل يثرب يأتون الى رسول الله عليه وسلم في مكة ، فاغتاضت قريش فاشتد أذاهم على المسلمين ، فأمر أصحابه بالهجرة الى المدينة فخرجوا تباعا ، ولم يبق في مكة من المسلمين مع رسول الله عليه السلام الا ابو بكر ، وعلي بن أبي طالب ، وكان الرسول ينتظر أن يؤذن له بالهجرة الى يثرب .

٣ - الهجرة :-

كان الرسول صلى الله عليه وسلم ينتظر أن يأذن له الله تعالى بالهجرة الى يثرب حتى يلحق بصحبة ، وعندما علمت قريش ان الرسول عازم على الهجرة ، فاجتمع زعماءها في دار الندوة ليتشاوروا فيما يصنعون بمحمد

---

(١) ابن اسحق : سيرة النبي ج٢ ، ص ٣٠٣ .

(٢) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ج٢ ، ص ٣٦٦ .

بعد ان عظم أمره واشتد خطره و وأخيرا أخذوا برأى ابي جهل بن هشام ، وكان رأيه أن يؤخذ من كل قبيلة شابا جلدا ، ثم يعطي كل منهم سيفا صارما ، ثم يذهبون ليه فيضربوه ضربة رجل واحد، فيقتلوه ، فيتفرق دمه بين القبائل ، ويرضى بنو هاشم بدية، واستعدوا لذلك من ليلتهم ، لكن الوحي اخبر النبي عليه السلام بخطتهم ، وأمره بالهجرة الى يثرب • قال الله تعالى : **" واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أويقتلوك او يخرجوك ، ويمكرون ، ويمكر الله ، والله خير الماكرين "** (١) •

لقد كشف الله اذن ما يدبره زعماء قريش للرسول ، وجاء فتيانهم حسب مخططهم لمحاصرة بيت الرسول صلى الله عليه وسلم ، فأمر الرسول علي بن ابي طالب أن ينام على فراشه ببرده الخضرمي الاخضر ، ثم خرج فطمس الله تعالى على أبصارهم ووضع على رؤوسهم ترابا ، وأقاموا طول ليلتهم ، فلما أصبحوا خرج عليهم علي ، فعلموا أن النبي عليه السلام قد نجا •

كان أبو بكر الصديق في انتظار الرسول الكريم ، وقد احضر راحلتين، ثم استأجر دليلا خبيرا بطرق الصحراء واسمه عبد الله بن ارقد بن بني بكر بن عبد ضاه وكان كافرا وحليفا للعاص بن وائل لكنهما وثقابه (٢) •

خرج الرسول صلى الله عليه وسلم من مكة في الثاني عشرة من ربيع وفي السنة الثالثة عشرة من البعثة ، (٣) ، فالتقى مع أبى بكر وسار حتى بلغا غار ثور ، واختبأا فيه ثلاث ليال حتى ينقطع الطلب عنهما ، وكان عبد الله بن أبي بكر يأتيهما بعد غروب الشمس بالأخبار ، ويأتيهما

---

(١) سورة الانفال آية (٣٠) •

(٢) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ج٢ ، ص ٣٧٨ •

(٣) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ج٢ ص ٣٨١ •

عامر بن فهيرة مولى أبي بكر وراعي غنمه ، بريح غنمه بالقرب منهما ليأخذا حاجتهما من لبنها ، وكانت اسماء بنت أبي بكر تأتيهما بالطعام.

اما قريش فقد فزعت من خروج الرجل من مكة أشد الفزع فطاردوه في كل مكان وتتبعوا أثاره حتى انتهى بهم المطاف الى ذلك الغار ، ولكنهم وجدوا حمامة راقدة على بيضها ، ووجدوا العنكبوت قد نسج خيوطه على باب الغار ، فعرفت أن ليس فيه أحد ، ورجعوا خائبين ، وهكذا تتجلى عناية الله للرسول في كل خطوة يخطوها ، وفي ذلك يقول عز وجل : " **إلا تنصروه فقد نصرَهُ اللهُ إذْ أخرجَهُ الذين كفَرُوا ثاني اثنين إذْ هُما في الغارِ إذْ يقولُ لصاحبِه لا تحزَنْ انَّ اللهَ معَنا فأنزلَ اللهُ سكينَتَهُ عليه وأيدَّهُ بجنودٍ لم تروْها ، وجعلَ كلمةَ الذينَ كفروا السُّفْلَى وكلمةُ اللهِ هي العُليا واللهُ عزيزٌ حكيمٌ**"(1) .

عاد المشركون الى مكة ، والحقد والالم ملم بهم ، يجرون اذيال الخيبة والفشل ، ولكنهم حاولوا ولاخر مرة ، فجعلوا مائة ناقة مكافأة لمن يرد الرسول صلى الله عليه وسلم اليهم حيا او ميتا .

اخذ يتسابق الطامعون بالفوز في هذه المكافأة وللفخر أمام قريش ، وكان من بين هؤلاء سراقة بن مالك بن جعشم من بني مدلج وكان هدفه الفوز بالمكافأة ويظفر امام أهل مكة الذين أعياهم البحث عن محمد واستسلموا فيّ النهاية الى اليأس والفشل .

اما الرسول صلى الله عليه وسلم فقد قضى ثلاثة أيام في الغار مع أبي بكر ، وبعد أن اطمأنا من مطاردة قريش لهما أتاهما عبد الله بن أرقد براحلتهما فركبا ، وأردف ابو بكر راعي غنمه ومولاه عامر بن فهيرة ، وأتتهما اسماء بنت أبي بكر بطعامهما ، ولما لم تجد ما

---

(1) سورة التوبة : آية (٤٠).

تربط بـه الطعـام شقت نطاقها فربطت (٢) في نصفه الطعام ، وبالنصف الاخر استعملته كنصل لها ، فسميت ذات النطاقين ٠

وفي أثناء سيرها لحق بهم سراقة ، ولما رآه الرسول صلى الله عليه وسلم دعا عليه فغاصت قوائم فرسه في الارض ، فأصابه الفزع ، فناداهم قائلا (أنا سراقة بن جعشم انظروني أكلمكم ، فوالله رلا أرينكم ولا يأتيكم مني شيٌ تكرهون ٠ فقال الرسول صلى الله عليه وسلم لأبي بكر : قل له ماذا تبغي منا ؟ فقال ذلك أبو بكر فأجابه سراقة : اريد أن تكتب لي كتابا يكون آية بيني وبينك ٠ فقال : اكتب له يا ابا بكر ، فكتب له كتابا بما طلب ثم ألقاه اليه ورجع سراقة الى مكة مأخوذا بما وقع له ، مصمما على ابعاد الاذى عن محمد وصاحبه وتضليل كل من يريد الشر بهم (٢)

واصل الرسول صلى الله عليه وسلم مسيره الى يثرب ، فسلك الدليل بهم طريقا غير مألوف ليضلل الاعداء ، ووصل يثرب قريبا من الزوال يوم الاثنين الثاني عشر من ربيع الاول حيث كان الانصار (الاوس والخزرج) بانتظاره ، وعندما وصل الرسول صلى الله عليه وسلم احاط بهم الانصار عن يمين ويسار ، وقد تقلدوا سيوفهم وامتلأت نفوسهم بالفرحة ، فكانت لحظات خالدة في تاريخ الاسلام ، وخرج النساء والصبيان في جو من النشوة يرددون الاناشيد الجميلة ٠

سار الموكب في يثرب ، وكلما مر الرسول على دار من الانصار دعاه اهلها للنزول عندهم وأخذوا بزمام ناقته فيقول لهم الرسول صلى الله

---

(١) ابن الاثير : الكامل في التاريخ ج١ ص ١٠٤ ٠

(٢) ابن اسحق : سيرة النبي ج٢ ص ٣٣٦ ٠

عليه وسلم (دعوها فانها مأمورة) ولم تزل سائرة الى ان أتى دار بني مالك بن النجار ، فركلت ناقته على باب مسجده اليوم [1] .

٤ ـ قيام الدولة الاسلامية في المدينة :ـ

منذ وطئت قدم الرسول صلى الله عليه وسلم يثرب (المدينة) بدأ في تأسيس الدولة الاسلامية ومن الاعمال التي اتخذها في سبيل ذلك :ـ

١ ـ بناء المسجد :

لقد بركت ناقة الرسول صلى الله عليه وسلم في مكان مسجده ، وكانت تلك الارض لفلاحيين في حجر معاذ بن عفرا اسمهما سهل وسهيل ابني عمرو [2] وفيها نخل وقبور للمشركيين ومربد ، ونزل رسول الله عليه السلام عنها وحمل أبو أيوب رحله الى داره فنزل عليه ، وسأل عن المربد فاشتراه من بني النجار بعد أن وهبوه اياه فرفض ، ثم أمر بالقبور فنبشت ، وأمر بالنخيل فقطعت وبنى المسجد باللبن ، اما سقفه فكان من الجريد ، وقد اشترك رسول الله صلى الله عليه وسلم في حمل اللبن والحجارة حتى تم بناء المسجد في جو يملؤه الايمان وتظلله الاخوة والمساواة ٠

كان المسجد بالاضافة الى ألصلوات الخمس مدرسة للتعليم والتهذيب ، استاذها ومعلمها محمد عليه السلام ، وطلابها الصحابة رضوان الله عليهم جميعا ٠

---

(١) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ج١ ص ٥١٦٠

(٢) ابن الاثير : الكامل في التاريخ ج١ ، ص ١٠٩ ٠

كما كان المسجد مكانا لاستقبال الوفود والرسل الذين توجههم الدول للقاء الرسول صلى الله عليه وسلم .

وقد بنى الرسول الكريم حجرتان احدهما لسودة بنت زمعة، والاخرى لعائشة بنت أبي بكر التي تزوجها بعد دخوله يثرب ، ولم يكن الرسول متزوجا غيرهما ، ثم صارت الحجرات كلما تزوج الرسول على عدد زوجاته (١).

ثم بعث الرسول أبا رافع الى بناته وزوجته سودة بنت زمعة فحملهن اليه من مكة (٢).

(٢) المؤاخاة بين المهاجرين والانصار :-

لقد قام الرسول صلى الله عليه وسلم بعد دخوله يثرب (المدينة) بالمؤاخاة بين المهاجرين والانصار ، فقد كانت أهدافه في هذه الظروف التي يمرون بها أن ينظم صفوف المسلمين ، ويربط بينهم برباط متين فعقد بينهم الاخوة النادرة المثال بين المهاجرين والانصار وجعل لها من الحقوق والواجبات ما لاخوة النسب ، وهكذا أصبح المهاجرين والانصار بنعمة الله اخوانا كان موقف الانصار يدل على كرمهم وايمانهم بوحدة المصير لمجابهة العدو المشترك ، فالتفافهم حول المهاجرين ، واتخاذهم اخوة لهم في الدين ومساواتهم لهم في الحقوق، وقسمة الاملاك ولقمة العيش بينهم عوض عن المهاجرين آلآم الغربة وفراق

---

(١) احمد بن بيليك : الجوهر الثمين " مخطوط " ص ١٣.

(٢) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ج ١ ، ص ١٦ .

العشيرة والاهل ، هذا مما ساعد على السرعة في تأسيس الدولة الاسلامية والنصر على الكفار ٠

لم يتكل المهاجرون على الانصار ، بل أخذوا يسعون في طلب الرزق كل حسب مهنته ، فاشتغل الذين لهم خبرة في التجارة بالمتاجرة ، كما فعل عبد الرحمن بن عوف اذ أصبحت له قوافل تجارية [1] اما الذين لم تكن لديهم خبرة فيها فاشتغلوا في الزراعة٠

٣ ـ موقف الرسول من يهود المدينة :ـ

كان يعيش في المدينة بجوار المسلمين اليهود وهم يهود بني قينقاع وبني النضير وبني قريظة ، وكان هؤلاء اليهود اعداء للأوس والخزرج (الانصار) قبل دخولهم الاسلام ، وعندما دخل الرسول صلى الله عليه وسلم المدينة ، وانتشر الاسلام بين الانصار ازدادت عداوة اليهود للانصار وللمسلمين ، فكان من سياسة الرسول صلى الله عليه وسلم وحسن تدبيره أن يبدأ هؤلاء اليهود بالمحبة والمودة ، ويبسط لهم يد الاخوة ، وينفق معهم على التضامن والتعاون حتى تكون المدينة كلها صفا واحدا وقوة واحدة وحتى لا يطمع في المدينة طامع وينال منها عدو ، فكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم معاهدة بين فيها حقوق المسلمين وواجباتهم وحقوق اليهود وواجباتهم ، وقد جاء في هذه المعاهدة : (وان يهود بني عوف أمة مع المؤمنين ، لليهود دينهم ، وللمسلمين دينهم الا من ظلم واثم بينهم فانه لا يوتغ (لا يهلك) الا نفسه وأخلى بيته، وان على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم ، وان بينهم النصر

---

(١) بروكلمان : تاريخ الشعوب الاسلامية ج١ ، ص ٥٢ ٠

على من حارب أهل هذه الصحيفة ، وان بينهم النصح والنصحية ، والبر دون الاثم ، وانه ما كان بين اهل هذه الصحيفة من حدث او اشتجار يخاف فساد ، فان مرده الى الله والى محمد رسول الله ، وان بينهم النصر على من دهم يثرب وان من خرج آمن ومن قعد آمن بالمدينة ، الا من ظلم وأثم وان الله جار لمن بر واتقى [1].

لقد حاول الرسول صلى الله عليه وسلم أن يتقي شر هؤلاء اليهود وغدرهم وخيانتهم ، فمعاملتهم معاملة حسنى ، وحاول ان يقربهم للمسلمين ، ويخلصهم من الحقد ، لكن اليهود على الرغم من هذا فقد غدروا وخانوا وبدأوا بالعدوان فرد الرسول صلى الله عليه وسلم كيدهم الى نحورهم وجعلهم عبرة أمام القرون والاجيال ٠

٤ ـ القضاء على العصبية القبيلية :ـ

كان التعصب للقبيلة من مشكلات العصر الذى كان يعيش فيه الرسول صلى الله عليه وسلم فأخذ يوجهها لصالح الدين الاسلامي ، فبعد أن كانت غاية الفرد في الجاهلية نصرة قبيلته والدفاع عن اهله وعشيرته مهما كانت الدوافع والاسباب اصبحت الغاية فى الاسلام نصرة الحق على الباطل ولو حارب المرء فى هذا السبيل اهله وبينه ، وتبرأ من أمه وأبيه وبذلك اصبحت الحمية الجاهلية عزة اسلامية واخوة دينية ، وأصبح القبلي البغيض تنافسا رشيدا يسعى الى التعمير لا الى التدمير ، وغدا التسابق على المادة او الجاه تسابقا في سبيل الله ، لاعلاء كلمة الحق ورفع راية الاسلام ٠

---

(١) ابن اسحق : سيرة النبي ج٢ ، ص ٣٥١ ٠

تحويـــل القبلـــة من بيت المقدس الى الكعبـــة :ـ

كـان بيـت المقـدس قبلـة للمسلميـن الاولـى ليتميـز عن المشركيـن قبـل الهجـرة ، لكـن الرسـول صلى الله عليه وسلم كـان في شـوق شديـد الـى التوجـه الى بيـت اللـه الحـرام قبلـة أبيـه ابراهيـم عليه السلام ومفخـرة العـرب حيث كانـت مـزارا ومصافـا ، فنـزل قـول الله تعالى : " قـد نـرى تقلب وجهـك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتـم فولـوا وجوهكم شطره ، وان الذين أتوا الكتاب ليعلمون أنه الحـق من ربهـم وما الله بغافل عما يعملـون "[1]

لقـد صـدر الامـر الالهـي للرسـول وللمسلميـن بالتحول من بيـت المقدس الى الكعبـة ، واصبحت الكعبـة قبلـة المسلميـن في شعبان علـى رأس سبعـة عشـر شهـرا من مقـدم الرسول المدينـة[2]. وحـاز المسلمـون بذلـك الشـرف ليكونـوا من اهل القبلتين ٠

فتحـول المسلميون في قبلتهـم من بيـت المقـدس الى الكعبة كـان عامـلا عامـا وأساسـا متينـا في بنـاء الدولـة الاسلاميـة ، فقـد ساعـد على تأليـف القلـوب في ارجـاء الجزيـرة العربيـة وساعـد على تأليـف قلوبهـم نحـو الاسـلام ، حتى أشرفـت بـه الجزيـرة العربيـة ثم الى سائـر انحـاء العالـم ٠

---

(١) سـورة البقـرة : آيـة (١٤٤) ٠

(٢) الطبـرى : تاريخ الرسل والملوك ج٢ ، ص ٤١٦ ٠

المواجهة في مكة والقبائل العربية :-

مقدمة :

لقد رأينا الرسول صلى الله عليه وسلم وصحبه في مكة كيف كانوا يتعرضون الى صنوف شتى من الاذى والعذاب ، فصبروا واحتملوا ، واستمر الرسول الرسول صلى الله ليه وسلم وصحبه في نشر الدعوة الى الاسلام.

وعندما هاجر الرسول صلى الله عليه وسلم الى المدينة ، ووضعت أسس الدولة الاسلامية ، واستمر المشركون في التصدى للمسلمين في كل مكان ، والعمل على عدم انتشار الاسلام ، أمر الله الرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمين بقتال المشركين وقد أذن الله لرسوله وللمؤمنين بأن يقاتلوا في سبيل الله في آيات لأمور منها الدفاع عن النفس ، وفي ذلك قوله تعالى " أُذِنَ للذينَ يُقاتِلونَ بأنَّهم ظُلموا، وأنَّ اللَّهَ على نصرهم لقَدِير الذين أُخْرِجُوا من دِيَارِهم بِغَيْرِ حَقٍّ إلَّا أنْ يَقُولُوا رَبُّنا اللَّهُ ولَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهم ببعضٍ لَهُدمتْ صوامعُ وبيعٌ وصلَواتٌ ومساجدُ يُذْكَرُ فيها اسمُ اللهِ كثيراً ولينصرنَّ اللَّهُ مَن ينصرهُ إنَّ اللَّهَ لقويٌ عزيزٌ الذينَ ان مكناهم في الارض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاةَ وأمَرُوا بالمعروفِ ونَهَوا عن المنكرِ وللَّهِ عاقبةُ الأُمور ". (١)

وفي آية اخرى قوله تعالى (وقاتلوا في سبيل الله الذينَ يقاتلونَكم ولا تَعْتَدُوا إنّ اللهَ لا يُحبُّ المعتدينَ واقتلُوهم حيث ثَقِفْتُموهم وأخرجُوهم من حيثُ أخْرَجُوكم والفتننة أشدُّ من القتل ولا تُقاتلُوهم عند المَسْجِد الحَرام حتى يُقاتِلوكم فيه فإنْ قاتلوكم فاقتُلُوهم كذلكَ جزاءُ الكافرين . (٢)

---

(١) سورة الحج آية (٣٩ ـ ٤١).

(٢) سورة البقرة آية (١٩٠ ـ ١٩١) .

كما اذن الله تعالى للرسول صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين بالقتال للدفاع عن الدعوة وتأمين من يريد الدخول في الدين الاسلامي ، فقال تعالى : " **وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله فإن انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين** ." (١)

وعندما اتحدت قبائل العرب بزعامة قريش لقتال الرسول صلى الله عليه وسلم والقضاء على الاسلام ، أمر الله رسوله بقتال المشركين كافة فقال تعالى : " وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة (٢) .

اما اذا جنح الأعداء الى السلم حتى ولو كانوا يريدون به الخداع ويخفون وراءه الاطماع فان الله يطالب المسلمين بالجنوح اليه وفي ذلك يقول الله تعالى : وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله إنه هو السميع العليم وإن يريدوا أن يخدعوك فإن حسبك الله هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين " (٣) .

كما بين الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم كيف يعامل الذين لا يحافظون على العهود ، فعندما نقض يهود المدينة عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وانضموا الى مشركي قريش لقتاله ، قال الله تعالى :
" **وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء إن الله لا يحب الخائنين**" (٤) .

وقد حث الله المسلمين على القتال وبشرهم بالنصر وبالنعيم

---

(١) سورة البقرة آية (١٩٣) .

(٢) سورة التوبة آية (٣٦) .

(٣) سورة الانفال آية (٦١ - ٦٢) .

(٤) سورة الانفال أية (٥٨) .

في الحياة الاخرة فقال الله تعالى : " فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالاخرة ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل او يغلب فسوف نؤتيه أجرا عظيما " [1].

كما طلب الله تعالى المسلمين بعدم الفرار من المعركة خوفا من الموت ، ولكنه سمح لهم بخداع العدو والانسحاب لتغيير الموقع الذين هم فيه الى موقع افضل ، اما الذين يفرون من المعركة فلهم العذاب الشديد في جهنم فقال تعالى : " يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الادبار ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال او متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير " [2].

مما تقدم نرى أن الله تعالى قد أذن للرسول صلى الله عليه وسلم بمقاتلة الكفار للدفاع عن النفس وحماية الدين الاسلامي ، ولنشره في الجزيرة العربية والبلاد المجاورة ، وهذا لا يتأتى الا بالتصدى لقريش والقبائل العربية الاخرى ليبعد عن المسلمين اذاهم وتحديهم له، ومن أجل هذا اقام الرسول والمسلمون بغزوات وسرايا [3] ، عديدة ضد قريش والقبائل العربية في الجزيرة العربية ، وضد المشركين في المناطق المجاورة ، وعلى سبيل الاختصار نذكر اشهرها وهي :-

---

(١) سورة النساء آية (٧٤)٠

(٢) سورة الانفال آية (١٥ - ١٦) ٠

(٣) الغزوات هي المعارك التي شارك فيها الرسول صلى الله عليه وسلم ، أما السرية او البعثة فهي المعركة التي لم يخرج فيها بنفسه بل كلف احد اصحابه نيابة عنه ٠

غـزوة بـدر الكبـرى :ـ (٢هـ/ ٦٢٤م)

وهي أول معركة كبيرة قامت بين الحق والباطل ، وكان سببها أن قافلة تجارية لقريش بقيادة أبي سفيان كانت قادمة من الشام في طريقها الى مكة ، فأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعترض طريق القافلة ليفجع قريشا في أموالها كما فجعتهم من قبل في أموالهم وانفسهم فخرج الرسول صلى الله عليه وسلم في اليوم الثالث من رمضان من السنة الثانية للهجرة وأمر كل من كان جاهزا للخروج ، وعندما علم أبو سفيان بخروج المسلمين استنجد بقريش ثم غير الطريق الذى اعتاد أن يسلكه وسار بجانب الساحل ، وتسلل الى مكة دون أن يفقد من تجارته شيئا ٠

خرجت قريش باعداد كبيرة يتراوح بين تسعمائة وألف ، وكان بينهم العباس بن عبد المطلب عم الرسول وأبو جهل ، أما عدد المسلمين فكان ثلاثمائة وأربعة عشر رجلا وأمامهم في مسيرهم رايتان سوداوان احداهما مع علي بن أبي طالب والاخرى مع سعد بن معاذ ، انقسمت قريش الى فريقين : فريق يريد الرجوع ما دامت التجارة قد نجحت ، وفريق يقوده أبو جهل يريد الحرب ونزل هذا الفريق عند بدر خلف كثيب من الرمال ، أما المسلمون فقد بادروا الى ماء بدر فنزلوا حوله٠

بدأت المعركة على شكل مبارزة فردية ، ثم التقى الفريقان في صبيحة يوم الجمعة السابع عشر من شهر رمضان ، [1] ٠ ، وكان الرسول يحث المؤمنين على الجهاد ، ويحرضهم على القتال في سبيل الله ،

---

(١) الطبري : تاريخ الرسل والملوك ج٢ ص ٤٤٦ ٠

وكان لوجود الرسول عليه السلام بين صفوف المسلمين أعظم الاثر في تقوية روحهم المعنوية وشحذ عزائمهم فحملوا على الكفار حملة صادقة وأمدهم الله بجنود من عنده ونزلت الآية الكريمة :

" اذ تستديثون ربكم فاستجاب لكم اني امدكم بألف من الملائكة مردفين" [1] .

انتهت المعركة بانتصار المسلمين ، وبلغ قتلى قريش سبعين رجلا من بينهم حنظلة بن أبي سفيان بن حرب ، وابنى سعيد بن العاص عبيد ، والعاص ، وأبي جهل بن هشام وأمية بن خلف وابنه وعمرو بن أبي سفيان بن حرب ، كما اسر سبعون مثلهم [2] ، واستشهد من المسلمين اربعة عشر رجلا ، وأطلق المسلمون على هذه المعركة (الغزوة) غزوة الفرقان لان الله فرق بين الحق والباطل ٠

عاد الرسول صلى الله عليه وسلم وصحبه الى المدينة منتصرا ، ولكنه واجهته قضية الاسرى من قريش ، وكان قد وزعهم على اصحابه واوصاهم بحسن رعايتهم ، ثم استدعى الرسول صلى الله عليه وسلم اسحابه وشاورهم في أمر هؤلاء الاسرى ، وحدث جدال ونقاش ، وانتهت الامر الى اخذ الفداء عن الاسرى ، فاعلن ذلك للاسرى وعشائرهم ، فأسرعوا في تقديم الفدية ، ومن عجز عن تقديم الفدية وكان قارئا [3] كانت فديته ان يعلم القراءة والكتابة لعدد من اولاد المسلمين لا يقل عن عشرة اسخاص ٠

وبعد فقد كانت غزوة بدر درسا عمليا تجلت فيه ثمرة الايمان فنصر الله المسلمين وهم قلة لانهم امنوا بالله واخلصوا الايمان

---

(١) سورة الانفال : آية (٩) ٠

(٢) ابن قتيبة : المعارف ص ٦٨ ٠

(٣) الطبري : تاريخ الرسل والملوك ج٢ ، ص ٤٧٦ ٠

وخذل الله المشركين وهم كثرة لانهم حادوا عن الحق وابتعدوا عن الايمان.

كان انتصار المسلمين في غزوة بدر محركا لنزوات الشر لدى النفوس الخبيثة والطباع اللئيمة ، فقد شعر اليهود في المدينة بعد هذه الغزوة بازدياد قوة المسلمين فامتلأت نفوسهم حقدا وأخذوا يتكلمون في الرسول صلى الله عليه وسلم وفي المسلمين ويطعنون عليهم ويتربصون بهم الدوائر على الرغم من وجود العهود والمواثيق بينهم وبين المسلمين -

وكان يهود بني قنيقاع يقيمون في جوار المسلمين بالمدينة، فقدمت الى سوق اليهود امرأة من نساء الانصار فاعتدى عليها يهودى من بني قنيقاع فصاحت المرأة فوثب رجل من المسلمين على اليهودى فقتله ، واجتمع اليهود على المسلم فقتلوه ، فدعا الرسول صلى الله عليه وسلم رؤساءهم وحذرهم عاقبة البغي ونكث العهد ، ولكنهم استخفوا بوعيده ، ثم تظاهروا بالعداوة .

وتحصنوا في حصونهم ، فسار اليهم الرسول صلى الله عليه وسلم في شهر شوال من السنة الثانية للهجرة يحمل لواءه عمه حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه فحاصرهم خمس عشرة ليلة متتابعة ولما رأوا أنه لا فائدة من عنادهم وأنهم لا طاقة لهم بمقاومة المسلمين ، سألوا الرسول صلى الله عليه وسلم ان يخلى سبيلهم فيخرجوا من المدينة ولهم النساء والذرية وللمسلمين الاموال فقبل الرسول صلى الله عليه وسلم ذلك ، ورحلوا عن المدينة الى أذرعات الشام (1) ،

---

(1) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ج٢ ، ص ٤٨٢

وكانت هذه نهاية يهود بني قنيقاع في ارض الحجاز وتلك نهاية الخيانة في كل عصر وحين .

غزوة أحد :- (٣هـ/ ٦٢٥م)

عادت قريش من معركة بدر تتوجع وتتألم على قتلاها ، وأخذوا منذ ذلك اليوم يتهيأون ليوم أخر للانتقام من الرسول والمسلمين، ولاسترجاع هيبتهم بين القبائل العربية .

وكانت القوافل التى كانت سببا في غزوة بدر قد ربحت ربحا كثيرا فعرض أصحابها على أبى سفيان أن تترك أموالها من أجل الاستعداد للجولة الثانية وللانتقام من المسلمين ، فخرجت قريش من مكة بأحابيشها وحلفائها فيّ شوال سنة ثلاث للهجرة ونزلوا عند بعض السفوح من جبل أحد على بعد خمسة اميال من المدينة [1].

علم الرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمين بذلك المكان الذى نزل فيه المشركون فجمع الرسول اصحابه واستشارهم ، فأشار بعضهم بالاعتصام بالمدينة ، ولكن الشبان وخصوصا من لم يشهد بدرا اشاروا بالخروج وملاقاة المشركين خارج المدينة ، فاتبع الرسول صلى الله عليه وسلم رأيهم لأنهم الاكثر عددا والاقوى جلدا .

كان جيش المشركين يبلغ ثلاثة الاف ، وكان جيش المسلمين لا يزيد على سبعمائة ، فرتب رسول الله صلى الله عليه وسلم الجيش ونظمه تنظيما دقيقا ، فنصب معسكره على سطح جبل أحد المواجه للمدينة ،

---

(١) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ج٢ ، ص ٥٠٠ .

وكانت قريش في اسفله ، وهنا تظهر عبقرية الرسول الحربية فقد حصن مواقع جيشه ، واحتمى بالجبل ووضع الرماة في اعلاه ليحموا ظهر الجيش ، وكان عددهم خمسين راميا وأوصاهم الا يتخلوا عن مكانهم مهما كانت النتائج (١) ، بدأت المعركة على عادة العرب بالمبارزة ، وتزعم المشركين أبو سفيان بن حرب ، وكان على رأس فرسانهم خالد بن الوليد فكان النصر في جانب المسلمين ، ثم حملت خيالة المشركين على المسلمين ثلاث مرات ، ففي كل مرة ينضحهم المسلمون بالنبل فيتقهقرون ، ثم اشتد القتال وكان نساء قريش يمشين خلال الصفوف يضربن بالطبول والدفوف وعلى رأسهن هند بنت عتبة زوجة أبي سفيان (٢) .

ثم حمل المسلمون على لواء المشركين فكان اذا سقط اللواء من يد واحد أخذه من خلفه فيحمل عليه المسلمون فيقتلونه ، حتى قتل حملة اللواء من المشركين ، ولما لم يقدر أحد الدنو منه ولوا الادبار ونساؤهم يبكين ويولولون وتبعهم المسلمون يجمعون الاسلاب ولما رأى الرماة المسلمين يجمعون الاسلاب والغنائم نسوا امر الرسول لهم ، فتركوا موقعهم ونزلوا الى مكان القتال ليجمعوا ما يستطيعون من تلك الاموال التي خلفها المشركون ، فانتهز خالد بن الوليد هذه الفرصة واستولى على مواقع الرماة واثخن ظهور المسلمين من خلفهم ، فاضطربت احوال المسلمين واختل نظامهم ، ثم صاح ابن

---

(١) ابن قتيبة : المعارف ص ٧٠ .

(٢) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ج٢ ، ص ٥١٢ .

قتيبة المشرك قائلا ان محمد قد قتل ، فتخاذل المسلمون ودب اليأس في قلوبهم ، ولكن المؤمنين وعلى رأسهم أنس بن النضر صاح بقول: (ماذا تصنعون بالحياة من بعده ؟ فموتوا على ما مات عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم) (1) •

والتف الصحابة حول الرسول يصدون عنه سهام المشركين ، وكان على رأسهم طلحة بن عبيد الله الذى تلقى حوالى أربعين سهما ، وهكذا استبسل كثير من المسلمين فى الدفاع عن الرسول ، وشجج رأس الرسول وكسرت رباعيته ، واستمات المسلمون بعد ذلك فى القتال ولكن دون جدوى فاضطروا الى الانسحاب والصعود فى الجبل بعد أن قتل منهم سبعون شهيدا ، وقد استشهد في هذه الغزوة حمزة بن عبد المطلب ومثلت به هند وزجة أبى سفيان بعد قتله فبقرت بطنه وأخرجت كبده فمضغتها بأسنانها ثم لفظتها وقد حزن الرسول على عمه اشد الحزن وسجاه ببردته وصلى عليه ثم دفن ودفن سائر الشهداء(2) •

وبعد ذلك عاد الرسول والمسلمون الى المدينة يحز فى نفوسهم الألم لما أصابهم ويتطلعون الى يوم قريب يشفى الله فيه صدورهم ويذهب غيظ قلوبهم •

لقد كانت هذه الغزوة وما نتج عنها درسا قاسيا علم المسلمين كيف يحافظون على مواقعهم ولا يتركونه لجمع الاسلاب ، كما أن هذه الغزوة كشفت عن المنافقين الذين ظهر السرور والفرح على وجوههم •

---

(1) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ج٢ ، ص ٥١٧ •

(2) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ج٢ ، ص ٥٢٩ •

غــــزوة بنــي النضيــر :-

حــاول بنـو النضيـر قتـل الرسول صلى الله عليه وسلم عندما كــان جالسـا مـع أبـي بكـر وعمـر وعلـيّ ونفـر من اصحابـه الى جـدار مــن جـدرانهم ، فكلـف بنـو النضيـر رجـلا لقتـل الرسول صلى الله عليه وسلـم بالقـاء صخـرة عليـه من فـوق ظهـر البيـت ، فأوحـى الله بذلـك الى نبيـه فقـام ولم يشعـر احـد ممـن معـه واستبطـأوه واتبعـوه الى المدينـة [1]، وامـر أصحابـه بالتهيـؤ لحربهـم فنهـض في شهـر بيـع الاول من السنـة الرابعـة للهجـرة متوجهـا الى يهـود بنى النضيـر فتحصنـوا منـه في الحصــون فحاصرهـم ست ليـال ، وأمـر بقطـع النخـل واحراقهـا ، ولمـا يئس اليهــود من نصـرة عبـد اللـه بن أبى الـذى شجعهـم على مخالفـة الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولـم يتقـدم أحـد لنجدتهـم ، سألـوا الرسـول أن يؤمنهـم على أموالهـم ودمائهـم وذراريهـم حتى يخرجـوا من المدينـة ، فصالحهـم رسول الله علـى ان يخرجـوا منهـا ولكـل ثلاثـة منهم بعيـر يحملـون عليـه ما شاءوا مــن مـال أو طعـام او شـراب ليس لهم غيـره ، وقـد نـزل بعضهـم بخيبـر وسـار الباقـون الى أذرعـات بالشـام [2].

وقـد تـرك بنـو النضيـر وراءهـم خمسيـن درعـا وثلاثمايـة واربعين سيفـا ، وأمـا الارض فقـد استبقـى الرسول قسمـا منها جعلت غلتـه للفقـراء والمساكيـن وأعطـى القسم الباقى للمهاجريـن الاوليـن .

---

(١) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ج٢ ، ص ٥٥١ .

(٢) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ج٢ ، ص ٥٥٣ .

غـزوة الأحـزاب " الخنـدق " (٥هـ/ ٦٢٧م) ٠

التقـى فى هـذه الغـزوة ألوانـا من المتناقضـات التي تجمعت فى جبهـة واحـدة لعرقلـة المـد الاسلامـي ، لقـد التقـى أهـل الكتـاب مع اليهـود مـع اهـل الوثنيـة وهي العمـل على اخفـاض صـوت الاسـلام في مهده الاول ٠

ففي السنـة الخامسـة للهجـرة ، أخـذ اليهـود من بنى النضير يحرضون على حـرب الرسـول صلى الله عليه وسلم ويرغبـون النـاس بالمـال ، فذهـب سـلام بن أبي حقيـق ، وكنانـة بن الربيـر ابن حصـن ، وخرجـت قريـش وقائدهـا أبو سفيـان بـن حـرب فى عشـرة الاف فى شـوال من السنـة الخامسـة للهجـرة ، ولمـا سمـع بهم الرسـول صلى الله عليه وسلم أمـر بحفـر الخنـدق علـى المدينـة وعمـل فيـه بيـده والمسلمـون معـه ، ويقـال أن سلمـان الفارسـى أشـار بذلـك [1].

أقبلـت جمـوع الاحـزاب ونزلـوا بظاهـر المدينـة وخـرج عليـه السـلام فى ثلاثـة الاف من المسلميـن ونـزل بسطـح سلـع والخندق بينـه وبين المشركيـن [2].

ومـما زاد الامـر سـوءا علـى المسلميـن عندمـا استطـاع حيي بـن اخطـب من اقنـاع يهـود بنى قريظـة بنقـض العهـد وانضمـوا الى الاحزاب [3] ٠

أخـذ فرسـان قريـش يهاجمـون المسلميـن ، واقتحمـوا الخندق مـن مكـان ضيـق حتى جالـت خيلهـم بين الخنـدق وسلـع ودعوا الى البـراز ، وقتـل

---

(١) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ج٢ ، ص ٥٦٦ ٠

(٢) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ج٢ ، ص ٤٧١ ٠

(٣) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ج٢ ، ص ٥٧١ ٠

علي بن أبي طالـب عمرو بن ود ورجعـوا الـى قومهـم من حيث دخلوا [1].

واصيـب في بعض تلك الأيـام سعـد بن معاذ فقطع عنـه الاكـل ، واشتـد الحال على المسلميـن وطال الحصـار ، لكن اللـه أرسـل الى المسلميـن من يساعـد على نصرهـم ، فأتـى نـعيم بـن مسعـود الأشجـعي من غطفـان ، فقـال : يا رسـول اللـه اني أسلمت ولم يعلم قومـي ، فمرنـي بمـا تشـاء ، فقـال الرسـول صلى الله عليـه وسلم (انمـا انت فينـا رجـل واحـد فخذل عنـا ان استطعت فان الحرب خدعة) [2] ، فخرج فأتى بني قريظـة وكان صديقهم في الجاهليـة فقـال : يا بني قريظـة قـد عرفتـم ودي اياكـم ، وخاصـة ما بينـي وبينكـم ، قالـوا : صدقـت ، لست عندنا بمتهم ، فقـال لهم : ان قريشـا وغطفـان ليسـو كانتـم ٠٠٠ البلد بلدكـم فيه أموالكـم وابناؤكم ونساؤكم ، لا تقدرون أن تحولـوا منـه الى غيـره ، وان قريشا وغطفان قد جاءوا الحرب محمـد وأصحابـه وقـد ظاهرتموهم عليـه ٠ وبلدهـم وأموالهم ونساؤهـم بغيـره فليسـوا كأنتم ٠ فان رأوا نـهزة أصابوهـا ، وان كـان غير ذلـك لحقـوا ببلادهـم ، ودخلـوا بينكـم وبيـن الرجـل ببلدكم ولا طاقـة لكم بـه ان خلا بكـم فلا تقاتلـوا مع القـوم حتى تأخـذوا منهم رهنـا مـن اشرافهـم يكونـون بأيديكـم ثقـة لكـم ، على أن تقاتلـوا معهم محمـدا حـتى تناجـزوه ، فقالـوا لقـد أشرت بالـرأى ٠

ثم اتى أبا سفيـان وقريشا فقال لهم : ان اليهود قد ندمـوا وراسلـوا محمـد فى المـوادعـة على ان يسترهنوا اولادكم ويدفعوهم اليه ، ثم اتى غطفـان ، وقال لهم مثل ما قال لقريش ، فأرسل أبو سفيان وغطفان الى بني قريظـة فـي ليلة سبـت انا لسنا بدار مقام ٠ قـد هلـك الخـف والحافـز فاغدوا للقتـال

---

(١) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ج٢ ، ص ٧٥٤ ٠

(٢) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ج٢ ، ص ٥٧٨ ٠

حتى نناجز محمدا ونفرغ مما بيننا وبينه فأرسلوا اليهم : ان اليوم يوم سبت وهو يوم لا نعمل فيه شيئا ، ومع ذلك لا نقاتل حتى تعطونا ابناءكم رهنا يكونون بأيدينا ثقة لنا حتى نناجز محمدا فأننا نخشى ان ضرستكم الحرب واشتد عليكم القتال أن تنشمروا الى بلادكم وتتركونا ، والرجل في بلادنا ولا طاقة لنا بذلك منه (١) ، فصدقت قريش بقول نعيم ، فردوا عليهم برفض الرهن والحث على الخروج ، فصدق ايضا بنو قريظة كلام نعيم ورفضوا القتال ، وأرسل الله على قريش وغطفان ريحا عظيمة لا تقر لهم قدرا ولا نارا ولا بناء ، وارتحلوا وعادوا من حيث أتوا .

فأمر الرسول صلى الله عليه وسلم المسلمين ان يسيروا الى بني قريظة ليعاقبوهم فذهبوا اليهم وحاصروهم خمسا وعشرين ليلة حتى أهلكهم الحصار ، وقذف الله في قلوبهم الرعب فطلبوا التسليم على أن يترك الحكم فيهم الى سعد بن معاذ فاصدر سعد حكمه عليهم بان يقتل مقاتلهم ، وتسبى نساؤهم وذراريهم وتقسم اموالهم ونفذ الحكم فيهم في الحال (٢) . وقسم الرسول صلى الله عليه وسلم اموالّ بني قريظة بين المسلمين فأسهم للفارس ثلاثة اسهم وللراجل سهما ، وكانت خيل المسلمين يومئذ ستة وثلاثين فارسا (٣) .

---

(١) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ج٢ ، ص ٥٧٩ .

(٢) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، ج٢ ص ٥٨٧ .

(٣) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، ج٢ ، ص ٥٩١ .

صلح الحديبية :ـ (٦هـ/ ٦٢٨م) ٠

خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذى القعدة من السنة السادسة للهجرة بمن معه من المهاجرين والانصار لقضاء العمرة، لا يريد هذه المرة قتالا ، وساق الهدى واحرم من المدينة ، وبلغ ذلك قريشا ، فأجمعوا على صده عن البيت وقتاله دونها ، وقدموا خالد بن الوليد فى خيل الى كراع الغميم ، فبلغ الرسول صلى الله عليه وسلم بعسفات فسلك على ثنية المرار حتى نزل الحديبية من اسفل مكة وجاء من خلفهم ، فعاد خالد بن الوليد فى خيله الى مكة ٠

ثم جرت السفراء بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين كفار قريش ، وبعث عثمان بن عفان رسولا ، وشاع الخبر أن المشركين قتلوه ، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين وجلس تحت شجرة فبايعوه على الموت وان لا يفروا ، وتعرف هذه البيعة ببيعة الرضوان [١] ٠

لم يطل الامر بالرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمين اثر بيعة الرضوان ، فقد اتضح ان اشاعة قتل عثمان بن عفان لا أساس لها ، وانها فرية الغرض منها احداث فتنة بين المسلمين وأهل مكة ، وقد استطاع عثمان بن عفان ان يجرى عدة اتصالات مع رجال قريش ثم استقر الرأى أن يتم الصلح بين الفريقين ، وأرسلت قريش سهيل بن عمرو العامرى مزودا بالتعليمات لاتمام الصلح فخرج سهيل حتى أتى النبى صلى الله عليه وسلم فى الحديبية ، فتكلم مع الرسول فى أمر انهاء الحرب بيه وبين قريش [٢] ، فتم الاتفاق على الأسس التالية :ـ

---

(١) ابن قتيبة : المعارف ص ٧١ ٠

(٢) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ج٢ ، ص ٦٣٤ ٠

١ ـ يرجع الرسول وأصحابه هذا العام دون دخول مكة ، على أن يسمح للمسلمين بدخولها في العام القادم ، ويقيمون بها ثلاثا معهم من السلاح السيوف بعد ان تخرج قريش منها ٠

٢ ـ وضع الحرب بين الطرفين عشر سنين ٠

٣ ـ من أتى محمدا من قريش من غير اذن وليه رده عليهم ومن جاء قريشا ممن مع محمد لم يردوه عليه ٠

٤ ـ من أحب الدخول في عقد قريش وعهدها فله ذلك ، ومن اراد ان يدخل في عهد محمد من غير قريش دخل فيه ٠

وكتب هذا الاتفاق علي بن أبي طالب رضي الله عنه [١].

ولما تم الصلح ، أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينحروا ويحلقوا ، وخرج الرسول صلى الله عليه وسلم ونحر وحلق رأسه ، ثم رجع المسلمون الى المدينة ٠

لقد كان الرسول صلى الله عليه و سلم سياسيا بعيد النظر في عقد هذا الصلح اذ انه أمن جانب قريش لمدة عشرة سنوات ، اخذ في اثنائها ينشر الدعوة الاسلامية في بقية اجزاء شبه الجزيرة العربية ، وكان عليه السلام عبقريا في قبوله بعض شروط الصلح ليقينه بأنه اذا ذهب مسلم الى قريش ليرتد عن دينه فان الاسلام غني عنه ، ولأنه لم يكن يهتم بدخول افراد من قبيلة قريش في الاسلام لان الدين عقيدة خافية في النفس لا تستطيع القوة منها ولان الرسول اتبعه نحو نشر الاسلام بين القبائل الاخرى تاركا قريش جانبا بعد ما اشعرها بقوة المسلمين ومقدرتهم العسكرية ـ

---

(١) الطبري : تاريخ الرسل والملوك ج٢ ، ص ٦٣٦ ٠

ارسال الرسل الى الملوك والامراء :-

أرسل الرسول صلى الله عليه وسلم فيما بين الحديبية ووفاته من اصحابه الى ملوك العرب والعجم دعاة الى الله عز وجل ، فبعث سليط بن عمرو بن عبد شمس ابن ود الى هوذة بن على صاحب اليمامة ، وبعث العلاء بن الحضرمي الى المنذر بن ساوى صاحب البحرين ، وعمرو بن العاص الى جيفر بن جلندى بن عامر بن جلندى صاحب عمان ، وبعث حاطب بن ابى بلتعة الى المقوقس صاحب الاسكندرية ، فأدى اليه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهدى المقوقس الى الرسول اربع جوار منهن ماريا ام ابراهيم ابنه [1] ، وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم دحية بن خليفة الكلبي الى قيصر ملك الروم هرقل ، فوصل الى بصرى وبعثه الى صاحب بصرى والى هرقل ، فقرأ الكتاب واذا فيه : (بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى هرقل عظيم الروم ، السلام على من اتبع الهدى ، أما بعد أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين) .

فطلب هرقل من مملكته من قوم النبي عليه السلام فأحضروا له من غزة وكان فيهم ابو سفيان فسأله فأجابه ، فعرف صحة امره ، وعرض على الروم اتباعه ، ولكنه عندما رأى معارضتهم ، ولا طفهم بالقول [2] .

وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم شجاع بن وهب الاسدى الى الحرث بن شمر الغساني صاحب دمشق وكتب معه : السلام على من اتبع الهدى وآمن به أدعوك الى أن تؤمن بالله وحده لا شريك له ، يبقى لك ملكك) فلما

---

(١) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ج٢ ، ص ٣٦ .

(٢) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ج٢ ، ص ٦٤٩ .

قرأ الكتاب قال : من ينزع ملكي ، أنا سائر اليه فقال النبي صلى الله عليه وسلم باد ملكه (1) .

وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن أمية الضمرى الى النجاشي في شأن جعفر ابن ابي طالب وأصحابه وكتب معه كتابا -(بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى النجاشي عظيم الحبشة، سلام عليك ، فاني احمد اليه الله ، الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن، وأشهد ان عيسى بن مريم روح الله وكلمته القاها الى مريم الطيبة التبول الحمينة فحملت بعيسى فخلقه من روحه ونفخه كما خلق آدم بيده ونفخه ، واني ادعوك الى الله وحده لا شريك له والموالاة على طاعته تتبعني وتؤمن بالذي جاءني فأني رسول الله وقد بعثت اليك ابن عمي جعفرا ومعه نفر من المسلمين ، واني أدعوك وجنودك الى الله فلقد بلغت ونصت واقبلوا نصحي والسلام على من ابتع الهدى) فكتب اليه النجاشي الى محمد رسول الله من النجاشي الاصحم بن ابجر (سلام عليك يا رسول الله من الله ورحمة الله وبركاته احمد الله الذي لا اله الا هو الذي هدانا للاسلام اما بعد فقد بلغني كتابك يا رسول الله فما ذكرت من امر عيسى فورب السماء والارض ما نزيد بالرأي على ما ذكرت ، انه كما قلت وقد عرفنا ما بعثت به الينا ، وقد قرينا ابن عمك واسلمت على يديه ولله رب العالمين . وقد بعثت اليه بابني ارها الاصحم بن أبجر فأني لا املك الا نفسي ان شئت أن أتيك فعلت يا رسول الله فأني اشهد ان ما تقول حق والسلام عليك يا رسول الله) (2).

---

(1) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ج2 ، ص 36 .

(2) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ج2 ص 37 .

وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى كسرى وبعث بالكتاب عبد الله بن حذافة السهمي وفيه : (بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى كسرى عظيم فارس سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله أما بعد فأني رسول الله الى الناس كافة لينذر من كان كان حيا ، اسلم تسلم فان أبيت فعليك اثم المجوس) فمزق كسرى كتاب النبي صلى الله عليه وسلم ، فمزق الله ملكه [1].

هكذا اخذ الرسول صلى الله عليه وسلم ينشر الاسلام في بقية اجزاء الجزيرة العربية ، وكان رد الملوك والامراء طيبا .

غزوة خيبر :- (٦هـ/ ٦٢٨م).

لم يأمن الرسول صلى الله عليه وسلم شر اليهود بعد خروجهم من المدينة واجتماعهم في خيبر ، وانضمت اليهم قبائل قنيقاع والنضير وقرروا الاغارة على المدينة لمداهمة المسلمين وكان يتزعم اليهود يهود خيبر وفدك وتيماء ووادي القرى وعندما علم الرسول عليه السلام بذلك رأى ان يهاجمهم في عقر دارهم ، واستعد لغزوهم ، وفي اواخر شهر المحرم سنة سبع للهجرة [2] ، فاجأهم المسلمون ، واضطرب اليهود فولى فريق منهم هاربا ، ثم دارت معركة حامية بين اليهود والمسلمين ، يدفع المسلمين للقتال حب الجهاد في سبيل الله والقضاء على معقل اليهود الاخير ويدفع اليهود حب العيش والبقاء ، ولم يكن اليهود يتركون حصنا من حصونهم الا بعد دفاع مستميت وأخيرا تم النصر للمسلمين واستولوا على خيبر ، وأصاب المسلمون من اهل خيبر سبايا

(١) الطبري : تاريخ الرسل والمولك ج٢ ، ص ٦٥٤ .

(٢) الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، ج٣ ، ص ١٥ .

كان منهم صفية بنت حيي بن اخطب ، فاصطفاها الرسول صلى الله عليه وسلم لنفسه ، وقسمت السبايا بين المسلمين ، وغنم المسلمون اموالا كثيرة.

ثم سأل اهل خيبر رسول الله أن يبقيهم في أرضهم لزراعتها لانهم اعلم بها واعمر لها فقبل الرسول صلى الله عليه وسلم وسمح لهم باستغلالها على ان يكون للمسلمين نصف غلتها [1].

غزوة مؤتة :- (٨هـ/ ٦٢٩م).

رجع الرسول صلى الله عليه وسلم الى المدينة بعد فتح خيبر وأقام فيها شهرين ، ثم أرسل في شهر جمادى الاولى من سنة ثمان للهجرة بعثة الى الشام بقيادة زيد بن حارثة ، وقال : ان أصيب زيد بن حارثة فجعفر بن أبي طالب ، فان اصيب فعبد الله بن أبي رواحة على الناس [2].

سار الجيش ومعهم خالد بن الوليد متطوعا ، ولما علم الروم بمقدم الجيش اخذوا يعدون له العدة ويجهزون حتى استعدوا بجيش كبير بلغ عدده حوالي مائتي الف ، والتقى الفريقان عند مؤتة ، وحمل زيد راية الرسول صلى الله عليه وسلم وحارب حرب الابطال حتى استشهد فحملها بعده جعفر وظل يحارب حتى قطعت يمينه ثم حارب بشماله فقطعت فاحتضن الراية بعضده حتى استشهد فأخذ الراية عبد الله بن رواحة واستبسل في القتال حتى استشهد فأخذ الراية من بعده باختيار المسلمين خالد بن الوليد وكان قائدا ماهرا محنكا فتمكن بمهارته من الانسحاب بالمسلمين بسلام حتى رجع الى المدينة ، وقد وصف رسول الله صلى الله عليه

---

(١) ابن الاثير : الكامل في التاريخ ج٢ ، ص ٢٢٢ .

(٢) ابن الاثير : الكامل في التاريخ ج٢ ، ص ٢٣٤ .

ـ انه سيف من سوف الله ـ [1] ، فمنذ ذلك التاريخ سمى خالد بن الوليد سيف الله ٠

فتح مكة :ـ (٨هـ/ ٦٣٠م)٠

كان من شروط صلح الحديبية بين الرسول صلى الله عليه وسلم وبين قريش : انه من احب ان يدخل فى عهد الرسول وعقده ٠خل فيه ، ومن احب ان يدخل فى عهد قريش وعقدهم دخل فيه فدخلت بنو بكر في عقد قريش، ودخلت خزاعة في عقد الرسول صلى الله عليه وسلم ٠

أراد بنو بكر أن يصيبوا من بنى خزاعة ثارا ، فقتلوا رجلا منهم فوقعت بينهم الحرب وساعدت قريش بنى بكر ضد خزاعة ، وساقوا خزاعة الى الحرم [2] ، وبذلك نقضوا الاتفاق الذى كان بينهم وبين الرسول ، فاستنجد خزاعة بالرسول صلى الله عليه وسلم ، فسار الى مكة فى السنة الثامنة للهجرة ، على رأس نحو من عشرة الاف من المسلمين ما بين فارس وراجل ، وما ان سمع كبراء قريش بذلك حتى جاءوا هائمين على وجوههم متجهين الى الرسول فكان منهم العباس بن عبد المطلب الذى كان سفيرا لقريش عند الرسول ، وأبو سفيان زعيم قريش الذى شفع به بعض الصحابة حتى قبل الرسول اسلامه بل أكرمه النبى صلى الله عليه وسلم بقوله : (من دخل دار ابي سفيان فهو آمن ، ومن أغلق بابه فهو آمن ، ومن دخل المسجد الحرام فهو آمن [3] ٠

---

(١) ابن الاثير : الكامل في التاريخ ج٢ ، ص ٢٣٨ ٠

(٢) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ج٣ ، ص ٤٥ ٠

(٣) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ج٣ ، ص ٥٤ ٠

هكذا دخل الرسول مكة في سهولة ويسر واتجه الى المسجد الحرام حيث طاف به سبع مرات ثم أمر بازالة الاصنام وهو يقول (" وقل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا) [1].

واجتمعت قريش بين يديه فقال لهم يا معشر قريش ؟ ويا اهل مكة ، ما ترون اني فاعل بكم ؟ قالوا : خيرا ، اخ كريم وابن اخ كريم . ثم قال : اذهبوا فانتم الطلقاء [2] . ولذلك يسمى اهل مكة الطلقاء .

ثم اجتمع الناس بمكة لبيعة الرسول صلى الله عليه وسلم على الاسلام فجلس على الصفا وعمر بن الخطاب اسفل من مجلسه يأخذ على الناس ، فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من بيعة الرجال بايع النساء .

ولقد كان لهذا الفتح اكبر الاثر في انتشار الاسلام : فان استيلاء الرسول على الكعبة جذب كثيرا من القبائل العربية للاسلام ، كما اخضع الرسول ما تبقى من البدو من مسيحي نجران وعمان وغيرهما .

غزوة تبوك :- (٩هـ/ ٦٣١).

وفي السنة التاسعة للهجرة اجتمعت على حدود فلسطين قبائل عديدة من الروم لقتال المسلمين فخرج اليهم الرسول بجيشه ، ولما وصل الى تبوك اقام بها اياما فصالحه اهلها ، وجاءت الوفود من أيلة وغيرها ، وصالحوه على دفع الجزية [3] ، كما بعث خالد بن الوليد الى دومة الجندل ففتحها وعاد الرسول بعد ذلك الى المدينة وتعد هذه الغزوة أخر الغزوات النبوية .

---

(١) سورة الاسراء .

(٢) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ج٣ ، ص ٦١ . ابن الاثير : الكامل في التاريخ ج٢ ص ٢٥٢

(٣) ابن اسحق : سيرة النبى ج ٤ ص ٩٥٢ .

وفي هذه السنة وفدت الى المدينة وفود كثيرة من انحاء الحزيرة العربية ، فسمى هذا العام بعام الوفود ، ونزلت الآية الكريمة :
(اذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله افواجا ، فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا) ٠ (1).

وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم :ـ (١١هـ/ ٦٣٣م)٠

بعد عامين من فتح مكة وبعد ان تخلص البيت الحرام من شوائب الشرك وأوجاسه تجهز الرسول صلى الله عليه وسلم لآداء فريضة الحج في العام العاشر للهجرة ٠

سرت الانباء بحج الرسول صلى الله عليه وسلم في كل مكان وتجمعت القبائل العربية من كل صوب وحدب حتى بلغت عدة المسلمين حينئذ مائة ألف او يزيدون ، وعند جبل عرفات ألقى على المسلمين خطبته الخالدة التي تعتبر دستورا للاسلام ، فقد بين فيها اصول الدين الاسلامي وشرعه ونادى بالمساواة التامة بقوله : (يا ايها الناس ، اسمعوا مني أبين لكم فاني لا ادري ، لعلي لا القاكم بعد عامي هذا في موقفي هذا ، ايها الناس : ان دماءكم وأموالكم عليكم حرام الى ان تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا ، في بلدكم هذا الا هل بلغت ؟ اللهم فاشهد ٠ ايها الناس : ان ربكم واحد ، وان اباكم واحد كلكم لآدام وأدم من تراب ، ان اكرمكم عند الله اتقاكم ، ليس لعربي فضل على عجمي الا بالتقوى ، الا هل بلغت ؟ اللهم اشهد ٠٠ ايها الناس : ان الله قد قسم لكل وارث نصيبه من الميراث ٠ ولا تجوز لوارث

---

(1) سورة النصر ٠

وصية ، ولا تجوز وصية فى اكثر من الثلث ، والولد للفراش وللعاهر الحجر من ادعى الى غير ابيه او توفى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل منه صرف ولا عدل ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته (١).

وكان من الدلالات على دنوا أجل الرسول صلى الله عليه وسلم تلك الآية الكريمة التى نزلت على الرسول فى ذلك اليوم وهى قوله تعالى : (اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا) (٢).

ولم يمر على حج الرسول والتى عرفت بحجة الوداع ثلاثة أشهر حتى مرض الرسول عليه الصلاة والسلام بالحمى ، واستمر مرضه ثلاثة عشر يوما ، ولما كان اليوم الثالث عشر من شهر ربيع الاول من السنة الحادية عشرة للهجرة وحينما كان المسلمون يؤدون صلاة الفجر واذ بهم يفاجأون برسول الله صلى الله عليه وسلم يطلع عليهم من باب حجرة السيدة عائشة وقد اشرق وجهه بالسرور، فهم ابو بكر وكان يؤم بالمسلمين ان يخلى مكان الامامة للرسول وظن انه يريد الخروج للصلاة ، ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم اشار اليهم بيده ان اتموا صلاتكم ثم دخل الى الحجرة وارخى الستر على الباب ثم بدأت اللحظات الاخيرة فى حياة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وكان فى هذه الساعة يغدو ويروح بفكره ٠

وتتحدث السيدة عائشة رضى الله عنها عن هذه اللحظات التى التقى فيها الرسول بربه فتقول : وجدت رسول الله صلى الله عليه وسلم يثقل فى حجرى فذهبت انظر فى وجهه فاذا بصره قد شخص وهو يقول : بل الرفيق

---

(١) ابن اسحق : سيرة النبى ج٤ ، ص ١٠٢٢٠

(٢) سورة المائدة ٠ آية ٣

الاعلى من الجنة ، فقلت خيرت فاخترت والذى بعثك بالحق ، وقبض الرسول بين سحرى ونحرى ، اى ان الرسول كان مستندا الى ما يحادى الرئة من صدرها [1].

وهكذا تنتهى حياة الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولكن لتبدأ من جديد فى مبادئ الاسلام الخالدة وكتاب الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ٠

وبذلك يكون الرسول صلى الله عليه وسلم قد قضى فى هذه الدنيا ثلاثا وستين سنة قمرية وثلاثة ايام ، وقد كانت الوفاة فى ضحى يوم الاثنين الثالث عشر من ربيع الاول سنة ١١هـ (٨ يونيو ٦٣٣م) [2].

---

(١) ابن اسحق : سيرة النبى ج٢٣ ص ١٠٦٩ ٠

(٢) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ج٣ ، ص ٢٠٠ ٠

٦ ـ التغيرات التي ترتبت على ظهور الاسلام في العقيدة والنظم السياسي والاجتماعي والاقتصادى :ـ

الاثر السياسي :ـ

كان العرب في الجزيرة العربية في العصر الجاهلي يتعصبون الى قبائلهم ، وكانت غاية الفرد في القبيلة نصرة قبيلته والدفاع عن اهله وعشيرته مهما كانت الاسباب والدوافع ، فصقل الاسلام نفوسهم ، وأزاح عن كاهلهم هذا التعصب البغيض فأصبحت غاية الفرد في الاسلام نصرة الحق على الباطل ، ولو حارب المرء في هذا السبيل أهله وبنيه ، وتبرأ من أمه وأبيه ، وبذلك أصبحت الحمية الجاهلية ، عزة اسلامية ، وأخوة دينية ، وأصبح القبلي البغيض تنافسا يسعى الى التعمير لا الى التدمير ، وغدا التسابق على المادة او الجاه تسابقا في سبيل الله لاعلاء كلمة الحق ورفع راية الاسلام •

لقد وحد الاسلام بين هذه القبائل العربية المتحاربة المتنافرة، وجعلهم امة واحدة متجانسة انطلقت تنشر الاسلام في كل مكان حتى امتدت الدولة الاسلامية الى جميع البلاد المجاورة في اسيا وافريقيا •

كما كفل الاسلام الحريات العامة للمواطنين في الدولة ، ووضع قواعد للرابطة البشرية الانسانية لم يكره الاسلام الناس الدخول فيه، ولكنه ترك لهم حرية العقيدة والمذهب خاصة النصارى واليهود والذين عرفوا بأهل الذمة واوضح معاملتهم وما عليهم من حقوق وواجبات•

الاثر الاجتماعي :

كان العربي في العصر الجاهلي يعتبر ما يسلبه وينهبه من القبائل

الاخرى من اموال او نساء او مواشي جزءا من دخلمه ، لا يهمه في سبيل ذلك ما قدم من تضحيات سواء قتل او قتل ، فهو لا يفرق بين حلال او حرام بل يعتبر ذلك شجاعة وبطوله يتفاخر بها بين قومه وقبيلته. ولما جاء الاسلام وضع حدا لهذه الاعمال ، وبين حقوق الافراد وواجباتهم يجب الحفاظ عليها كما ان الاسلام طهر العرب من العادات السيئة التي كانوا يقومون بها كالزنا ، وشرب الخمر ولعب القمار والربا .

كما اعطى الاسلام للمرأة حقوقها ، فقد كانت في الجاهلية تورث كما يورث المال ، كما كان الكثير من العرب يتخلصون من بناتهم بدفنهن وهن احياء . فنهى الاسلام عن هذا العمل بقوله تعالى : (واذا المؤودة سئلت. بأى ذنب قتلت) (سورة التكوير آية ٨ ـ ٩) . وبذلك حافظ الاسلام على المرأة من الفناء وأعاد اليها كرامتها وحريتها ، وأوجد لها الحقوق والواجبات ، فأصبحت عضوا فعالا في المجتمع ، وشاركت الرجل في حمل راية الاسلام ، ونشر الدعوة الاسلامية ، وقد برز عدد من النساء في المجتمع الاسلامي .

لم يهمل الاسلام عادة الرق التي كانت منتشرة بين العرب في العصر الجاهلي ، فدعا الى ترك هذه العادة واعطاء الرقيق حريتهم ، فأصبحت بذلك لهم المكانة في المجتمع ، وخرجوا مجاهدين في سبيل الله .

وعندما تم فتح البلاد المجاورة دخل الكثير من السكان في الدين الاسلامي ، وأصبحوا جزءا من المجتمع العربي الاسلامي فوجد الاسلام بين العرب وبين هذه الاجناس المختلفة ، وأصبح شعار الجميع الاسلام لا القبيلة ولا الجنس ، وساروا جنبا الى جنب لبناء مجتمع جديد هو المجتمع الاسلامي .

الاثـر الاقتصـادى :-

لقـد اصبح المجتمـع الاسلامـي بفضـل الاسلام يسـوده الامـن ، ويعمـه الرخـاء ، لانـه يؤمـن بالعمـل ، فانصـرف الفـرد بسبب ذلـك يعمل بكـل جـد ونشـاط كـل حسـب مهنتـه ، لا احتكـار ولا استغـلال ونظم امـور البيع مـن رهـن وديـن ، وحـرم الربـا ، فازدهـرت التجـارة والصناعـة والزراعـة ، وعـم الخيـر الجميـع ، وتوفـرت الحيـاة الكريمـة لكـل السكـان ، وقام بيـت المال بواجباتـه ، ووزعـت الزكـاة على اصحابهـا ، فنعم الناس في ظـل الحكـم الاسلامـي بحيـاة لم يعرفـوا لهـا مثيـلا في حياتهـم السابقـة ، وهـذا ما جعلهـم يتفرغون الـى البنـاء والعمران ، والاتجاه الـى التعليم ، فازدهـرت الحضارة بنـور الاسـلام ، بينمـا كانـت أوروبـا والبـلاد التي لم يشـرق فيهـا الاسلام تعيـش في الجهـل والظـلام ٠

الاثـــر الدينـــي :-

كـان العـرب في الجاهليـة وقبـل الاسـلام يهيمـون في ضلال ، يتخبطـون في عبـادة الاصنـام والاوثـان وسيطـرت على عقولهـم الخرافـات والاوهـام ، فكانـوا متفرقيـن في عبادتهـم كـل قبيلـة تتعصب لصنـم تعبـده

الفصل الثالث

نشوء الخلافة وتطورها

حتى نهاية القرن الرابع الهجرى

- مؤتمر السقيفة
- حركة الفتوحات
- الفتن الاسلامية وانتقال الخلافة الى الأمويين
- بيعة العهد ونظام الوراثة
- نشوء الأحزاب والفرق الاسلامية
- قيام الدولة العباسية ...

١ ـ الخلافة ومؤتمر السقيفة :

توفي الرسول صلى الله عليه وسلم ولم يعين من يخلفه ، بل ترك الأمر شورى بين المسلمين ، يختارون خليفة له ، ولم يبين الرسول كيفية الاختيار ، فواجه المسلمون أشق مسألة وأخطرها ، شعر المسلمون من لحظة وفاته صلى الله عليه وسلم بضرورة التفكير فيمن يخلفه ، وأسرع الانصار قبل دفن الرسول صلى الله عليه وسلم الى عقد اجتماع في سقيفة بني ساعدة ليبتوا في الامر ، وقد خطبهم سعد بن عبادة زعيم الخزرج فقال (يا معشر الانصار ؟ ان لكم سابقة في الدين وفضيلة في الاسلام ليست لأحد من العرب) [1] وأوضح لهم أنهم أحق بالخلافة من غيرهم ، واتفقت كلمتهم على اختياره ٠

وسارع الصحابة امثال ابي بكر وابي عبيدة الى السقيفة حينما علموا باجتماع الانصار خشية الا ينظروا في الامر الا من جانبهم وفي هذه السقيفة انقسموا الى رأيين : رأي يقول : يجب ان يكون الخليفة من الانصار وحجتهم إن محمدا صلى الله عليه وسلم لبث في قومه في مكة نحو ثلاث عشرة سنة يدعوهم الى الاسلام فما آمن منهم الا قليل ، ولا منعوا رسول الله من الاذى ، ولا أعزوا الدين ، فلما هاجر من مكة الى المدينة نصره الانصار وأمنوا به وأعزوا دينه ومنعوه وصحبه ممن اراد بهم سوءا ، وكانوا معه على عدوه حتى خضعت له جزيرة العرب ، وتوفي صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض ، وبهم قرير العين ، فهم اولى الناس ان يخلفوه ٠ وفريق آخر وهم المهاجرين يرون ان تكون الخلافة منهم ، وحجتهم انهم اول من آمن به ، وصبروا على الاذى ولم يستوحشوا لقلة

---

(١) ابن الاثير : الكامل في التاريخ ج٢ ، ص ٣٢٨ ٠

عددهم ، وهم قومه وعشيرته ، وهم من قريش والعرب لا تدين الا لهم ، ولا تقر بعزة ومنعة غير عزتهم فهم اولى بالخلافة من غيرهم ٠

وبعد نقاش طويل اقترح الانصار للتوفيق بين الرأيين : ان يكون منهم اميرومن المهاجرين امير ، ورفض المهاجرون طلبهم (١) .

فوقف ابو بكر وعرض على الحاضرين ان يختاروا واحدا من اثنين هما : عمر بن الخطاب وابو عبيدة بن الجراح ، ولكن عمر بن الخطاب خشي ان يترك الناس فيختلفوا ويضيع الاثر الذى احدثه كلام ابي بكر ، فقام الى ابي بكر وبايعه بالخلافة ، وقال له : (الم يأمر النبي بأن تصلي يا ابا بكر بالمسلمين ، فأنت خليفة ونحن نبايعك ، فنبايع خير من احب الرسول منا جميعا) فقال لآبي بكر : (ابسط يدك ابايعك) فبسط ابو بكر يده ، فبايعه عمر ومن بعده المهاجرون والانصار (٢) ٠ وبعد ان بايع عمر ابا بكر ، تبعه الحاضرون في اجتماع السقيفة ، وقد ساعد على اتمام هذه البيعة خوف الاوس من ان تكون الخلافة في الخزرج ، وهذه البيعة تسمى البيعة الخاصة ، وفي اليوم التالي اخذ ابو بكر البيعة في المسجد وتسمى البيعة العامة ، وبذلك اصبح خليفة للمسلمين٠

ويعود نجاح مؤتمر السقيفة للأمور التالية :ـ

١ ـ الاتفاق على مرشح واحد بعد طرح اسمه ، وقبوله من الاتجاهات الاسلامية كافة ٠

٢ ـ قبول الاتجاه القرشي بالرضا خلال المناقشة مما اعطى الخليفة ابو بكر دعما اضافيا دون متاعب ٠

٣ ـ ان شخصية أبي بكر وما اتصفت به من الاعتدال بين المهاجرين والانصار :

---

(١) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ج٣ ، ص ٢٠٢ ٠

(٢) ابن الاثير : الكامل في التاريخ ج٢ ، ص د٤٣ ٠

جعلت قبوله من قبل المجتمعين في المؤتمر او غيرهم امرا مؤكدا دون اثارة الضجيج والمعارضة ٠

٤ ـ ان سرعة المبادرة من قبل عمر بن الخطاب وما انطوت عليه شخصيته الفذة من الحنكة السياسية يطرح اسم ابي بكر لتولي الخلافة، اوقفت مطالبة الانصار عن مطالبتهم بالخلافة ، وجعلتهم يتسابقون لمبايعة ابي بكر ، مما حسم الموقف نهائيا وأدى الى نجاح المؤتمر ٠

وقد ارسى المؤتمر قواعد الخلافة بالامور التالية :ـ

١ ـ انتخاب الخليفة بطرح الشخصية الكفْ وموافقة بقية المسلمين او اكثريتهن بالمبايعة ٠

٢ ـ وجوب الخلافة ، وذلك باجماع المسلمين ، فالخلافة واجبة شرعا وعقلا

٣ ـ اوضح المؤتمر بأن الخليفة هو خليفة رسول الله (ص) ، لحراسة الدين وحمايته ٠

٤ ـ الخلافة الاسلامية ليست ملكا يقوم بها الحاكم حسب ما يراه ، وانما هي حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعي في مصالحهم الاخروية والدنيوية [1].

٥ ـ لم ينظر الخليفة الى نفسه بأنه مميز عن المسلمين كافة ، بل هو احدهم ، وانه قائم على العمل حسب الكتاب والسنة وارادة المسلمين " اطيعوني ما أطعت الله فيكم " ٠

٦ ـ البيعة هي المصافحة بالايدى للخليفة والقبول به خليفة ، واعتبرت بيعة ابي بكر فى السقيفة بيعة خاصة حتى تمت البيعة العامة في اليوم التالي في المسجد ، واستمر هذا الامر فترة الخلافة الاسلامية للتعبير عن

---

(١) ابن خلدون : المقدمة ، ص : ١٩١

رضى المسلمين بشخص الخليفة ٠

بيعة عمر :-

كان الصديق يخشى ان هو مات ولم يعهد بالخلافة لصحابي يجتمع حوله المسلمون ان يقع الخلاف بينهم وتحدث فتنة لا يعرف مداها الا الله تعالى ٠

ولذلك عندما مرض واشتدت به العلة نظر ابو بكر في اصحابه ليتخير منهم رجلا حازما في عنف لينا في غير ضعف فوجد ان من توفرت فيه هذه الصفة من الصحابة ، احد رجلين عمر بن الخطاب وعلي بن ابي طالب ، ووقع اختياره على عمر بن الخطاب ، ولكنه لم يشأ ان يفرض على المسلمين رأيه واستشار بعض الصحابة في هذا الامر قبل ان يعهد اليه بالخلافة ، وعندما تأكد انهم جميعا راضون عنه دعا عثمان بن عفان وكان يكتب له واملى عليه :-

(بسم الله الرحمن الرحيم : هذا ما عهد أبو بكر خليفة محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم عند أخر عهده بالدنيا واول عهده بالاخرة في الحال التي يؤمن فيها الكافر ويوقن فيها الفاجر ويصدق فيها الكاذب ٠

اني استعملت عليكم (عمر بن الخطاب) ، فان بر وعدل ، فذلك علي به ورأيي فيه ، وان جار ويدل فلا علم لي بالغيب وللخير اردت ولكل امرئ ما اكتسب ، وسيعلم الذين ظلموا اى منقلب ينقلبون) ٠ ثم امر بالعهد فقرئ على المسلمين [1].

وقد اطل ابو بكر على المسلمين من حجرة بجوار المسجد وخاطبهم

---

(١) ابن الاثير : الكامل في التاريخ ج٢ ، ص ٤٣٥ ٠

أترضون من استخلفت عليكم ؟ فاني ما استخلفت عليكم ذا قرابة ، واني قد استخلفت عليكم عمر ، فاسمعوا له وأطيعوا ، فقالوا : سمعنا وأطعنا ٠

وبعد ان تمت له البيعة خطب الناس خطبة قبرة قال فيها : انما مثل العرب كمثل جمل أنى يتبع قائده ، فلينظر قائده اين يقوده ، اما أنا فورب الكعبة لاحملنكم على الطريق (1) .

وكان عمر بن الخطاب اول من لقب في الاسلام بأمير المؤمنين (2) ، اذ كان ابو بكر يلقب بخليفة رسول الله ، وقيل لعمر في اول الامر خليفة رسول الله ٠

وعندما طعن ابو لؤلؤة الخليفة عمر بن الخطاب خشي المسلمون سوء العاقبة ان فارق عمر الحياة دون ان يعهد لاحد ، فجاءوا اليه يرجونه ان يعهد بالخلافة لأحد الصحابة ، فاختار عمر ستة من أكابر الصحابة وهم : علي بن ابي طالب ، وعثمان بن عفان ، وعبد الرحمن بن عوف ، وسعد ابن ابي وقاص ، والزبير بن العوام ، وطلحة بن عبيد الله ، ودعاهم اليه الا طلحة فقد كان غائبا ثم خاطبهم قائلا : اني نظرت فوجدتكم رؤساء الناس ، وقادتهم ولا يكون هذا الامر الا فيكم ، وقد قبض رسول الله وهو عنكم راض ، اني لا اخاف الناس عليكم ان استقمتم ، ولكني اخاف عليكم اختلافكم فيما بينكم فيختلف الناس ، فانهضوا الى حجرة عائشة فتشاوروا واختاروا منكم رجلا ٠ فاجتمعوا قريبا منه ، ولم يلبث ان ارتفعت اصواتهم ، فقال لهم : الا اعرضوا عن هذا اجمعين ، فاذا مت فتشاوروا ثلاثة ايام وليصل بالناس صهيب ، ولا يأتين اليوم الرابع الا وعليكم

---

(1) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ج4 ص 201 ٠

(2) المسعودى : مروج الذهب ج2 ، ص 313 ٠

امير منكم ويحضر عبدالله بن عمر مشيرا ، ولا شيء له من الامر ، وطلحة شريككم في الامر ، فان قدم في الايام الثلاثة فاحضروه امركم ، وان مضت الايام الثلاثة قبل قدومه فاقضوا امركم ، ومن لي بطلحة ؟ يعني ومن يعرف رأيه فيتكلم باسمه ؟ فقال سعد بن ابي وقاص : أنا لك به ولا يخالف ان شاء الله ٠ وقال عمر لأبي طلحة الانصاري : يا ابا طلحة : ان الله عز وجل طالما اعز الاسلام بكم فاختر خمسين رجلا من الانصار، فاستحث هؤلاء الرهط حتى يختاروا رجلا منهم ، وقال لصهيب : صلّ بالناس ثلاثة ايام ، وأدخل عليا وعثمان والزبير وسعدا وعبد الرحمن بن عوف وطلحة ان قدم ، وأحضر عبدالله بن عمر ولا شيّ له من الامر ، وهم على رؤسهم فان اجتمع خمسة ورضوا رجلا وأبي واحد فاشدخ رأسه ، وان اتفق اربعة فرضوا رجلا منهم وابى اثنان ، فاضرب رؤسهما ، فان رضى ثلاثة رجلا منهم وثلاثة رجلا منهم فحكموا عبد الله بن عمر فأي الفريقين حكم له فليختاروا رجلا منهم ، فان لم يرضوا بحكم عبدالله بن عمر ، فكونوا مع الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف ، واقتلوا الباقين ان رغبوا عما اجتمع عليه الناس ٠

فلما دفن عمر اجتمعوا تنفيذا لوصيته ، وطال الجدال بينهم ، واخيرا فوض الرهط الامر الى عبد الرحمن بن عوف ٠

أخذ عبدالرحمن يستطلع آراءهم كلا منهم على انفراد ، ودار عبد الرحمن لياليه يلقى اصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم ، ومن وافى المدينة من الاخبار وأشراف الناس يشاورهم ، ولا يخلوا برجل الا قال عثمان فلما انتهى الموعد الذى حدده عمر ، جاء عبد الرحمن الى المسجد عند الصبح

---

(١) ابن بليك : الجوهر الثمين (مخطوط) ص ٥١ ٠

فاحتشد المهاجرون والانصار حتى أزدحم المسجد بهم ، فقام عبد الرحمن فقال : أيها الناس ، ان الناس قد أحبوا أن يلحق أهل الأمصار بأمصارهم ، وقد علموا أميرهم ، فلما اشتد الجدل ، قال سعد بن أبي وقاص لعبد الرحمن : (افرغ قبل أن يفتتن الناس ، وأخيرا أعلن عبدالرحمن مبايعته لعثمان ، فأقبل الناس عليه يبايعونه وبذلك أصبح عثمان خليفة ٠ وكان ذلك يوم الاثنين اخر دى الحجة من سنة أربع وعشرين للهجرة) (١).

انتخابه للخلافة :-

عندما استشهد الخليفة عثمان بن عفان أسرع أهل المدينة الى علي بن أبي طالب يبايعونه بالخلافة لكنه رفض بداية الامر ، وقال : انما ذاك الى أهل بدر فمن رضى به لأهل بدر فهو خليفة ، فلم يبق أحد الا أتاه، فقالوا : ما نرى أحدا احق بها منك ، فمد يدك نبايعك ٠ فقال : اين طلحة والزبير؟ فكان أول من بايعه طلحة بلسانه وسعد بيده ، فلما رأى ذلك خرج الى المسجد ، فصعد المنبر ، فبايعه طلحة والزبير وأصحاب النبي رضي الله عنهم أجمعين ، وعلى هذا النحو تمت البيعة لعلي بالخلافة في يوم الجمعة الرابع والعشرين من شهر دى الحجة سنة خمس وثلاثين (٢).

تسيير جيش أسامة :-

جهز الرسول صلى الله عليه وسلم جيش أسامة بن زيد بن حارثة للاغارة

(١) ابن الاثير : الكامل في التاريخ ج ٢ ، ص ٣٣٤ ٠

(٢) المسعودى : مروج الذهب ج ٢ ، ص ٣٠٤ ٠

الله عليه وسلم حالت دون خروج هذا الجيش وعندما تولى الخلافة أبو بكر سير هذا الجيش ، وبعد عشرين يوما وصل الى البلقاء حيث تقع مؤتة ، فحارب قضاعة واحلافها ، وثأر لمن قتل من المسلمين في مؤتة وأمن الحدود بين العرب والروم ورجع الجيش الى المدينة بعد سبعين يوما (١).

وقد حارب ابو بكر المرتدين عن الاسلام ، وأرسل القادة للفتوح في بلاد الشام والعراق ، وسنتكلم عن ذلك بعد أن نوجز عن الخلفاء الراشدين الاربعة .

وأصيب أبو بكر رضي الله عنه بالحمى لمدة خمسة عشر يوما امر فيها عمر بن الخطاب ان يصلي بالناس وكانت وفاته يوم الاثنين الحادي والعشرين من جمادى الاخرة للسنة الثالثة عشرة للهجرة (الحادي والثلاثين من آب سنة ٦٣٤م) . (٢)

٣ - الردة :-

كان الرسول صلى الله عليه وسلم يعتمد في ادارة الدولة الاسلامية على الدين ، فتصدر أحكامه عن وحي الله وأمره ، وكان لعدله في الحكم ، ولتسويته في المعاملة بين أبناء القبائل المختلفة الأثر الكبير في دخولهم الاسلام والاستظلال تحت لوائه ، وأن يدينوا له بالطاعة والزعامة والحب ، وبلغ من افتتان بعض العرب به وبشخصيته أنهم ما كانوا يصدقون بموته .

وعندما تأكدت القبائل العربية من انتقال الرسول صلى الله عليه وسلم الى جوار ربه أخذت تساورهم الشكوك في أمر هذا الدين أولا وفيمن يخلفه ثانيا .

ولما تولى أبوبكر الصديق الخلافة تحركت كوامن العصبية من اجل حرمانها من الخلافة وخاصة للعاصمة الحجازية وسيادتها ٠

فتحركت النزعات الفردية والعصبيات الاقليمية التي طبع عليها العرب ٠كما أن القبائل الى أعلنت اسلامها من قبل في اليمن واليمامة وعمان ،تهاونت في مسألة الزكاة ،وأعتبرتها اتاوة كانت تدفع للرسول عليه السلام ،فلما انتقل الى جوار ربه ،أصبحوا في حل من دفعها الى الخليفة ٠

وهناك الغالبية العظمى في الجزيرة العربية لم تكن مسلمة حقا ومنهم الاعراب الذين كان النفاق من صفاتهم ، اضف الى ذلك أنه لم يمض من الوقت ما يكفي لأن يؤثر الدين في قلوبهم وفيهم يقول الله تعالى " **قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبكم"** (١) ٠ وهناك من ادعى النبوة وقد بدأت تلك الظاهرة في أواخر حياة الرسول صلى الله عليه وسلم وقويت بعد وفاته ٠

ومن أشد أولئك المتنبئين خطرا مسيلمة الكذاب (٢) الذى ظهر في بني حنيفة باليمامة وقد ادعى النبوة في حياة الرسول وكتب اليه يقول : (من مسيلمة رسول الله الى محمد رسول الله : أما بعد فان لنا نصف الارض ولقريش نصفها ، ولكن قريشا لا ينصفون والسلام عليك) (٣).

وقد كتب اليه صلى الله عليه وسلم يقول : بسم الله الرحمن الرحيم من محمد

---

(١) سورة الحجرات ٠

(٢) مسيلمة بن حبيب بن حنيفة ويكنى أبا يمامة ٠ ابن قتيبة : المعارف ص ١٧٨ ٠

(٣) القلقشندى : نهاية الأرب ص ٢٣٩ ٠

رسول الله الى مسيلمة الكذاب أما بعد فأن الارض لله يورثها من يشاء من عباده ، والعاقبة للمتقين والسلام على من اتبع الهدى) (١) .

وكان مسيلمة الكذاب من أشد المتنبئين خطرا لقوة بني حنيفة ولذكائه ودهائه ولانه تزوج من سجاح التميمية التي ادعت النبوة وكانت طاعة في قومها فانضم اتباعها الى مسيلمة الكذاب (٢) .

ومن الذين ادعوا النبوة ايضا الأسود العنسى وكان ظهوره باليمن ، ومن المتنبئين ايضا طليحة بن خويلد الأسدى (٣) .

لقد واجهت الخليفة ابو بكر الصديق هده الامور كلها ، المرتدون لأنهم لم يرغبوا في دفع الزكاة والمتنبئون ، فأستشار أبو بكر الصحابة في قتال مانعي الزكاة فرأى جماعة ومنهم عمر بن الخطاب ألا يقاتلوا من يؤمن بالله ورسوله وأن يستعان بهم في قتال من ارتد عن الاسلام جملة واستدلوا على هذا بقول الرسول صلى الله عليه وسلم : (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله وان محمدا رسول الله ، فاذا قالوها فقد عصموا منى مالهم ودماءهم الا بحقها وحسابهم على الله فقال أبو بكر (والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة فان الزكاة من المال وقد قال الا بحقها والله لو منعوني عقالا كانوا يؤدونه لرسول الله لقاتلتهم عليه .

واستجاب اغلب المسلمين اوكلهم الى رأى أبي بكر ، وبدأ يعمل فكون أحد عشر جيشا يقود كلا منها بطل من أبطال المسلمين مثل خالد بن الوليد ، وعمرو ابن العاص وعكرمة بن أبي جهل وشرحبيل بن حسنة

---

(١) القلقشندى : نهاية الارب ص ٢٣٩ .

(٢) القلقشندى : نهاية الارب في معرفة أنساب العرب ص ٦٩ .

(٣) المسعودى : مروج الذهب ج ٢ ، ص ٣١٠ .

وغيرهم ٠

وقبل ان يوجه الجيوش ارسل كتبا للخارجين على الاسلام ودعاهم الى العودة الى الاسلام ، وقد نجحت تلك الكتب مع بعضهم واستمر آخرون على ضلالهم ؟ ٠

نجحت الجيوش الاسلامية التي وجهها أبو بكر الصديق ومن اهم المعارك التي خاضها كانت ضد (مسيلمة الكذاب) الذى التقى حوله أربعون الفا من بني حنيفة اتباعهم ، وأخيرا قتل مسيلمة الكذاب وانتصار المسلمين بعد ان استشهد الكثير من القراء ، وكان قائد هذه المعركة الظافرة سيف الله خالد بن الوليد ٠

نتائج حروب الردة :-

١ - تدعمت خلافة ابي بكر الصديق وتوحدت كلمة العرب ٠

٢ - طهرت نفوس العرب من الشرك والنزعات الجاهلية ٠

٣ - سدت الطريق أمام كل كذاب اثيم يدعى النبوة او يخرج على الاسلام ٠

٤ - امتلأت قلوب المسلمين بالثقة فتطلعوا الى نشر الاسلام خارج الجزيرة العربية ٠

٥ - دعت الكثير ممن ارتد ان يكفر عن ذنبه فقاتلوا في سبيل الله بشجاعة واقدام لعلهم يفوزون بالشهادة او النصر ٠

حركة الفتوحات الاسلامية في عهد الخلفاء الراشدين :-

كان المثنى الشيباني يغير على السواد من ارض العراق في رجال من

قومه ، ثم جاء الى أبي بكر الصديق فقال له : يا خليفة رسول الله استعملني على من أسلم من قومي أقاتل هذه الاعاجم من اهل فارس فكتب له أبو بكر في ذلك عهداً ، فسار الى العراق وقام بعدة غارات على الفرس نجح بها على الرغم من قلة عدد رجاله (١) .

ولما انتهى ابو بكر من حروب المرتدين وجه خالد بن الوليد الى العراق وكتب الى المثنى بأمره بالسمع والطاعة له واستقباله .

وصل خالد الى العراق وانضم اليه رجال المثنى فأخضع القبائل العربية التي كانت تقيم في جنوب نهر الفرات ، ثم هاجم الحيرة واستولى عليها ثم استولى على الانبار ، لقد اعطى خالد بن الوليد للقبائل العربية التي تم الصلح معها معاهدات تؤمنهم على دياناتهم لأن دياناتهم بالغالب كانت الديانة المسيحية ثم سار خالد في منطقة السواد واستخدم السفن لعبور القنوات الكثيرة المتفرعة من الفرات واستولى على قرى عديدة وحصون كثيرة ، وقد حدثت معارك طاحنة مع الفرس ومن أهمها :-

معركة ذات السلاسل :-

وهي من المعارك الهامة التي خاضها خالد بن الوليد ، وسميت كذلك لأن الفرس ربطوا انفسهم بالسلاسل حتى لا يفروا من المعركة ، ولكن النصر كان الى جانب المسلمين بسبب ثباتهم واستبسالهم وكان من نتيجة هذه المعركة استيلاء المسلمين على ميناء الأُبلّة الذي يقع على الخليج العربي

---

(١) البلاذري : فتوح البلدان ص ٣٤٢ .

(الفارسي) كما ان الدهاقين سارعوا بتسليم كل النواحي الى المسلمين ، وقد عومل الفلاحون المجوس كالنصارى ففرضت عليهم الجزية (١) .

ولكن أبا بكر لم يترك خالدا في العراق بل أمره أن يترك نصف الجيش بقيادة المثنى ويأخذ النصف الثاني ويتجه الى الشام لمساعدة جيوش اليرموك .

موقعة الجسر (١٣ هـ) :

وقعت هذه المعركة في عهد عمر بن الخطاب الذى أرسل أبا عبيد بن عمر الثقفي وكان مع أبي عبيد (سليط بن قيس الانصارى) ، وكتب أمير المؤمنين عمر الى المثنى بن حارثة أن يكون في طاعة أبي عبيد وكان قائد جيش الفرس رستم والذى يعتبره من اعظم قادة الفرس ، وقعت المعركة في السنة الثالثة عشرة للهجرة ، وسميت بموقعة الجسر لأن المسلمين عبروا جسرا عند الحيرة والتفوا حول جيش الفرس وقُتِل أبو عبيد وسليط (٢) .

يوم النخيلة أو يوم مهران :-

حدثت السنة الخامسة عشرة للهجرة بقيادة جرير بن عبدالله مع المثنى بن حارثة وقائد جيش الفرس مهران ، وقد انتصر المسلمون في هذه

---

(١) ابن الاثير : الكامل في التاريخ ، ج ٢ ، ص ٣٨٦ .

(٢) البلاذرى : فتوح البلدان ص ٢٥٣ .

المعركة ، وثأروا لقتلاهم في موقعة الجسر وقتل مهران قائد جيش الفرس وكثير ممن كان معه (١).

القادسية :- (١٥هـ/ ٦٣٧م)

كتب المسلمون في العراق الى الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه يعلمونه كثرة من تجمع لهم من اهل فارس يسألونه المدد، فوجه سعد بن أبي وقاص الى العراق فأقام بالثعلبية ثلاثة أشهر ثم العذيب سنة خمسة عشرة ، وكان المثنى مريضا فأشار عليه أن يحارب العدد بين القادسية والعذيب ثم اشتد مرض المثنى فحمل الى قومه فمات فيهم ، وتزوج سعد أمرأته (٢).

وترددت الرسل بين سعد وقائد الفرس رستم لعله يصل الى اتفاق يمنع من قيام الحرب بينهما ولكن هذا الاتصال لم يسفر عن نتيجة .

وكان جيش المسلمين لا يزيد عن ثمانية الاف وكان قائد الجيش سعد بن أبي وقاص ويساعده المغيرة بن شعبة وقيس بن هبيرة وطليحة بن خويلد . أما جيش الفرس فكان بقيادة رستم ويتكون من مائة وعشرين الف مقاتل وكان يساعد رستم اعظم قواده .

نشبت المعركة أياما ثلاثة اسمتها الروايات بهذه الاسماء (آرماث) واليوم الثاني (اغواث) واليوم الثالث (عماس) ولم يتضح لنا لماذا سميت هذه الايام بهذه الاسماء .

---

(١) البلاذرى : فتوح البلدان ص ٢٥٣ .

(٢) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ج ٣، ص ٤٨٧ .

كانت نتيجة المعركة انتصار المسلمين ، وفر عشرات الالوف من جنود الفرس ، وقتل فيها القائد رستم وعدد كبير من جنده ، وغنم المسلمون اموالا كثيرة [1].

معركة جلولاء :-

ثم تبع سعد بن أبي وقاص الفرس الى جلولاء سنة ١٦ هـ وأوقع بهم. وأسر احدى بنات كسرى وقتل عددا كبيرا من الفرس ، ومن نتيجة الانتصارات التي احرزها المسلمون أسلم عدد كبير من الدهاقين فأقرهم عمر بن الخطاب على ما بأيديهم من البلاد .

عند ذلك كتب سعد الى عمر بن الخطاب يبشره بالفتح فكتب اليه : (قف مكانك ولا تتبعهم واقنع بهذا واتخذ للمسلمين دار هجرة ومدينة يسكنونها ، ولا تجعل بيني وبينهم بحرا) [2] . فأتخذ الكوفة واسس بها المسجد الجامع واختط الناس المنازل ومصرها .

معركة المدائن :- (١٦هـ/ ٦٣٧م) :

ثم توغل سعد بن أبي وقاص في بلاد العراق حتى وصل الى العاصمة (طيفون) التي اسماها العرب المدائن ، فحاصرها شهرين وأخيرا استولى عليها وغنم المسلمون منها غنائم كثيرة وفر يزدجرد الى حلوان وحمل

---

(١) الدينوري : الاخبار الطوال ص ١٢٠.

(٢) الطبري : تاريخ الرسل والملوك ج ٤ ، ص ١٨٩ .

معه اموالـه ومتاعـه ، وكـان ذلـك في شهـر صفـر من سنـة (١٦هـ) [١] • واتخـذ سعـد المدائـن قاعـدة للاعمـال الحربيـة في العـراق •

موقعـة نهاونـد :-

كانـت هـذه المعركـة أخـر محاولـة ليزدجـرد في حروبـه مع المسلمين، وتسمـى هـذه المعركـة فتح الفتـوح وكان عـدد جيش الفـرس مائـة الـف مقاتـل وأسنـد قيـادة الجيـش الى قائـده الفيـرزان ، وكان الفرس قـد قيـدوا جنودهـم بالسلاسـل خوفـا من الفـرار •

أمـا قائـد جيش المسلمون فكان النعمـان بن مقـرن وكـان قـد ولاه عمـر بن الخطـاب سنـة ٢١هـ وكانـت نتيجـة المعركـة انتصـار المسلميـن رغم استماتـة الفـرس في القتـال [٢].

وبعـد أن استولـى المسلمون على نهاونـد ساروا الى الاهواز وفتحوهـا سنة ٢٢هـ ثم فتحـوا قـم وقاشـان ، وفتحت اصبهـان صلحـا على ان يؤدى اهلها الجزيـة والخـراج ، وفتحـت الـرى [٣].

وفتحـت جرجـان صلحـا ، وحـذا حاكـم طبرستـان حـذو جرجـان فطلـب من المسلميـن الصلـح على الا يكـون بينهمـا قتـال فكتـب لـه عهـد بذلـك •

كما غـزا المغيـرة بن شعبـة والـي الكوفـة أذريبجـان وفتحهـا عنـوة وفرض عليهـا الخـراج •

---

(١) البلاذرى : فتح البلدان ص ٢٦٣ •

(٢) الدينورى : الاخبار الطوال ص ١٣٥ •

(٣) البلاذرى : فتوح البلدان ص ٣٠٨ •

ثم قام المسلمون بغزو البلاد المحيط، بأرمينية وأرمينة،فتم لهم فتح معظمها ، ثم غزو بلاد الترك لكن اقدام المسلمين لم تتوطد فيها ٠

اما يزدجرد الثالث فقد ظل المسلمون يطاردونه حتى فر الى أقصى الحدود الشرقية لامبراطوريته ، وأخيرا قتل سنة ٣١هـ في عهد الخليفة عثمان بن عفان وبموته زالت الدولة الفارسية [1].

أما في عهد الخليفة عثمان بن عفان فأن اقدام المسلمين ثبتت في بلاد فارس بعد ان حاولوا الانتفاضة والثورة على المسلمين فخرج اليهم والى البصرة في سنة ٣٠هـ عبدالله بن عامر واشتبك مع الفرس في مواقع كبيرة في مرو وخوارزم وهزمهم وعاد اهلها الى طاعة المسلمين ٠

كما أصدر عثمان بن عفان أوامره الى معاوية بن سفيان واليه على الشام باستعادة اقليم ارمينية ، فبعث حبيب بن مسلمة الفهرى فصالح اهل قليقية(كليكية)على الجزية،وانتصر على جيوش الروم وأعاد اقليم ارمينية الى حظيرة الاسلام ،أما في عهد الخليفة على بن ابي طالب فأنه لم يتم فيها فتوحات تذكر وذلك لانشغاله بالفتن الداخلية ، وبقيت البلاد المفتوحة كما هي في عهد سلفه الخليفة عثمان بن عفان ٠

ب ـ الفتوح في بلاد الشام :ـ

لقد بدأت الفتوحات الاسلامية في عهد الخليفة أبي بكر مع الفرس والروم في وقت واحد ، وقد تحدثنا عن الفتوحات في العراق

---

(١) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ج٤،ص ٢٩٣ ٠

وبلاد فارس ، أما بلاد الشام فكانت تحت حكم الروم ، وكانوا يعاملون السكان بالظلم ويسومونهم العذاب ، فأصبحوا في حالة صعبة يتمنون يوم الخلاص ٠

كانت بداية الفتوحات في بلاد الشام الغارة التي شنها اسامة بن زيد بن حارثة فجمع الامبراطور هرقل جيشا جرارا عسكر فيه على مقربة من حدود بلاد العرب وفلسطين فدعا ابو بكر الصديق بعد أن انتهى من حروب الردة المقاتلين من جميع أرجاء الجزيرة العربية ، وأعد منهم أربعة جيوش عقد الالوية لاربعة من لامراءهم :-

١ - أبو عبيدة عامر بن الجراح ويتجه الى حمص وله القيادة العامة ٠

٢ - يزيد بن أبي سفيان ويتجه الى دمشق ٠

٣ - شرحبيل بن حسنة ويتجه الى الاردن ٠

٤ - عمرو بن العاص ويتجه الى فلسطين ٠

وكان عدد هذه الجيوش الاربعة اثنى عشر الفا زيدت الى اربعة وعشرين فيما بعد ، وأمرهم ابو بكر ان يعاون بعضهم بعضا وأن يكونوا جميعا تحت امرة ابي عبيدة ، وأن يستقل عمرو بن العاص بفتح فلسطين وان يمد الجيوش اذا دعت الحاجة ٠

توجهت هذه الجيوش كل الى الجهة التي عينت له ، ولما علم هرقل بوصول جيوش المسلمين أراد ان يشغل كل جيش منهم بجيش كثير العدد لاضعافهم ، ومع ذلك استطاع بعض الجيوش الاسلامية من احراز النصر كالنصر الذى احرزه عمرو بن العاص على جيش الروم الذى جاء لاشغاله وعدده مائة الف بعد ان قتل قائدهم [١] .

---

(١) ابن الاثير : الكامل في التاريخ ج٢ ، ص ٤٠٦ ٠

أما الجيوش الاسلامية الاخرى فانها لم تحرز انتصارا يذكر لكثرة عدد الجيوش الرومانية والحصون المنيعة ، فأخبر الخليفة أبو بكر بذلك فطلب من خالد بن الوليد تـرك العراق والتوجه الى بلاد الشام لنجدة المسلمين .

قام خالد بن الوليد برحلته التاريخية مخترقا الصحارى والقفار وسار في طريق غير معتاد من العراق الى بلاد الشام خوفا من اكتشافه وعرقلته ، وبهذا الطريق فانه يبتعد عن الماء ويعرض نفسه وجيشه للمخاطر ، فحمل معه ما استطاع من الماء ، ثم عطش الجمال ولما اشتد بها العطش أطلقها على الماء فملأت بطونها ، ثم ربط افواهها حتى لا تجتر وسار ومعه جيش صغير ، وكان يعطي الماء لجنوده بقدر ، فلما نفذ منه الماء عمد الى الابل التي اكتنز الماء بكروشها فذبح واحدا منها في كل مرحلة وانتفع من لحمها وبما في كروشها من ماء .

وعندما نفذ منه الماء ولم يصلوا الى منابع الماء صاح خالد بن الوليد براشده رافع بن عميرة فطمأنه ولم يلبثوا الا قليلا حتى نزلوا بمنابع الماء فزال القلق الذى اصاب خالد وجيشه ، وأخيرا وصل خالد وجيشه الى بلاد الشام والتقى بالجيوش الاسلامية ، وقد استمرت هذه الرحلة التاريخية ثمانية عشر يوما ، وصل خالد بن الوليد الى بصرى فوجد القائد شرحبيل بن حسنة يحاصرها ولكنه لم يستطع فتحها لقوة حصونها وذفاع الروم عنها ، فاستطاع خالد بن الوليد بمساعدة واليها رومانوس الذى اعتق الاسلام من فتحها بعد ان دلهم علىّ سرداب تحت سورها (١).

---

(١) ابن الاثير : الكامل في التاريخ ج ٢ ، ص ٤٠٩ .

وقد شجع استيلاء المسلمين على مدينة بصرى من محاصرة دمشق ، وعندما علم القادة المسلمون الجموع التي حشدها هرقل قرروا توحيد الجيوش الاسلامية والاجتماع في مكان واحد وتم اختيار البيرموك .

معركة اليرموك :- (١٣هـ/ ٦٣٤م) :

ولما علم هرقل بتجمع المسلمين في اليرموك أعد الجيوش تحت قيادة ماهان وهو قائد ارمني فسار في ثمانين الفا ، ولحق به جبلة بن الايهم ملك غسان على رأس ستين الفا من العرب المتنصرة ، عدا الجنود التي كانت مع قواد الروم فأصبح عددهم مائتي الفا (١) .

أما الجيش الاسلامي فكان عدده حوالي اربعة وعشرين الفا (٢) . واجتمعوا في مكان منبسط يسمى الواقوصة ، وجرى الاتصال مع قائد الروم ماهان للصلح الا انها لم تصل الى نتيجة .

رتب خالد بن الوليد الجيش وجعل أبا عبيدة في القلب ، وعمرو بن العاص على الميمنة ويزيد على الميسرة ، ثم دارت رحى الحرب واشتركت النساء مع الرجال في القتال ، وبعد الهزائم التي لحقت بالروم في الادغال وعلى رؤوس الجبال جاء يوم الواقوصة الذي كتب فيه النصر للعرب حيث هوى من جند الروم مائة وعشرون الفا (٣) ،

---

(١) البلاذري : فتوح البلدان ص ١٤٠ .

(٢) البلاذري : فتوح البلدان ص ١٤١ .

(٣) ابن الاثير : الكامل في التاريخ ج ٢ ، ص ٤١٣ .

ولما سمع هرقل ما احصل في اليرموك هرب الى القسطنطينية وقال : عليك يا سوريه السلام ونعم البلد (١).

وبينما كان المسلمون يقاتلون في اليرموك جاء نعي أبي بكر وتولية عمر بن الخطاب وعزل خالد عن القيادة وتولية أبي عبيدة مكانه ولكن خالد لم يقرأ الكتاب حتى انتهت معركة اليرموك وفتحت دمشق وسلم القيادة الى ابي عبيدة ولما قرأ كتاب عمر بن الخطاب قال : ما أنا بالذى أعصي أمير المؤمنين ، وحارب تحت امرة ابي عبيدة جنديا من جنود الاسلام . (٢).

فتح دمشق :-

وكانت هذه المعركة حاسمة وقد التف الجيش الاسلامي حول المدينة التي تحصن اهلها بها واغلقوا ابوابها ، ووقف سيف الله خالد على الباب الشرقي ، وأبو عبيدة على الباب الغربي وعمرو بن العاص على باب توما وشرحبيل بن حسنة على باب الفراديس ويزيد بن ابي سفيان على باب الصغير .

ودخل المسلمون دمشق من ناحيتين ، دخلها خالد من الباب الشرقي عنوة ودخلها ابو عبيدة من الباب الغربي سلما (٣).

ثم انقسم الجيش الاسلامي ، فسار قسم بقيادة ابي عبيدة ومعه خالد بن الوليد الى الشمال ، وسار القسم الاخر بقيادة عمرو بن العاص ومعه

---

(١) البلاذرى : فتوح البلدان ص ١٤٢.

(٢) ابن الاثير : الكامل في التاريخ ج ٢ ، ص ٤٢٧.

(٣) البلاذرى : فتوح البلدان ص ١٢٨.

بن الوليد الى الشمال ، وسار القسم الاخر بقيادة عمرو بن العاص ومعه شرحبيل بن حسنة الى الجنوب وبقي يزيد في دمشق · وقد استطاع أبو عبيدة وخالد أن يستوليا على حمص وحماة وقنسرين واللاذقية وحلب ، واستطاع عمرو ابن العاص وشرحبيل أن يستوليا على عكا وحيفا ، ويافا وغزة وعسقلان واللد والرملة ·

فتح بيت المقدس :-(١٥هـ/ ٦٣٧م) :

ولما اتم عمرو بن العاص فتوحاته بفلسطين اتجه الى بيت المقدس وأخذ يتصل بالارطبون ويطلب اليه تسليم المدينة لكنه رفض ذلك، وأنزلت المنجنيقات خسائر فادحة بالجيش الاسلامي ، وقد حاصر المسلمون المدينة اربعة اشهر لم ينقطع فيها القتال ·

ولما كتب أبو عبيدة الى اهل ايلياء يدعوهم الى الايمان بالله ورسوله او الدخول في طاعة المسلمين ودفع الجزية نظروا في امرهم ، فاستجابوا الى دلك على ان يكون تسليم المدينة الى الخليفة عمر بن الخطاب فكاتبه الامراء في ذلك فرضى عمر ورحل الى الجابية وكتب لاهل ايلياء كتابا أشهد فيه قواد المسلمين امنهم فيه على اموالهم وانفسهم وكنائسهم وحضر الى القدس وتسلمها من بطرقهم صفرونيوس أما الارطبون فقد فر الى مصر ·

وفي اثناء وجوده في المدينة المقدسة وضع حجر اساس مسجده في اواخر سنة (١٥ هـ) ورجع الى المدينة المنورة وبذلك فتح بلاد الشام وفلسطين (١)

---

(١) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ج ٣ ، ص ٦٠٩ ·

وفي عهد الخليفة عثمان بن عفان أنشأ معاوية بن أبي سفيان أول قوة بحرية اسلامية ، ووفر معاوية لاسطوله الرجال المحاربين وما يلزمهم واستعان بالسكان الاغريق الذين كانوا يسكنون الشام في قيادة هذه السفن كما استعاد بعرب اليمن الذين لهم خبرة في البحر لهذا اسندت قيادة اول قوة بحرية الى عبد قيس اليمني ، فاستطاعت هذه القوة البحرية من اتمام فتح الشام ٠

فتح جزيرة قبرص :-

كانت هذه الجزيرة محطة لتموين الاسطول البيزنطي ومصدر تهديد لساحل بلاد الشام ، لهذا صمم معاوية على مهاجمة هذه الجزيرة وامتلاكها ، فجرد اليها حملة في عام (٢٨هـ) فنجحت في مهمتها وصالح القبارصة على ان يدفعوا الجزية وان يكونوا محايدين بينهم وبين الروم غير انهم لم يلتزموا فجردوا اليها حملة اخرى بقيادته سنة (٣٥هـ) واخضعها لسلطان المسلمين واسكن فيها بضعة عشر الف من المسلمين وشيدت بها المساجد ، ومنذ ذلك الوقت اصبحت قاعدة للاسطول الاسلامي (١)

معركة ذات الصواري البحرية :-

أراد امبراطور الروم قسطنطين أن يضرب الاسطول الاسلامي فحشد لهذا الغرض خمسمائة سفينة حربية ٠

---

(١) البلاذري : فتوح البلدان ، ص ١٥٨ ٠

فأعد المسلمون قوتين شامية ومصرية بقيادة عبدالله بن ابي سرح بلغت حوالي المائتين من السفن ، وعندما التقت السفن بهذا العدد الهائل بسارياتها العالية سميت هذه الموقعة بذات الصوارى ٠ استطاع المسلمون أن يحولوا سير المعركة الى جانبهم فتحولت من معركة بحرية الى حرب برية حيث التحموا بهم على ظهور السفن كانهما على الارض، فكان النصر في النهاية للمسلمين على الرغم من فارق العدد، وكانت هذه المعركة في سنة (٣٤هـ) ٠

وعلى أثر هذه المعركة اصبح الاسطول الاسلامي يجول في البحر المتوسط بكل حرية وما لبثت ان سقطت جزيرة رودس في يد المسلمين (١) ٠

جـ - فتح مصر وشمال افريقيا :-

بعد أن انتهى المسلمون من فتح فلسطين وبلاد الشام توجه عمرو بن العاص الى الخليفة عمر بن الخطاب الذى كان في الجابية قرب دمشق للحصول على اذن لفتح مصر ، وأخذ عمرو بن العاص يقنع الخليفة بفتح مصر ليؤمن فلسطين وبلاد الشام ، وبقاء مصر بيد الروم يهدد هذه البلاد (فلسطين وبلاد الشام) ٠

فتردد عمر بن الخطاب لان جنود المسلمين كانت متفرقة في الشام وفارس ، ولم يكن في استطاعته أن يجمع الجيوش لفتح هذه البلاد ،كما كان الخليفة عمر يخشى من التوسع في الفتح لان أقدام المسلمين لم تثبت في البلاد المفتوحة ٠

---

(١) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ج ٤، ص ٢٩٢ ٠

لكن عمرو بن العاص أخذ يهون على الخليفة فتح مصر، وأنه على معرفة تامة بها ، فقد دخلها في الجاهلية ووقف على خصوبة أراضيها ووفرة مياهها ، وكثرة خيراتها ، وأن فتح مصر سيثبت اقدام المسلمين في بلاد الشام ويساعد على فتح شمال افريقيا كلها ونشر الاسلام في اكبر بقعة ممكنة ، لم يزل عمرو بن العاص حتى استطاع أن يأخذ اذنا بالفتح وزوده بأربعة الاف مقاتل ، وقال له امير المؤمنين : (اني مرسل لك كتابا فأن ادركك وأمرتك فيه بالانصراف عن مصر قبل ان تدخلها او شيء من أرضها فأنصرف ، وان دخلتها قبل ان يأتيك كتابي فامعن واستعن بالله واستنصره) .

خرج عمرو بن العاص متجها الى مصر فأستولى على رفح أول رمال الصحراء الرملية ولم يتسلم الكتاب من امير المؤمنين الا بعد ان اجتاز الحدود ثم العريش على ساحل البحر وكان ذلك سنة ١٩هـ/ ٦٣٩م . واستمر في السير حتى وصل الى الفرما وهي حصن على الساحل وكان سكانه من القبط فوقعت في ايدي العرب بعد حصار استمر نحوا من شهرين في السنة التاسعة عشرة من الهجرة ، وباحتلال المسلمين الفرما أمن المسلمون اتصالهم مع الشام .

ثم سار الى بلبيس في اول الدلتا ومنها الى عين شمس (هليوبولس) وقاتل حاميتها الذين كانوا من القبط ولكنهم استسلموا أخيرا فمنحهم المسلمون الامان ، ومضى المسلمون حتى وصلوا ام دنين فقاتلوا بها قتالا شديدا ، وطلب عمرو بن العاص من الخليفة ان يمده بأربعة الاف مقاتل، فأمده باثنى عشر الفا بقيادة الزبير بن العوام (١)

---

(١) البلاذري : فتوح البلدان ص ٢١٦ .

كان قائد الروم في هذه المعركة ثيودوس ، ولكن الروم هزموا في النهاية بعد وصول الزبير بن العوام وجيشه اذ ارتفعت بهم معنويات المسلمين ، وقد خسر الروم في هذه المركة اعدادا هائلة وفر الباقي الى حصن بابليون الذى كان فيه قيروس الحاكم البيزنطي ،كان حصن بابليون محصنا تحصينا تاما ، واذ حفر خندق من شماله وشرقيه يملأ بالماء فيصبح شبه جزيرة ، فحاصرهم المسلمون سنة ٢٠هـ/ ٦٤٠م ، ولما أدرك الروم أن المسلمين مصممين على الانتصار بدأ المقوقس بالتفاوض ولكن اسلوبه لم يعجب عمرو بن العاص فخيره بين الاسلام او دفع الجزية او القتال، فرأى المقوقس أنه لا بد من الصلح فطلب من عمرو التفاوض فأرسل اليه عمرو عشرة يرأسهم عبادة بن الصامت ، فعاد المقوقس الى اسلوب التهديد لكن عبادة أصر على الموقف:الاسلام او الجزية او القتال ، وعندما رأى اصرار وتصميم المسلمين وافق على الصلح وكتب الى هرقل ، وطلب من الوفد الاسلامي هدنة ريثما تصل موافقة الامبراطور ٠

ولكن رد الامبراطور كان مخيبا لنائبه في مصر ، فدعاه الى القسطنطينية واتهمه بالعجز وعزلة ونفاه ٠ لقد كان موقف الروم دافعا للمسلمين بتجديد القتال والاستمرار فيه ، وتطرق اليأس الى قلوب المقاتلين الرومان حينما سمعوا بوفاة الامبراطور هرقل سنة ٢٠هـ/ ٦٤١م في شهر آذار ٠

استبسل المسلمون في القتال في الشهر التالي اى شهر نيسان، فصعد الزبير بن العوام الحصن وكبر وكبر المسلمون فارتاع الروم وفتحوا باب الحصن ، وعند ذلك اسرع القائد الروماني في طلب الصلح فاستجاب له المسلمون ، وتم فتح الحصن (١)

---

(١) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ج ٤، ص ١٠٩ ٠

فتح الاسكندرية :-

بعد أن تم فتح حصن بابليون اتجه عمرو بن العاص بجيوشه لفتح الاسكندرية وكان المسلمون يلاقون من المصريين كل مساعدة وعون لانهم ذاقوا الظم على ايدى الرومان ، وكانوا يتمنون الخلاص منهم · وأخيرا وصل المسلمون أمام الاسكندرية وحاصروها ، وكانت حصونها متينة جدا ومحاطة بالبحر والبحيرات ·

دار قتال شديد بين العرب المسلمين وبين الجيش الروماني ، وقد استمر القتال حول الاسكندرية اربعة عشر شهرا ، واستطاع الجيش العربي الاسلامي اقتحامها عنوة ، وغنم ما فيها ولم يقتل ولم يسب وجعلهم ذمة على ان يدفع كل حالم دينارين وكتب عمرو لهم عهدا بذلك (١) ·

وتنفيذا لنصوص الاتفاقية خرج الروم من الاسكندرية بما لهم ومتاعهم وأهلهم سنة ٢١هـ/ ٦٤٢م · حيث حملتهم المراكب واستولى العرب المسلمون على مصر ·

وكمركز لفتح العرب المسلمين لمصر ،أنشأوا فيها مدينة لهم قرب حصن بابليون سموها الفسطاط ، وقد عرفت بفسطاط مصر ، وقد أصبح هذا المعسكر مدينة عظيمة (٢)، وعندما أقام الفاطميون القاهرة سميت الفسطاط بمصر القديمة ، وبنى عمرو بن العاص مسجدا فيها ما زال الى الآن يحمل اسمه · وبعد أن انتهى عمرو بن العاص من فتح مصر ،

---

(٢) البلاذرى : فتوح البلدان ص ٢٢٢ ·

(٢) ابن الاثير : الكامل في التاريخ ج ٢ ،ص ٥٦٦ ·

رأى أن يؤمن حدودها الغربية حيث تقع برقة وطرابلس وكان يسكن في هذه المناطق البربر ، وكان اغلبهم يعيشون حياة بدوية يتنقلون بين الوديان والجبال طلبا للمرعى ، اما من اختلط منهم بالروم فيسمون بالافارقة اى المتحضرين وكانت اهم قبائل برقة وطرابلس لواته، وهوارة ، ونفوسة .

خرج عمرو بن العاص نحو برقة في سنة ٢١هـ/٦٤٢م فاستولى عليها بعد قتال شديد مع اهلها ، ثم تابع سيره نحو طرابلس فحاصرها فرحل عنها الروم بسفنهم ، ثم سلمت مدينة سبرة بدون قتال ثم توغل في الجنوب فاستولى على زويلة قرب بلاد السودان .

لم يستقر العرب في هذه البلاد بل فرضوا على اهلها الجزية وكانوا يرسلون اليها السرايا من وقت لاخر لاشعار البربر بسطوتهم .

ثم أمن عمرو بن العاص حدود مصر من الجنوب فأرسل حملة سنة ٢١هـ/ ٦٤٢م ، فقاوم اهل النوبة هذه الحملة ، ولكن هذه الحملة لم تتوفق [١].

وفي عهد الخليفة عثمان بن عفان توجه عامل مصر عبدالله بن ابي سرح بحملة قوية نحو النوبة في سنة ٣١هـ/ ٦٥٢م ، ولكنه لم يتمكن من فتحها ، فعقد صلحا مع اهلها [٢].

---

(١) البلاذري : فتوح البلدان ص ٢٢٧ .

(٢) علي ابراهيم حسن : التاريخ الاسلامي العام ص ٢٤٨ .

أ ـ الفتنة في عهد الخليفة عثمان بن عفان :ـ

أسباب الفتنة :

١ ـ لين عثمان وسهولة تعامله بين الناس ، وخاصة وأنها جاءت بعد خلافة عمر بن الخطاب الذى عرف بالشدة والحزم ، فلم يمنع أحدا من الصحابة من الخروج والانتقال الى بلد اخر ، وأن يزاول ما شاء من النشاط ويمتلك من الاموال والعقار وذلك على عكس ما فعله عمر معهم ، فافتتن بهم الناس ، وتكونت منهم الزعامات الذين كان لهم التأثير على الولاء وعلى الخليفة نفسه .

٢ ـ وقوع الخليفة عثمان تحت تأثير أقربائه لكبر سنه حيث ولى الخلافة وهو في السبعين من عمره ، فأسند اليهم أهم الولايات في الدولة الاسلامية (مصر والكوفة والبصرة ، فضلا عن الشام التي كان يليها معاوية منذ خلافة عمر بن الخطاب) ثم أطلق أيديهم ولم يحاسبهم على تصرفاتهم كما كان يعمل ابو بكر وعمر بن الخطاب ، وقد تعرض عثمان للنقد بسبب ذلك [١].

٣ ـ دعوة أبي ذر الغفارى الصحابي الجليل في وجوب اقتسام اموال المسلمين بينهم جميعا واشتراكهم في ملكيته لانه ما لهم ، وكان يرى انه لا ينفى للمسلم أن يكون في ملكه اكثر من قوت يوم وليه وأى شئ فوق ذلك ينفقه في سبيل الله [٢] معتمدا على قول الله تعالى :

---

(١) ابن قتيبة : المعارف ص ٨٤ .

(٢) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ج ٤ ، ص ٢٨٣ .

" والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم " (١)

وقد وجدت دعوة أبي ذر هذه تأييدا عليها • فكانت هذه الدعوة من العوامل التي ألبت الفقراء ضد امراء الاقاليم وساهمت في تحريك النفوس ضد الخليفة نفسه •

٤ ـ دعوة عبدالله بن سبأ (٢) وهي دعوة خبيثة أخذ ينبثها بين طوائف الناس فمن آرائه : (أنه كان لكل نبي وولي رضى محمد ، وقوله : ان عثمان أخذ الخلافة بغير حق فانهضوا في هذا الامر وابدأوا بالطعن على أمرائكم ، وأظهروا الامر بالمعروف والنهي عن المنكر) كما خاض في حق الائمة كابي بكر وعمر وانتقصهما لكن علي بن أبي طالب تبرأ منه ورماه بالكذب على الله ورسوله ، وتمادى ابن سبأ في ضلاله فذهب الى القول : (العجب ممن يصدق ان عيسى يرجع والكذب ان محمد يرجع) (٣)

سمم ابن سبأ افكار أهل العراق ثم طرد منها حيث ذهب الى الشام ، لكن معاوية بن أبي سفيان لم يسمح له فواصل رحلته الى مصر ، فوجد ارضا خصبة ، وسهل مهمته غياب واليها عبدالله بن أبي سرح لانشغاله في حروبه مع الروم وأهل النوبة (٤).

كما استعان ابن سبأ في ترويج بضاعته برجلين من فريش وهما وهما محمد بن ابي بكر ، ومحمد بن ابي حديفة ، فمحمد بن أبي بكر كان يؤيد على بن ابي طالب فتعاون مع معارضي عثمان ، أما ابن ابي حذيفة

---

(١) سورة التوبة الاية ٣٤ •

(٢) عبدالله بن سبأ يهودى من أهل صنعاء أمه حبشية اعتنق الاسلام في عهد عثمان • علي ابراهيم حسن : التاريخ الاسلامي العام ص ٢٥٢ •

(٣) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ج ٤ ، ص ٣٤٠•

(٤) علي ابراهيم : التاريخ الاسلامي العام ص ٢٥٣•

فسبب تأييده لانه يريد ولاية ٠

حاول الخليفة أن يقف على أسباب شكاوى الناس فأرسل اربعة من كبار الصحابة لبحث المسائل والتحرى عن أسبابها والوقوف على حقائق الامور فأرسل أسامة بن زيد الى البصرة ، ومحمد بن مسلمة الى الكوفة ، وعبدالله بن عمر الى الشام وعمار بن ياسر الى مصر ، وعاد الثلاثة الاولون الى المدينة دون أن يجدوا ما يبرروا تلك الشكايات أما عمار فقد بقي بمصر وانضم الى المعارضين (١).

ثم اصدر الخليفة منشورا وزع في الامصار يطلب من كل ذى حق او شكوى أن يحضر الى مكة في موسم الحج لتقديم شكواه الى الخليفة ليقتص ممن ظلمه وينتصف له ، وتوافد الناس على مكة في عام ٣٤هـ للحج ، وعادوا دون أن يتقدم أحد بكشوى او مظلمة ٠

على الرغم من ان الخليفة قد عرف نوايا هؤلاء الثائرين عليه لم يوافق على رأى اصحاب رسول الله الذين اقترحوا عليه قتل زعماء الفتنة ، فقد لان كعادته ٠

ثم بعث الخليفة عثمان الى عمال الامصار يدعوهم في الحج لتدارس الامر فقدموا عليه (عبدالله بن عامر ، ومعاوية بن أبي سفيان ، وعبدالله بن سعد بن أبي سرح وأدخل معهم في المشورة سعيد بن العاص ، وعمرو بن العاص ، واجمع المجتمعون على المبادرة بأخذ هؤلاء المحركين للفتنة بالشدة والضرب على ايديهم قبل استفحال خطرهم ولكن الخليفة عثمان لم يستجب لمشورتهم وانما أوصاهم بقوله كفكفوا الناس ، وهبوا لهم حقوقهم واغتفروا لهم واذا تعوطيت حقوق الله - أى مست - فلا تدهنوا

---

(١) علي ابراهيم حسن : التاريخ الاسلامي العام ص ٢٥٤ ٠

فيهـــا (١).

لكـن الثـــوار ادركـــوا بأن الموقـف أصبـح صعبـــا ،كمـــا انهـــم أدركـــوا بـــأن النجـدات اصبحـت وشيكـة الوصـول فاقتحمـوا البيـت واشعلـــوا النـــار وعلـــى الرغـم من المقاومـة الباسلـة من أبنـاء المهاجريـن والانصـار الا أنهـــم استطاعـوا الوصـول الى الخليفـة وهـو يقـرأ في كتـاب الله هادئـا ساكنـــا واحجـم محمـد بن أبـي بكـر عن مـس الخليفـة بأذى لكـن التجيبـي بن حـرب أسـرع فضربـه بحديـدة كانـت معـه ،ثـم انقـض عليـه احدهـم بسيفـه فأرادت زوجتـه الدفـاع عنـه بنفسهـا فقطـع السيـف **أصبعها** ثم ضربـه مجـرم آخـر فأجهـز عليه رضـى الله عنـه ثم نهـب هـؤلاء القتلـة بيـت الخليفـة وبيـت المـال .

وقعـت تلـك المأسـاة يـوم الجمعـة الثامـن عشـر من دى الحجـة سنة ٣٥هـ/ ٦٥٥م ، ولـم يصـرح أولئـك القتلـة بدفـن الخليفـة الا خلسـة ،فحمـل جسـده الطاهـر الى مثـواه الاخيـر ليـلا ولـم يشـترك في جنازتـه الا نفـر قليـل (٢).

ب ـ الخلاف بين علي بن أبي طالب ومعارضيه :ـ

طلحة والزبير وعائشة :

كانـت ام المؤمنيـن عائشـة رضي الله عنهـا في طريقهـا من مكـة الـى المدينـة عندمـا علمـت بمقتـل الخليفـة عثمـان بن عفان رضي الله عنـه،

---

(١) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ج٤ ،ص ٣٤٢ .

(٢) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ج٤ ، ص ٣٨٤.

ومبايعة علي بن أبي طالب بالخلافة ،فأعلنت سخطها وغضبها وعادت الى مكة وهي تردد ((قتل والله عثمان مظلوما ، والله لاطلبن بدمه [1])) .

ان قتل عثمان بن عفان رضي الله عنه وماله من من مكانة ومنزلة لدى النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة جديرة بأن تهز نفس عائشة رضي الله عنها ويمتلئ صدرها غضبا ويجعلها تطالب كما طالب غيرها ٠٠ بالقصاص من القتلة والذين احدثوا الفتنة في صفوف المسلمين .

لقد استأذن طلحة والزبير من الخليفة علي في الخروج الى مكة لاداء العمرة فأذن لهما ، لما وصلاها انضما الى ام المؤمنين عائشة وأعلنا انهما بايعا علي بن ابي طالب مكرهين ، وانضم اليهم مروان بن الحكم ، فتزعم هؤلاء الاربعة مطالبة بدم عثمان بن عفان رضي الله عنه ٠

اقترحت أم المؤمنين أن يخرجوا الى المدينة ،ولكن طلحة والزبير اقنعاها بأن البصرة أصلح لهم في تحقيق هدفهم من المدينة حيث كان من فيها انصار الخليفة علي [2].

خرج القوم من مكة الى البصرة ولكنهم لم يتفقوا في البداية على من سيكون خليفة اذا نجحوا في خطتهم ٠

كانت انباء خروجهم قدوصلت الى امير المؤمنين علي من مكة ، فرأى ان يسارع فيوقف زحفهم ٠٠ ويتدارك امرهم قبل ان يستفحل ، وذلك حتى يتفرغ لمعاوية بن أبي سفيان والي الشام الذى اعلن عصيانه هو الاخر

---

(١) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ج ٤ ، ص ٤٥٠ ٠

(٢) بروكلمان : اتاريخ الشعوب الاسلامية ج ١ ، ص ١٣٨ ٠

لكن أمير المؤمنين لم يتمكن من اللحاق بهم قبل وصولهم البصرة ، فتمكنوا من السيطرة عليها وطردواليها عثمان بن حنيف منها بعد جلده وايدائه ، وانضم اليهم كثير من اهل البصرة في المطالبة بدم عثمان بن عفان وتفاقم الامر وأصبحوا ثلاثين ألفا ، واستطاع زعماؤهم طلحة والزبير وغيرهما في اقناعهم بأن الخليفة قدكان من المحرضين على قتل عثمان بن عفان ، وأنه يضم في صفوف جنده هؤلاء القتلة الدى بلغ عددهم يومئذ عشرين الفا من الرجال يرى اكثرهم انهم على الحق مع أمير المؤمنين ويرى بغضهم وهم الثائرون على عثمان -أن استمرار هذا الاضطراب والشقاق بين ابناء الامة هو الذى سيضيع معالم جريمتهم، وهكذا التقى المسلمون وجها لوجه وتحفزوا للقتال (١).

التقى الجمعان بيوم الجمل : خرج الزبير على فرسه وخرج طلحة فخرج اليهما امير المؤمنين ودنا منهما فذكرهما بالله ورسوله وبالبيعة، وتبرأ أمامهما من دم عثمان ولعن قاتليه فرضي الزبير وأقسم ألا يقاتله أبدا وسكت طلحة .

استبشر الناس بهذا اللقاء واملوا ان يتم الصلح بين المسلمين . وبدأت المفاوضات بين رؤساء الطرفين لاتمام الصلح ، الا ان قتلة عثمان رأوا ان هذا الصلح ليس من صالحهم ، فهاجموا في الظلام جند البصرة الا انهم استطاعوا ردهم ، فلم يصبح النّاس حتى نشبت الحرب ، واشتعلت الفتنة في يوم مشهور عرف في التاريخ بيوم الجمل حيث خرجت فيه ام المؤمنين عائشة في هودج قد جلل بالحديد يحيط به جموع من خيرة جند البصرة ، دافعوا عن ام المؤمنين في بسالة نادرة

---

(١) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسي ج ١ ، ص ٣٧٤ .

فمنعوا كل من أراد الوصول اليه من جند علي ، ولما رأى أمير المؤمنين علي كثرة القتلى أرسل من عقر الجمل ، ثم اشتد القتال بين الفريقين ، حتى انجلت هذه المعركة عن خسارة فادحة تقدر بعشرة الاف رجل بينهم طلحة والزبير كما تمخضت عن هزيمة رجالهم ، وعودة البصرة مرة اخرى الى طاعة امير المؤمنين علي ، [1] أما السيدة عائشة رضي الله عنها فقد اكرمها امير المؤمنين وعاملها بما هي جديرة به من الاجلال والاحترام ، وأمر لها راحلة وزودها بكل ما تحتاج اليه في سفرها الى مكة ، ثم ودعها لدى سفرها في غرة شهر رجب من سنة ٣٦هـ/ ٦٥٦م [2]

ومما لا شك فيه أن مسئولية هذه الحرب عامة يتحملها كل من طلحة والزبير ، ففتحت الباب أمام شر مستطير وكانت بدايةلمعارك قادمة اصطلى بنارها عشرات الالوف من المسلمين الذين ذهبت ارواحهم في صفين والنهروان ومصر وغيرها ، وكان الاحرى بهما ان يحاولا ردع الصدع بدلا من هذه الحرب ، وتوحيد صفوف المسلمين التي فتنتها الفتنة والاتجاه الى الفتوح بدلا من العراك الذى لا فائدة منه سوى خسارة الارواح التي ضاعت سدى ٠

ب - الخلاف بين امير المؤمنين علي ومعاوية بن أبي سفيان :-

بدأ الخليفة علي بن ابي طالب رضى الله عنه خلافته بعزل الولاة الذين تسببوا في وقوع الفتنة على سلفه وأدت الى قتله ، وقد اذعن

---

(١) ابن كثير : البداية والنهاية ج ٧ ص ٢٥٥ ٠

(٢) حسن ابراهيم : تاريخ الاسلام السياسي ج ١ ، ص٣٧٥٠

جميعهم ما عدا معاوية بن ابي سفيان والي الشام ، واتخذ من مقتل الخليفة عثمان بن عفان ذريعة لاعلان عصيانه مطالبا بدمه ، فكان يعلق على المنبر بدمشق قميص عثمان وفيه أصابع زوجته نائلة ، ليحرض اهل الشام على الاخذ بثاره ٠

فرأى الخليفة علي انه لا بد من قتال معاوية واخضاعه لطاعته ، فجهز الجيوش واستعد للمسيرة ولكن حينما علم بتجمع الهاربين من المدينة من الامويين وانضمام طلحة والزبير وأم المؤمنين عائشة ومسيرهم الى البصرة قرر ضربهم اولا ثم التوجه الى معاوية في الشام ، فحصلت معركة الجمل التي تحدثنا عنها ٠ وبعد ان انتصر الخليفة علي بن ابي طالب في معركة الجمل وأصبحت البصرة خاضعة له ،أرسل الى معاوية يدعوه الى بيعته ، لكن معاوية رد عليه بكتاب : من معاوية الى علي : بسم الله الرحمن الرحيم ، لا غير ولم يكتب بالامتناع عن بيعة علي ٠

وبلغ علي بن أبي طالب أن معاوية بن أبي سفيان قد استعد لقتاله ومعه أهل الشام ، فقرر أن يسير بعد ان يئس من مصالحته والابتعاد عن القتال ، فسار اليه من الكوفة ومعه اهل العراق في شهر شوال سنة ست وثلاثين هجرية / ٦٥٦م) مستخلفا عليها أبا مسعود عقبة بن عامر الانصارى فوصل الى صفين ، فوجد جند اهل الشام بزعامة معاوية وعمرو بن العاص قد سبقوه اليها في موضع اختاره معاوية لم يكن علي الفرات اسهل منها للوارد على الماء ، ووكل عليها ابا الاعور السلمي [1] ٠ واختلف في عدد الجيشين فمنهم من ذكر ان عدد جيش الخليفة علي بن ابي طالب رضى الله عنه تسعون الفا وجيش معاوية

---

(١) ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول ص ١٠٦ ٠

خمسة وثمانون الفا ، ومنهم من نكر ان جيش الخليفة مائة وعشرون ألفا وجيش معاوية تسعون ألفا [1].

سيطر معاوية وجيشه على الماء ، ومنعوا جيش علي من الورود اليه فباتوا في البر عطشى ٠ وفي اثناء تجوال الخليفة ليلا يتفقد جنده سمع التذمر والسخط الذي وصل اليه الجند من العطش فجاءه الأشعث بن قيس ، وقال : يا أمير المؤمنين أيمنعنا القوم الماء وأنت فينا ومعنا سيوفا ؟ ولّني الزحف اليهم ، فوالله لا ارجع أو اموت ، ومُر الأشتر فلينضم اليّ بخيله [2]

فأمره بالذهاب الى معاوية لاقناعه بالسماح لهم بالورود والشرب من الفرات ، الا ان معاوية رفض ذلك وقال : لاسقاني الله من حوض الرسول ان شربوا حتى يغلبوني عليه ٠

فعاد الاشعث بن قيس وأخبر عليا برفض معاوية ، فقال له علي : (اخرج في اربعة الاف من الخيل حتى تهجم بهم في وسط عسكر معاوية ، فنشرب وتسقي لاصحابك او تموتوا عن اخركم ، وأنا مسير الاشتر ورجاله وراءك) [3].

سار الاشتر وهو يوم الاشعث في اربعة الاف وسار علي في باقي الجيش ، ومضى الاشعث وهجم على جيش معاوية فأزال أبا الاعور السلمي عن الشريعة وأورد خيله الفرات [4].

---

(١) ابن العربي : العواصم من القواصم ص ١٦٣ ٠

(٢) الدينوري : الاخبار الطوال ص ١٦٩ ٠

(٣) اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ج ١ ، ص ١٩٧ ٠

(٤) المنقري : وقعة صفين ص ١٦٧ ٠

اصبح الماء تحت سيطرة علي رضى الله عنه وجيشه ، ونزل في المكان الذى كان فيه معاوية وجيشه ، فأرسل معاوية يستأذنه في ورود الماء فأجابه الى ما طلب ٠

أخذ علي بن أبي طالب يراسل معاوية بن أبي سفيان محاولا جمع الكلمة ووحدة الصف مبديا حرصه على عدم اراقة الدماء مطالب بالطاعة ، الا ان جميع هذه المحاولات باءت بالفشل لان معاوية يطالب عليا تسليمه قتلة عثمان وهذا ما لا يقدر عليه ، وأخيرا تم بينهما الاتفاق على الموادعة حتى شهر المحرم من عام سبعة وثلاثين هجرية (٦٥٧م) (١).

وفي اليوم الاخير من شهر المحرم ارسل علي الى معاوية كتابا يقول فيه : (اني قد احتججت عليكم بكتاب الله ، ودعوتكم اليه ، واني قد نبذت اليكم على سواء ، إنّ اللهَ لا يهدى كيد الخائنين ، فلم يردوا عليه جوابا الا السيف بيننا وبينك او يهلك الأعجز منا) (٢).

وفي اليوم الاول من صفر سنة سبع وثلاثين للهجرة (٦٥٧م) ، بدأت المعارك وكان بداية اللقاء كالعادة على شكل مبارزة فردية ، وكان اللقاء الاخير يوم الجمعة حيث اشترك فيه الجيشان بكاملها فرتب علي جيشه ، فجعل على الخيل عمار بن ياسر ، وعلى الرجاله عبدالله بن بديل الخزاعي ودفع الراية العظمى الى هاشم بن عتبة المرقال ، وجعل على الميمنة الاشعث بن قيس وعلى الميسرة عبدالله بن

---

(١) المسعودى : مروج الذهب ج ٢ ، ص ٣٨٧٠

(٢) الدينورى : الاخبار الطوال ص ١٧١ ٠

عباس [1] . والتحم الجيشان وقد اشرف جيش علي رضى الله عنه على النصر ، ونادت مشيخة اهل الشام : (الله الله في الحرمات والنساء والبنات ، وقال معاوية لعمرو بن العاص : هلم مَخبأتك يا ابن العاص فقد هلكنا) فاقترح عمرو بن العاص رفع المصاحف ، ووافق معاوية على الفكرة ، وأمر جيشه برفع المصاحف ونادوا : " كتاب الله بيننا وبينكم ، من لثغور الشام بعد أهل الشام ؟ ومن لثغور العراق بعد اهل العراق ؟ ومن لجهاد الروم ؟ ومن للترك ؟ ومن للكفار ؟ فأستجاب الكثير من جيش الخليفة لذلك النداء وقالوا : (نجيب الى كتاب الله وننيب ، وقيل لعلي رضي الله عنه قد اعطاك معاوية الحق ودعاك الى كتابّ الله ، فاقبل ، وكان اشدهم في ذلك اليوم الاشعث بن قيس ، لكن عليا اكتشف اللعبة ، وحاول اقناع جيشه بعدم الالتفات الى نداءتهم ، لكنهم رفضوا الا الاستجابة لنداء اهل الشام [2] .

حاول الخليفة على حث الجيش على القتال والاستمرار فيه ، كما حاول اقناعهم بأن قضية رفع المصاحف ما هي الا خدعة ، وظل بينه وبينهم الحوار لكنهم لم يقتنعوا وهددوه بأن يصنعوا به كما صنعوا بعثمان بن عفان رضى الله عنه .

وعندما قال له الاشعث بن قيس : (ان شئت اتيت معاوية فسألته ما يريد فوافق علي وذهب الى معاوية ، وسأله فقال له : نرجع نحن وانتم الى كتاب الله ، تبعثون رجلا منكم ترضونه وتختارونه ونبعث رجلا منا نرضاه ، ونأخذ عليهما العهد والميثاق ان يعملا

---

(١) المنقرى : وقعة صفين ص ٢٠٥ .

(٢) اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ١٨٨ .

بما في كتاب الله ، ولا يخرجا عنه ونقاد جميعا الى ما اتفقا عليه من حكم الله (١) .

لقد توقف القتال في صفين بانتظار التحكيم دون أن يحرز احدهما نصرا على الاخر ،وقد استمرت المعركة مائة وعشرة ايام ، دهب ضحيتها من الفريقين سبعين الفا منها خمسة واربعون الفا من جند الشام ، وخمسة وعشرون الفا من اهل العراق (٢) .

٩ ـ التحكيم ونتائجه :ـ

لقد انتهت معركة صفين الى ما انتهت اليه بقبول الطرفين الى العودة الى كتاب الله ، واختيار كل فريق من يمثله ، ويؤخذ عليهما العهد والميثاق ان يعملا بما في كتاب الله ولا يخرجا عنه، ويعتبر ما يقرانه ملزما للطرفين ٠

فاختار اهل الشام بزعامة معاوية بن ابي سفيان (عمرو بن العاص)، اما الاشعث بن قيس ومؤيدوه اختاروا ابا موسى الاشعرى ز، فقال علي : (عصيتموني في اول الامر فلا تعصوني الان اني لا ارى ان اولي ابا موسى الاشعرى) وبدل علي بن ابي طالب كل جهده لاقناعهم العدول عن ابي موسى الاشعرى، واختار عبدالله بن عباس ، الا ان جميع محاولاته باءت بالفشل (٣) .

---

(١) الخضرى : محاضرات تاريخ الامم الاسلامية ج ٢، ص٦٥٠

(٢) المقدسي : البدء والتاريخ ج٥، ص ٤٥٥٠

(٣) الدينورى : الاخبار الطوال ص ١٩٢٠

لقد اضطر الخليفة علي بن ابي طالب الى الرضوخ لرغبة جند العراق في قبول ابي موسى الاشعرى ممثلا عن اهل العراق في التحكيم [1].

وفي سنة ثمان وثلاثين هجرية ٦٥٨م ، وفي شهر رمضان اجتمع الحكمان في اذرح بين الشام والعراق وصحب كل منهما اربعمائة رجل من اصحابه ،كما حضره كثير من ابناء الصحابة مثل عبدالله بن الزبير وعبدالله بن عمر ، وعبدالله بن عباس ، ومع انه لم يكن قد اتفق على موضوع النقاش فقد كان من المفروض انه ينظر في لم شعث الامة الاسلامية وصلاحها على اساس ما ورد في كتاب الله وسنة نبيه ٠ وقد رأى الحكمان بعد المداولة ان يخلعا عليا ومعاوية ، ويولي الناس امرهم من يحبونه ، واتفق على ان يبدأ ابو موسى بخلع صاحبه ويتبعه عمرو بن العاص ولكن هذا الاخير على العكس عمل على تولية معاوية في الخلافة مما جعل أبا موسى يعلن بين الحاضرين خدعة عمرو ، وقرر علي بن ابي طالب من جانبه العودة الى القتال [2].

بذل علي بن ابي طالب جهده لاستمالة اهل العراق للقتال معه الا انهم رفضوا الانضمام اليه وكفروا الحكمين ، وخرجوا عن طاعته وسموا بعد ذلك بالخوارج ، واعلنوا ان عليا لم يقبل بحكم الله لذلك عزم على قتالهم في مكان تجمعهم في منطقة النهروان [3].

---

(١) أذرح ٠ بالفتح ثم السكون اسم بلد في اطراف الشام من اعمال الشراه ٠ الحموى : معجم البلدان ج ١، ص ١٢٩ ٠

(٢) المسعودى : مروج الذهب ج ٢، ص ٤١٢ ٠

(٣) النهروان : كورة واسعة بين بغداد وواسط ، الحموى : معجم البلدان ج ٥، ص ٣٢٥ ٠

فأنزل بهم هزيمة منكرة ، وذلك في اواخر سنة ٣٨هـ/ ٦٥٨م ، ولكنه لم يقضي عليهم نهائيا وظلوا شوكة في جنب الدولة العربية الاسلامية ، وتفرقوا بعد دلك فرقا عديدة [(١)].

نتائج التحكيم :-

١ - خسر علي بن أبي طالب الخلافة ، بينما لم يخسر معاوية شيئا ، بل اصبح مساويا له ومطالبا بالخلافة .

٢ - خرج على الخليفة علي بعض جنوده عرفوا فيما بعد بالخوارج وأصبحوا من أشد اعدائه .

٣ - مبايعة معاوية بن أبي سفيان بالخلافة وأصبح للعالم الاسلامي خليفتان ، وأخذ يستميل بعض رجالات علي بالمال والعطايا والمناصب ، فتثاقلوا عن مناصرته والسير معه ، وقال معاوية بن أبي سفيان : " لقد حاربت عليا بعد صفين بغير جيش ولا عتاد " .

٤ - انقسام العالم الاسلامي من مؤيد لمعاوية ، ومؤيد لعليّ بالاضافة الى المعارض لهما وبذلك فقدت العالم الاسلامي وحدته .

٥ - ظهور الفرق الاسلامية مثل المعتزلة ، المرجئة ، والشيعة .

---

(١) ابن حزم : جوامع السيرة ص ٣٥٥ .

استشهاد علي بن أبي طالب ووصول معاوية الى الخلافة وانتقال مركز الدولة الى الشام :-

أصبح العالم الاسلامي بعد معركة صفين مقسما ومتفرقا بين علي ومعاوية ، وقد رأى الخوارج ان الوحدة الاسلامية لن تعود الا بقتل علي ومعاوية وعمرو بن العاص فتعاقد ثلاثة منهم (عبدالرحمن بن ملجم، والبرك بن عبدالله ، وعمرو بن بكر) على قتلهم في يوم معين هو يوم الجمعة السابع عشر من رمضان سنة أربعين للهجرة / ٦٦١ م، وقال عبدالرحمن بن ملجم انا اكفيكم علي بن ابي طالب ، وقال البرك بن عبدالله ، انا اكفيكم معاوية ، وقال عمرو بن بكر : انا اكفيكم عمرو بن العاص [١].

نجح ابن ملجم في قتل امير المؤمنين علي فقد وجه اليه ضربة بالسيف وهو خارج لصلاة الفجر وهو يقول : ((لا حكم الا لله لا لك ولا لاصحابك يا علي)) ، وتوفي علي كرم الله وجه يوم الاحد السابع عشر من رمضان من السنة نفسها [٢].

اما معاوية فقد وجه اليه البرك بن عبد الله ضربة اصابته بجراح برئ منها ، وأما عمرو بن العاص فقد منعه من الخروج للصلاة فأصاب عمرو بن بكر خارجه بن حذافة فقتله ، فقال ، : اردت عمرا واراد الله خارجه)) [٣].

---

(١) الاصفهاني : مقاتل الطالبين ص٢٩.

(٢) اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ج ٢ ، ص ٢١٢.

(٣) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ج٥ ، ص ١٤٩.

وبايع الناس الحسن بن علي بالخلافة عقب استشهاد والده ، ولما كان يدركه من ان اهل العراق كانوا السبب فيما اصاب والده في نزاعه مع معاوية ، وكان بفطرته يميل الى المسالمة ويتجه الى جمع الكلمة ، فقد تبادل الرسل مع معاوية بشأن تنازله عن الخلافة لمعاوية بشروط. حددت في اجتماعهما بالكوفة في ربيع الاول من العام الحادى والاربعين الهجرى / ٦٦٢م . الذى سمي هذا العام بعام الجماعة لاجتماع كلمة المسلمين بعد التمزق (١).

ومن شروط الحسن بن علي على معاوية الا يسب اياه على المنابر، والآ يطالب بالاموال التي استولى عليها من الكوفة ، وان يتولى الخلافة بعده (٢).

وهكذا آلت الخلافة الى معاوية بن ابي سفيان مؤسس الدولة الاموية والذى اتخذ دمشق عاصمة له ، وقد امتد حدود الدولة الاسلامية العربية بسبب الفتوح من الصين شرقا الى جبال البرانس في اوروبا غربا .

١ ـ الخلافة وولاية العهد :ـ

/ لقد اصبح معاوية بن ابي سفيان خليفة للمسلمين بعد تنازل الحسن بن علي عن الخلافة ، وعرف ذلك العام " ٤١هـ " بعام الجماعة

---

(١) الاشعرى : مقالات الاسلاميين ج١ ، ص ٨٣ .

(٢) احمد فاعور : حركة الاشاعثة ص ٥٩ .

لاجتماع كلمة المسلمين وتوحيد صفوفهم [1] .

وقد غير انتقال الخلافة الى معاوية بن ابي سفيان نظام الشورى الذى كان أساس انتخاب الخلفاء الراشدين ، وتحولت الخلافة الى ملك آل الى صاحبه بقوة السيف والسياسية على انه وجد فريق من المسلمين يبرر هذه الحالة ويستند في ذلك الى احاديث رويت عن الرسول صلى الله عليه وسلم تحض الناس على طاعة الحاكم والخضوع لحكمه أيا كانت نزعته وطريقة حكمه . فقد أثر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " سيليكم بعدى البرُّ ببِرِّه ويليكم الفاجر بفجوره فاسمعوا واطيعوا في كل ما وافق الحق فأن احسنوا فلكم ولهم وان أساءوا فلكم وعليهم " .

لما ولى معاوية ابنه يزيد العهد ظهر نظام التوريث ، وانتقلت الدولة من ذلك النظام الذى ساد عهد الخلفاء الراشدين الى النظام الملكي يقوم على اساس التوريث ويستند الى السياسة اولا والى الدين ثانيا .

وبذلك اصبحت الخلافة الاموية اقرب الى السياسة منها الى الدين، واستحالت بذلك الى ملك . ويعود سبب ذلك لان معاوية كان متأثر بالنظام الذى كان سائدا في الدولتين البيزنطية والساسانية [2]، وسار في تحقيق السياسة بكل مهارة ، وأخذ لهذا الامر اهبته في كثير من الحيطة ، فأوحى الى عماله على الامصار ان يمهدوا السبيل لاخذ البيعة لابنه يزيد .

---

(١) الاشعرى : مقالات الاسلاميين ج ١ ص ٨٣ .

(٢) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسي ج ١ ، ص ٤٤٨ .

لقد سار على هذه السياسة الخلفاء الذين جاءوا بعد معاوية بن ابي سفيان وابنه يزيد ، فقد غالوا في ذلك حتى اصبحوا يولون عهدهم اثنين بل ثلاثة وأصبح الخليفة الاموى يعين ولي عهده ، وعادة ابنه الاكبر ، ويأخذ البيعة له من وجوه الناس وكبار القواد في حضرته ، على حين أصبحت هذه البيعة تؤخذ في الاقاليم بحضور الوالي نيابة عن الخليفة ٠

ان هذا النظام ادى الى ظهور البغضاء والعداوة بين افراد البيت الاموى وأوغر صدور بعضهم على بعض ، فقام النزاع بينهم وتعدى ذلك الى القواد والعمال ، مما ادى في النهاية الى سقوط الدولة الاموية ٠

الاحزاب السياسية والدينية :-

أ - الشيعة :-

لقد ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم امر الخلافة شورى بين المسلمين دون ان ينص عليها او يعهد لاحد ان يخلفه ، فرأى الانصار انهم اولى بها ، وكذلك المهاجرين كما رأى اصحاب علي ان الخلافة ميراث ادبي ، ولو كان النبي يورث في ماله لكان اولى به قرابته ٠

لقد بايع علي ابا بكر بعد تلكؤ كما بايع عمر وعثمان من بعده على الرغم من انه كان يرى انه اولى بالامر منهم ، ويحتج بأنه وأهل بيته الثمرة وقريش الشجرة ، والثمرة خير ما في الشجرة ٠

وكان جمع من الصحابة يرى ان عليا افضل من ابي بكر وعمر وغيرهما ، وذكروا ممن كان يرى هذا الرأى عمارا ، وأبا ذر ، وسلمان الفارسي والعباس وبنيه وأبي بن كعب وغيرهم ٠

---

(١) البلاذرى : فتوح البلدان ص ٢٣٧ ٠

وتطورت الفكرة ، فأصبح يعرف أصحاب علي وبنيه بأنهم شيعة ،
ثم ظهرت فكرة الوصية ، ولقب علي بالوصي ، يقصدون بذلك أن الرسول صلى الله عليه وسلم اوصى بالخلافة من بعده ، فعلي ليس الامام بطريق الانتخاب وانما هو بطريق النص من الرسول ، وعلي اوصى لمن بعده وهكذا كل نبي وصى من قبله ، وا نتشرت كلمة الوصي بن الشيعة واستعملوها (١)

ثم تطور الشيعة في حبهم لعلي بن أبي طالب فقالوا بعصمة الائمة علي ومن جاء بعده ، فهو لا يصدر عنهم الا صوابا ٠

ثم ان الشيعة خطأوا أبو بكر وعمر وعثمان لقبولهم بالخلافة مع علمهم بأفضلية علي ، ومنهم من تغالى فكفرهم وكفر من شايعهم ، وانحدروا من ذلك الى تفسير حوادث التاريخ حسب مذهبهم واهوائهم ٠ لم يقتصر غلاة الشيعة بهدا القدر في علي بل الهوه ، فمنهم من قال : (حل في علي جزء الهي ، واتحد بجسده ، وبه كان يعلم الغيب اذ اخبر عن الملاحم وصح الخبر ، وبه كان يحارب الكفار وله النصر والظفر ، وبه قلع باب خيبر) وعن هذا قال : " والله ما قلعت باب خيبر بقوة جسدانية ، ولا بحركة غذائية ولكن قلعته بقوة ملكوتية " ٠٠ قالوا : يظهر علي في بعض الازمان والرعد صوته والبرق بسمته (٢).

وكان اول من دعا الى تأليه علي ، عبدالله بن سبأ وكان في حياة علي وهو الذى حرك ابا ذر الغفارى للدعوة الاشتراكية ، وهو الذى ألب الناس على عثمان بن عفان ، ووضع تعاليم لهدم الاسلام فطرد من الكوفة وطرد من البصرة ، ولكنه وجد ارضا خصبة في مصر فأعلن تعاليمه

---

(١) احمد امين : فجر الاسلام ص ٢٦٧ ٠

(٢) احمد امين : فجر الاسلام ص ٢٦٩ ٠

هناك ومنها الوصاية والرجعية ،فالوصاية فقد عرفناها ، واما الرجعة فقد قال محمد يرجع وكان مما قاله : (العجب من يصدق ان عيسى يرجع ويكذب أن محمدا يرجع) (١).

فعقيدة الشيعة في الخلافة هو الامام ،فعلي هو الامام بعد محمد صلى الله عليه وسلم ثم يتسلسل الائمة بترتيب من عند الله وطاعة الامام والاعتراف به جزء من الايمان ٠

والامام عندهم اكبر معلم ،فالامام الاول علي قد ورث علوم النبي صلى الله عليه وسلم وهو ليس شخصا عاديا بل هو فوق الناس لانه معصوم من الخطأ وقد علم النبي (صلى) عليا علم الظاهر وعلم الباطن فكان باطن القرآن وظاهره وأطلعه على أسرار الكون وخفايا المغيبات ، وكل امام ورث هذه العلوم من بعده ، وكل امام يعلم الناس مايستطيعون فهمه من أسرار في وقته ، ولايؤمنون بالعلم والحديث الا اذا روى عن هؤلاء الأئمة ٠

وأهم فرق الشيعة الزيدية والامامية ٠-

فالزيدية : هم اتباع زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، وكان زيد يرى جواز امامة المفضول مع وجود الأفضل ، فكان يقول بأن امامة ابي بكر وعمر صحيحة على الرغم من افضلية علي بن ابي طالب ٠

وكانت عقيدتهم ليست هناك امامة بالنص ، ولم ينزل وصي يعين الائمة بل ان كل واحدا من ابناء فاطمة يجوز له أن يكون أماما بشرط أن يكون عالما زاهدا شجاعا كريما يحمل السيف ويخرج ٠

وقد ظهر زيد أيام الخليفة هشام بن عبدالملك وبويع بالكوفة،

---

(١) ابن الاثير : الكامل في التاريخ ج ٣، ص ١٥٤ ٠

فقاتل الامويين حتى قتل سنة ١٢١ هـ ولا يزال الزيدية في اليمن الى الان [1] . ويعتبر مذهب الزيدية من المذاهب المعتدلة وأقربها الى اهل السنة .

الامامية : وسميت كذلك لان اهم عقائدهم اسست حول الامام وقد قالوا بأن محمدا نص على خلافة علي وقد اغتصبها ابو بكر وعمر وتبرأوا منهما ، والامامية لانهم يؤمنون باثنى عشر اماما متتابعين وهم علي بن ابي طالب (المرتضى) والحسن (المجتبي) ، والحسين (الشهيد) ، وعلي زين العابدين بن الحسن (السجاد) ، ومحمد بن علي (الباقر) ، وجعفر بن محمد (الصادق) ، وموسى بن جعفر (الكاظم) وعلي بن موسى (الرضا) ومحمد بن علي ، (الجواد) وعلي بن محمد (الهادى) والحسن بن علي (العسكرى) ثم محمد بن الحسن (المهدى القائم بالحق) ويطلق على هذه الفرقة ايضا الجعفرية من باب تسمية الاسم العام وهو الشيعة ، وهي ليست من الفرق المغالية الى التعقل في امور دينهم ، ومن اقربها الى جمهور السنة .

والامامية تقول بعودة الامام المنتظر [2] . ومن فرقهم ايضا الاسماعيلية وهي الفرقة التي قالت بامامة اسماعيل بن جعفر الصادق وهي تؤمن مثل غيرها من الشيعة بوصاية النبي لعلي في غديرخم ، مكان بين مكة والمدينة ـ لتبقى الامامة في بيت علي الى يوم الدين ، فكانت عقيدتها : " لا اله الا الله محمد رسول الله "علي ولي الله ، ولكنها تميزت عن غيرها بأن الامامة تكون بالنص اى وجوب تعيين الامام لخلفه

---

(١) علي مصطفي الغرابي : تاريخ الفرق الاسلامية ص ٢٨٩ .

(٢) مصطفى الشكعة : اسلام بلا مذاهب ص ١٩٣ .

وان الامامة في الاعقاب فموت اسماعيل سنة ١٤٥هـ/ ٧٦٢م ، في حياة ابيه جعفر الصادق ١٤٨هـ/ ٧٦٥م ، يجعل النص ينتقل الى ابنه محمد وليس لاخيه موسى الكاظم ،لذلك عرفت بالاسماعيلية باسم اسماعيل والفرق بينها وبين الامامية (الاثنا عشرية) ، من حيث ترتيب الائمة ، فأن (الاثنا عشرية) لم تعترف بامامة اسماعيل وانتقلوا بالامامة من جعفر الصادق الى ابنه موسى الكاظم الى اخر الائمة الاثنا عشرية على الترتيب اما الاسماعيلية واحدة من الفرق التي جنحت الى الغلو واكثر من ميلها الى الاعتدال [1] . لقد لاقى الشيعة من الامويين الاضطهاد والتنكيل والتعذيب ، فسجنوا كل من عرف بالتشيع ونهبوا ماله وهدموا داره وخاصة أيام عبيدالله بن زياد ومن بعده الحجاج بن يوسف الثقفي .

وقد حاربوا الامويين بمثل ما حوربوا به فكلما وضع الامويون الحديث في فضائل الصحابة عدا عليا والهاشميين وخاصة عثمان فقد وضع الشيعة احاديث كثيرة في فضائل علي وفي المهدى المنتظر .

والحق ان التشيع كان مأوى يلجأ اليه كل من أراد هدم الاسلام لعداوة او حقد ومن كان يريد ادخال تعاليم ابنائه من يهودية ونصرانية وزردشيتة وهندية ومن أراد استقلال بلاده والخروج على مملكته ، فكان هؤلاء يتخذون حب أهل البيت ستارا يصنعون وراءه ما شاءت اهواءهم . والعنصر الفارسي هو اكبر عنصر دخل الاسلام فكان لهم الاثر في التشييع .

---

(١) الغزى : نهر الذهب في تاريخ حلب ج ١، ص ٢٠٩ ـ ٢١٤ .

ب - الخوارج :-

كان من نتائج معركة صفين بين علي بن ابي طالب ومؤيديه وبين معاوية بن ابي سفيان ومعه أهل الشام قضية التحكيم .

وعندما كتب الاتفاق على التحكيم ، أخذة الاشعث بن قيس وقراه على الجيش رأية راية وقبيلة قبيلة ، وفي اثناء تجواله مر بقبيلة تميم وفيهم عروة بن أدية التميمي ، وقال عروة : أتحكمون في دين الله وأمره ونهيه الرجال ؟ لا حكم الا لله ، فكان اول من قالها (١) .

لقد سرت هذه الحملة سير البرق بين فريق من جيش علي وأخذوا يرددونها فكانت شعارا لهؤلاء المحتجين والذين عرفوا فيما بعد بالخوارج .

لقد اعتبرت هذه الطائفة (الخوارج) قبول علي بالتحكيم كفرا ، كما اعتبروا كل من خالفهم من المسلمين كافرا ، فيحل قتله ، لهذا اخذوا يعتدون على كل من صادفهم ، ثم خرجوا الى قرية قريبة من الكوفة تسمى (حروراء) وسموا حينئذ بالحرورية نسبة الى هذه القرية ، وبالمحكمة - أي الذين يقولون لا حكم الا لله - وأمروا عليهم عبدالله بن وهب الراسبي ، واسم الخوارج جاء من انهم خرجوا على علي وصحبه ، وسموا ايضا (الشراة) أي الذين باعوا انفسهم لله من قوله تعالى (ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله) (٢) .

لقد اضطر علي بن ابي طالب لمحاربتهم تحت ضغط من جنوده ، ولانهم عاثوا في الارض فسادا ، فقد كانوا يعتدون ويقتلون الناس ، فالتقى

---

(١) المنقرى : وقعة صفين ص ٥١٣ .

(٢) اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ج ٢ ، ص ٢١٢ .

مع الخوارج في النهروان -مكان قريب من بغداد ، فحاول علي قبل بدء المعركة اقناعهم بالرجوع والتوبة الا انهم رفضوا ، فحمل عليهم حملة واحدة فهزمهم وقتل منهم كثيرا ولكنه لم يبدهم ولم يقض على فكرتهم ، وزادت هذه المعركة في أمعان الخوارج في كرهه فدبروا له مكيدة قتله فتله عبدالرحمن بن ملجم الخارجي •

وظلت الخوارج شوكة في جنب الدولة الاموية يهددونها ويحاربونها ، وهذا مما كان له الاثر السلبي على تصدى الدولة لاعداء الخوارج فانشغلوا في محاربتهم •

ومن القادة الذين اشتهروا بحرب الخوارج في عهد الدولة الاموية المهلب بن ابي صفرة ، فقد عانى في قتالهم الشدائد والاهوال السنين الطويلة •

لقد كان الخوارج فرعين ، احدهما بالعراق وما حولها ، وكان مركزهم (البطائح) بالقرب من البصرة ، فاستولوا على البلاد فارس وهددوا البصرة ، وهؤلاء الذين حاربهم المهلب من رجالهم نافع بن الازرق وقطرى بن الفجاءة ، وعرفوا بالازارقة (١).

واما الفرع الثاني فقد استولوا على اليمامة وحضرموت واليمن والطائف ومن اشهر امرائهم ابو طالوت ، ونجدة بن عامر ، وأبو مدين (٢)

وقد حاربهم الامويون طوال عهد دولتهم ، اما في عهد الدولة العباسية فقد ضعف شعبهم •

---

(١) الدينورى : الاخبار الطوال ص ٢٨٠ •

(٢) احمد امين : فجر الاسلام ص ٢٥٨ •

تعاليمهم :-

١ - كانت صبغة الخوارج في بداية امرهم سياسية فقد وضعوا نظرية للخلافة ، يجب ان تكون باختيار حر من المسلمين ، واذا اختير فلا يصح أن يتنازل اويحكم ، وليس بالضرورة ان يكون قرشيا ، ويجب ان يخضع الخليفة خضوعا تاما لما أمر الله والا وجب عزله ·

ولهذا نراهم خرجوا على خلفاء بني امية والعباسيين لانهم حسب اعتقادهم جائرون غير عادلين ·

٢ - العمل بأوامر الدين من صلاة وصيام وصدق وعدل جزء من الايمان وليس الايمان الاعتقاد وحده ، فمن اعتقد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ثم لم يعمل بفرض الدين وارتكب الكبائر يعتبر كافرا ·

٣ - من الخوارج من رأى ان لا حاجة للامة الى الامام ، وانما على الناس ان يعملوا بكتاب الله من انفسهم ، وهذه الفكرة نبعت من شعارهم (لا حكم الا لله) وقد قال علي بن ابي طالب عندما سمع شعارهم هذا قال : كلمة حق يراد بها باطل · نعم انه لا حكم الا لله ولكن هؤلاء يقولون : (لا امرة الا لله ، وانه لا بد للناس من امير بر او فاجر ، يعمل في امرته المؤمن ، ويستمتع فيها لكافر ، ويبلغ الله فيها الاجل ، ويجمع به الفيٌ ، ويقاتل به العدو، وتأمن به السبيل ، ويؤخذ به للضعيف من القوى حتى يستريح بر ، ويستراح من فاجر) ، لقد تفرق الخوارج الى فرق بلغت في العدد نحو عشرين ، كل فرقة تخالف الاخرى في بعض تعاليمها ، غير انهم اتفقوا على ما قيل في الخلافة وأمور الدين ·

من أشهر فرقهم :-

١ - الازارقة :

اتباع نافع بن الازرق وكان من اكبر فقهائهم وكفر جميع المسلمين ما عداهم ، وقال : لا يأكل من دبائحهم ولا الزواج منهم ، ولا يتوارث خارجي غيره ، واعتبر المسلمين غيرهم مثل عبدة الاوثان لا يقبل منهم الا الاسلام او السيف ويحل قتالهم ، وكفر القعدة الذين يقعدون عن القتال ٠

٢ - النجدات :

اتباع نجده بن عامر وأهم تعاليمه : المخطئ بعد ان يجتهد معذور ، والدين أمران معرفة الله ومعرفة رسوله وما عدا ذلك فالناس معذورون بجهله الى ان تقوم عليه الحجة ومن أداة اجتهادة الى استحلال حرام او تحريم حلال فهو معذور ٠

٣ - الاباضة :

وهي اتباع عبدالله بن اباض التميمي ولا يزال اتباعه في المغرب وغيره الى اليوم وقالوا يحل التزويج منهم ، ويتوارث الخارجي غيره ولا يحل قتال الخوارج الا بعد الدعوة واقامة الحجة واعلان القتال، وظهر الاباضية في النصف الثاني من القرن الاول الهجرى ٠

٤ - الصفرية :

وهي اتباع زياد بن الاصفر وهم لا يختلفون في تعاليمهم عن الازارقة ٠

ومن مميزات الخوارج :-

١ - تشديد في العبادة والانهماك فيها فيصفهم الشهرستاني بأنهم اهل

صوم وعبادة .

٢ - اخلصوا لعقيدتهم وقاتلوا دفاعا عنها ، فقد روى ان علي بن ابي طالب في اواخر ايامه انه قال : (لا تقاتلوا الخوارج بعدى، فليس من طلب الحق فأخطأه كمن طلب الباطل فأدركه) . (١)

٣ - الشجاعة ، فقد كان الخوارج يجابهون بعدد قليل جيشا كبيرا مزودا بالعدة والعتاد .

٤ - العربية الخالصة ، فجعلت للخوارج أدبا خاصا يمتاز بالقوة شعرا ونثرا .

جـ - **المعتزلة :-**

وهم قوم لم يعجبهم اعمال الخوارج وأهل السنة الذين اوقعوا في الناس قتلا ، فاعتزلوا فسموا المعتزلة (٢).

وممن اشتهر من اوائل الداعين الى الاعتزال واصل بن عطاء ، وعمرو بن عبيد ، وقد اختلفا مع الحسن البصرى على مرتكب الكبيرة ، فكان رأى الحسن البصرى فيه أنه منافق ، اما رأيهما فكان لا كافر ولا مؤمن فطردهما الحسن البصرى من مجلسه في مسجد البصرة واعتزلا في ناحية من نواحيه ، وقال الناس فيهما : انهما قد اعتزلا قول الامة (٣).

لم يكن المعتزلة راضين عن اسمهم هذا ، فلقبوا انفسهم اهل

---

(١) احمد امين : فجر الاسلام ص ٢٦٣ .

(٢) ابن منظور لسان العرب ج ٤ ص ٣٩٣ .

(٣) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام ج ١ ، ص ٤٢٩ .

العدل والتوحيد (١).

مذهب المعتزلة :-

بنى المعتزلة مذهبهم على الاصول الخمسة التي سموها : العدل، والتوحيد ، وانفاذ الوعيد ، والمنزلة بين المنزلتين ، والامر بالمعروف والنهي عن المنكر .

اما العدل فقد ستروا تحته نفي القدر ، وقالوا : ان الله لا يخلق الشر ولا يقضي به ، اذ لو خلقه ثم يعذبهم عليه يكون ذلك جورا ؟ والله تعالى عادلا لا يجور .

والتوحيد ستروا تحته القول بخلق القران ، اذ لو كان غير مخلوق لزم تعدد القدماء ؟ ويلزمهم على هذا القول الفاسد ان علمه وقدرته وسائر صفاته مخلوقة ، او التناقض .

اما الوعيد ، فقالوا : اذا اوعد بعض عبيده وعيدا فلا يجوز ان يعذبهم ويخلف وعيده ، لانه لا يخلف الميعاد ، فلا يعفو عمن يشاء ، ولا يغفر لمن يريد .

وأما المنزلة بين المنزلتين فعندهم ان من ارتكب كبيرة يخرج من الايمان ولا يدخل في الكفر ؟ . وأما الامر بالمعروف ، فهو انهم قالوا : علينا ان نأمر غيرنا بما امرنا به وان نلزمه بما يلزمنا ، وذلك هو الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وضمنوه انه يجوز الخروج على الائمة بالقتال اذا جاروا (٢).

وقد تعرض المعتزلة للاحداث السياسية التي وقعت في صدر

---

(١) احمد امين : فجر الاسلام ص ٢٩٧ .

(٢) ابن ابي العز الحنفي : شرح العقيدة الطحاوية ص ٥٨٩ .

الاسلام وأباحوا لانفسهم نقد الصحابة والحكم على اعمالهم وحروبهم ٠

وقد نشأ الاعتزال في البصرة ،ثم انتشر في العراق، واعتنقه من خلفاء بني امية يزيد بن الوليد ، ومروان بن محمد ٠

والمعتزلة هم اول من اوجد علم الكلام في الاسلام ، وأول من تسلح من المسلمين بسلاح خصومهم في الدين فجادلوا اصحاب الديانات الاخرى في مسائل كثيرة كالقدر ،وصفات الله وخلق القران - وقد نكل المعتزلة في الناس في عهد المأمون والمعتصم لحملهم على القول بخلق القرآن(١)!

د- المرجئة :-

وهم فرقة من فرق الاسلام يعتقدون انه لا يضر مع الايمان معصية، كما انه لا ينفع مع الكفر طاعة ٠ سموا مرجئة لان الله ارجا تعذيبهم على المعاصي ،اى اخره عنهم (٢).

لقد وقفت المرجئة من الفئات المتصارعة موقف المتفرج ، وسالمت الجميع ، ولم تحاول ان تحكم على احد من اطراف النزاع كالخوارج والشيعة والامويين بالكفر ، بل تُرك امرهم جميعا لله ٠

كان نواة هذه الطائفة بين الصحابة ،فقد وقف جماعة من الصحابة موقف المتفرج وعدم الغوص في النزاع الذى شب فى عهد الخليفة عثمان بن عفان ، وهذه النزعة وعدم الرغبة في المشاركة في الحروب والفتن هو الاساس الذى بنى عليه مذهب الارجاء، ولم يظهر كمذهب الا بعد ظهور الخوارج والشيعة ٠

---

(١) احمد امين : فجر الاسلام ص ٢٩٩ ٠

(٢) ابن منظور : لسان العرب ج ٢، ص ١٥٨٣ ٠

ومن مبادئ المرجئة :-

١ - الايمان · من عرف ان لا اله الا الله محمدا رسول الله فهو مؤمن ·

٢ - الايمان هو الاعتقاد بالقلب وان اعلن الكفر بلسانه وعبد الاوثان ، اوكان ممن لزم الديانة اليهودية او النصرانية في دار الاسلام ، ومات على ذلك فهو مؤمن كامل الايمان عند الله عز وجل ومن اهل الجنة (١)، ومن شعراء بني امية في الارجاء ثابت قطنة ، وقد كان من عمال المهلب بن ابي صفرة ، وله قصيدة شعرية تعتبر وثيقة قيمة في مذهبهم ، قال فيها ·-

يا هند فاسمعي لي ان سيرتنا	ان نعبد الله لم نشرك به احدا
نرجي الامور اذا كانت مشبهة	ونصدق القول فيمن جار او عندا
المسلمون على الاسلام كلهمو	والمشركون استووا في دينهم قددا
ولا ارى ان ذنبا بالغ احدا	الناس شركا اذا ما وحدوا الصمدا
لا نسفك الدم الا أن يراد بنا	سفك الدماء طريقا واحدا جددا
من يتق الله في الدنيا فان له	اجر التقي اذا وفي الحساب غدا
وما قضى الله في امر فليس له	رد وما يقضي من شيّ يكن رشدا
كل الخوارج مخط في مقالته	ولو تعبد فيما قال واجتهدا
اما علي وعثمان فانهما	عبدان لم يشركا بالله مذ عبدا
وكان بينهما شعب وقد شهدا	شق العصا وبين الله ما شهدا
يجزى عليا وعثمانا بسعيهما	ولست ادرى بحق أية وردا

---

(١) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام ج ١ ، ص ٤٢٧ ·

الله يعلم ماذا يحضران به وكل عبد سيلقى الله منفردا [1]

هـ- **الزبيريون :-** [2]

ينسب الزبيريون الى عبد الله بن الزبير وهو الصحابي ولد في المدينة في العام الاول من الهجرة النبوية ، وأمه اسماء بنت ابي بكر ٠

وكان عبدالله بن الزبير رجلا طموحا يحب المجد والسلطان ، وكانت الخلافة املا من اماله ، ولكن لم يفكر فيها تفكيرا ايجابيا الا بعد ان اعلن معاوية بن ابي سفيان البيعة لابنه يزيد ، فقام ورفع لواء المعارضة ، لكن معاوية استعمل معه اسلوب القوة ، فسكت على مضض وظل في مكة رابضا ينتظر الفرصة المناسبة ٠

ولما توفي معاوية وتسلم يزيد زمام الخلافة ، كان ابن الزبير يعلم في قرارة نفسه ان اهل الحجاز لا يمكن ان يبايعوه والحسين بن علي على قيد الحياة وذلك امركزه بين الناس ولحبهم له ، فهو حفيد الرسول صلى الله عليه وسلم ، وخليفة الحسن بن علي ، ولهذا فأنه كان يراه المنافس الوحيد [3]، وحين علم ابن الزبير بتصميم الحسين بن علي على الخروج الى الكوفة قدم اليه ونصحه بمجاهدة الامويين قائلا له : (اما لو كان لي بها مثل انصارك ما عدلت عنها) ، ثم انه تخوف من اتهامه والظن به ، فقال (لو اقمت بمكانك فدعوتنا وأهل الحجاز على بيعتك لاجبناك ، وكنا اليك سراعا وكنت احق بذلك من يزيد) [3]

---

(١) انظر شحادة الناطور : عبدالله بن الزبير والانتفاضة الثورية في عهد بني امية ٠

(٢) المسعودي : مرج الذهب ج ٣ ، ص ٦٥ ٠

(٣) ابن الاثير : الكامل في التاريخ ج ٣ ، ص ٢٨٤ ٠

وقد حاول ابناء عمومة الحسين وابناء الصحابة اقناعه بعدم الذهاب الى الكوفة ، وطالبوه في مكة الا انه رفض وأصر على رأيه خرج الحسين بن علي من مكة متجها الى الكوفة ، فكانت معركة كربلاء ومقتله ومعظم ال بيته في العاشر من المحرم سنة ٦١هـ/ ٦٨١م ٠ كان لمقتل الحسين رضي الله عنه الاثر الكبير على العالم الاسلامي ، وخاصة اهل المدينة المنورة ، حيث تحولت الى شواظ من نار يلحس بالسنته الملتهبة قلوب المؤمنين ، ويؤجج صدورهم بالحقد على يزيد بن معاوية وعلى بني امية جميعا ٠

ولم يمض يوم واحد حتى استقر معظم اهل المدينة على خلع يزيد ، وبدأ الصراع العنيف يقصف رعوده بين اهل المدينة وبني امية حتى استطاع اهل المدينة ان يجعلوهم في معزل عن الناس ، ومن ثم حاصروهم في دورهم فلا يخرجون الا في الخفاء ثم طردوا عامل بني امية ٠

لقد هالت اخبار المدينة يزيد بن معاوية ، فصمم على اخضاعها ، فأرسل جيشا كبيرا بقيادة مسلم بن عقبة ، فكانت معركة الحرة سنة ٦٣هـ/ ٦٨٣م ، التي انتصر فيها على اهل المدينة ، حيث دخلها وأباحها للجنود مدة ثلاثة ايام فقتلوا الكثير منها ، وأخذت البيعة لزيد ، وضرب عنق كل من خالف [1] ، ثم سار الجيش متجها الى مكة المكرمة لاخضاع عبدالله بن الزبير ، وفي اثناء الطريق توفي مسلم بن عقبة فخلفه الحصين بن نمير السكوني ، وعندما وصل الجيش مكة حاصرها وضربها بالمنجنيق ، فتصدعت جدران الكعبة من جراء ذلك ، وفي ذلك

---

(١) ابن حزم : جوامع السيرة ص ٣٥٨ ٠

الاثناء توفي يزيد بن معاوية وكان ذلك سنة ٦٤هـ/ ٦٨٤م ، فأوقف القتال ، وتقدم الحصين بن نمير للقاء ابن الزبير ، فحاول اقناعه بالذهاب معه الى الشام لاخذ البيعة له الا انه رفض ذلك (١) .

لقد أخطأ ابن الزبير بعدم الاستجابة لطلب قائد يزيد ، وبذلك اضاع فرصة لو اغتنمها لتحقق هدفه لتحقيق هدفه ، ولكن رفضه هذا يدل على انه بعيد كل البعد عن السياسة .

كما انه بامكانه ان يتتبع جيش الشام ، ويهاجم الامويين وقد كانوا متفرقين ويحقق بذلك النصر عليهم لكنه اضاع هذه الفرصة ايضا ، وبقي رابضا في مكة .

سارت الايام بعد ذلك باليمن لابن الزبير ، والتف الناس حول ولاته في كل الامصار ، وبايعوه بالخلافة وبذلك دانت له كل البلاد بالطاعة المطلقة والولاء الاكبر ما عدا اجزاء بسيطة من بلاد الشام .

وفي خضم الاحداث تسلل المختار بن ابي عبيد الثقفي الى الكوفة وسيطر عليها ، وبذلك ظهر منافس اخر لابن الزبير ، يتطلع الى الخلافة ، وفي سبيل الحصول على ما يهدف اليه ، فقد اخذ يدعو الى ابن الحنفية وبثارات الحسين بن على ، فأخذ يلاحق قتلة الحسين ، وقرب اليه الموالي ، مما جعل اشراف الكوفة ينفرون منه ويسخطون عليه ، ويهربون الى مصعب بن الزبير والى البصرة ، ثم اخذ زعماء الكوفة يحرضون مصعبا على المختار ويطلبون منه ان يخلص الكوفة من براثنه وتكلم محمد بن الاشعث بن قيس حيث قال : (ايها الامير ، ما يمنعك من المسير لمحاربة هذا الكذاب الذى قتل خيارنا ، وهدم دورنا ، وفرق

---

(١) المسعودى : مروج الذهب ج٣ ، ص ٩ .

جماعتنا ، وحمل ابناء العجم على رقابنا واباحهم اموالنا ، سر اليه فانا جميعا معك ، وكذلك من خلفنا بالكوفة من العرب هم اعوانك) .

فقال مصعب : (يا ابن الاشعث ، انا عارف بكل ما ارتكبكم به ، وليس يمنعني عن المسير الا غيبة فرسان اهل البصرة واشرافهم فأنهم مع ابن عمك المهلب بن ابي صفرة) [1] . فكلف مصعب بن الزبير، محمد الاشعث للذهاب الى المهلب لاقناعه بالحضور للاشتراك في حرب المختار ، وعندما وصل ابن الاشعث الى المهلب ، قال المهلب له : (ما وجد مصعب بريدا غيرك ، فقال : ما أنا بريد ولكن غلبنا عبيدنا على ابنائنا وحرمنا) [2] .

استجاب المهلب لطلب مصعب وسار بجيشه الى البصرة حيث اشترك بالحملة على المختار ، التقى الجيشان في معركة حاسمة ، قتل الكثير ، والكل فيها مستميت ، يحارب بكل شجاعة وبسالة الا انها انتهت بهزيمة المختار وقتله ، وقتل عدد كبير من جيشه [3] .

وهكذا اصبحت العراق بعد هزيمة المختار تحت سيطيرة ابن الزبير .

وفي اثناء هذه الاحداث التي تمت في العراق ، كان الامويون قد لموا شعثهم ، وتسلم الخلافة عبدالملك بن مروان ، فانتهز هذه الفرصة ، فرصة الانهاك التي اصابت جيش مصعب بن الزبير، فصمم على القضاء على مصعب وتخليص العراق من قبضته ، فزحف بجيشه متجها

---

(١) ابن كثير : البداية والنهاية ج ٨ ، ص ٢٧٨ .

(٢) الدينوري : الاخبار الطوال ص ٣٠٥ .

(٣) المسعودي : مروج الذهب ج ٣ ، ص ١٠٦ .

الى العراق ، فالتقى الجيشان في مسكن على شاطي دجلة ، وقبل بدء المعركة ،كاتب عبدالملك قادة جيش مصعب مغريا اياهم بالمال والمناصب ، فغدر اهل العراق بمصعب والتحقوا بجيش عبدالملك بن مروان ، فكانت النتيجة انهزام جيش مصعب ، ومقتله وكان دلك سنة ٧١هـ/ ٦٩١م (١) .

وبعد هذا الانتصار الذي حققه عبدالملك على الزبيريين ، دخل الكوفة وأخذ البيعة من اهلها ، ثم عين اخاه بشر بن مروان عاملا على العراق .

ولم تبق الا الحجاز تحت سلطة عبدالله بن الزبير ، فأرسل عبدالملك قائده الحجاج ابن يوسف الثقفي على رأس جيش كبير لتخليص الحجاز من حكم الزبيريين .

استطاع الحجاج من القضاء على عبدالله بن الزبير وقتله وصلبه سنة ٧٣هـ/ ٦٩٣م ، بعد ان ضرب الكعبة بالمنجنيق ، وبذلك قضى على الزبيريين وعادت جميع الولايات الاسلامية خاضعة لحكم الامويين (٢) .

أسباب فشل عبدالله بن الزبير :-

١ - بخله :

كان عدد كبير من الموالي قد انضم اليه ، وأيده بمطالبة بالخلافة ، فجاءوا اليه يطلبون منه العون والمساعدة لحاجتهم ، فقال لهم : انما بطني شبر فما عسى ان يسمح ذلك من الدنيا ؟ فلما

---

(١) ابن الاثير : الكامل في التاريخ ج ٤ ، ص ١٢ .

(٢) ابن طباطبا : الفخرى ص ١٢٣ .

رأى الموالي منه هذا الشح والتقطير نفروا منه وانصرفوا عنه ، وبذلك خسر الى جانبه الموالي ، وقال بعضهم موجها خطابه الى ابن الزبير : :

ان الموالي احست وهي عاتبة على الخليفة تشكو الجوع والحربا

ثم يندد بعض الموالي في السياسة التي ينهجها في معاملتهم فيقول :

تخبرنا ان سوف تكفيك قبضة وبطنك شبر او اقل من الشبر

٢ - سوء معاملة ابن الزبير لاشراف العراق :-

جاء مصعب بن الزبير الى مكة في موسم الحج بعد ان هزم المختار ومعه اشراف العراق ، وقدمهم لاخيه عبدالله ، وطلب منه ان يكرمهم ، فقال عبدالله لاخيه مصعب : جئتني بعبيد اهل العراق وتأمرني ان اعطيهم مال الله ؟ لا افعل وايم الله لوددت ان اصرفهم كما تصرف الدراهم بالدنانير كل عشرة من هؤلاء برجل من اهل الشام، فغضب اشراف العراق وصمموا على الغدر به (١) .

٣ - عدم حنكته السياسية :-

لقد دعاه الحصين بن نمير بعد ان علم بوفاة الخليفة يزيد بن معاوية في الخروج الى الشام لمساعدته لاخذ البيعة له ولكنه رفض هذه الدعوة ، وقال له : (لا بد ان اقتل بكل رجل من اهل الحجاز عشرة من اهل الشام ، فقال له الحصين : لقد كذب من زعم انك من دهاة العرب)

---

(١) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسي ج ١ ، ص ٤٢٥ .

٤ـ اتخاذ مكة عاصمة لدولته :ـ

لقد كان من واجب ابن الزبير الاسراع في التحول من الدفاع الى الهجوم ، ولكنه بقي معتصما بالمسجد الحرام والبقاء على ما هو عليه حتى خرجت البلاد الاسلامية من يده وهو (يتفرج عليها ، دون ان يكلف نفسه مشقة الجهاد في سبيل الاحتفاظ بها) ·

٥ـ سوء تصرفه مع آل البيت :ـ

فعندما آلت اليه البيعة أخذ يطبق الخناق على محمد بن الحنفية وعبدالله بن عباس واتباعهم ليبايعوه (٢).

٦ ـ عجزه عن المحافظة على استمالة الخوارج والشيعة :ـ

بحيث اضطر ان يقاتلهم فاستنفذوا قسما كبيرا من طاقته ·

٧ ـ اهماله الدعاية والاعلام :

فعندما بايعه بني جعدة قال له : (هون عليك ابا ليلى فالشعر ادنى وسائلك عندنا) (٣).

نشوء الخلافة العباسية وقيام دولتهم :ـ

لقد تكالب الساخطون والحاقدون على الدولة الاموية للقضاء عليهم ، كل منهم يعمل بطريقته وحسب هدفه ، وقد استغل هذا الموقف دعاة العباسيين فأخذوا يعملون على جلب هؤلاء الساخطين وضمهم الى صفوفهم وقد سارت الدعوة العباسية في دورين ، دور الدعوة

---

(١) ابن كثير : البداية والنهاية ج ٨ ص ٢٧٧ ·

(٢) شحادة الناطور : ثورة عبدالله بن الزبير ص ١٧٩ ·

(٣) الاصفهاني : الاغاني ج ٥ ، ص ٢٥ ·

السرية ، والدعوة الجهرية ٠ فقد استمرت الدعوة السرية من مطلع القرن الثاني الهجرى حتى سنة ١٢٧ هـ ، وكان دعاة العباسيين يتخفون بصورة تجار فينشرون ارا ءهم واهدافهم من دار الى دار ومن مدينة الى اخرى متخذين في سبيل ذلك الحيطة والحذر من بطش خلفا ء الدولة الاموية ٠

لقد استعمل دعاة الدولة العباسية جميع الاساليب للوصول الى هدفهم في هذه الفترة فكانوا يشعلون نار الفتنة بين القبائل ، فكان خلفا ء بني امية يعملون لصالح العباسيين دون ان يشعروا ، فقد اشعل هؤلا ء الخلفا ء نار العصبية القبلية ، كما استغل العباسيون ودعاتها حب اهل خراسان وبلاد فارس لآل البيت ، ويبثون بينهم بأن حقهم مغتصب ويجب ان يعود هذا الحق الى نصابه ، وبذلك انضم الى صفوفهم الاعاجم لانهم كانوا يؤمنون بأن ال البيت اولى بالخلافة من غيرهم ٠

وكان ولاة الامويين .سيتتبعون اخبار هؤلا ء الدعاة للعباسيين ، فكانوا يلاحقونهم وينكلون بهم ومن اشهر هؤلا ء الولاة عامل خراسان اسد بن عبدالله القسرى والذى تولى امر خرسان مرتين (١٠٦ ـ ١٠٩هـ) والمرة الثانية (١١٧ ـ ١٢٠ نـ) وكان مثالا لليقظة والحزم ، لان الدعاة لم يهدأ لهم بال ، ولم يردعهم تنكيل او تعذيب بل استمروا في دعوتهم حتى النهاية (١).

وفي خلال هذا الدور توفي الامام محمد بن علي بن عبدالله بن

---

(١) الطبرى تاريخ الرسل والملوك ج ٧ ص ١٠٧ ٠

عباس بالحميمة سنة ١٢٥هـ [١] ، وكان قد عهد قبل وفاته لابنه ابراهيم بالامامة ، وفي عهده تطور النزاع ، فانتقل من المرحلة السرية الى المرحلة الجهرية ، ومن الدعوة بالكلام الى العمل وامتشاق الحسام [٢] .

وبذلك بدأ الدور الثاني سنة ١٢٧ هـ ، وتولى قيادة هذا الدور ابو مسلم الخراساني ، ويعتبر ابو مسلم من دهاة السياسة وعباقرة الحروب ويعود له الفضل في نجاح ثورة العباسيين .

لقد تجمع حول ابي مسلم كل المؤيدين للعباسيين ، كما تجمع حوله المؤيدون لال البيت ، وتجمع ايضا الساخطون والحاقدون للدولة الاموية .

علم نصر بن سيار عامل الدولة الاموية على خراسان ، فكتب الى الخليفة الاموى مروان بن محمد يعلمه بثورة ابي مسلم الخراساني وكثرة جموعه ، وأعلمه ايضا بأنه يدعو الى ابراهيم بن محمد .

أمر الخليفة مروان عامله بالبلقاء ان يهاجم الحميمة ، ويأسر ابراهيم بن محمد ويرسل به اليه ، وفعلا ارسل عامل البلقاء الى الحميمة من استطاع القاء القبض على ابراهيم واحضاره الى الخليفة مشدودا عليه الوثاق ، فأمر به فحبس ثم قتل بعد ذلك .

ولما قتل ابراهيم خاف ابو جعفر وأبو العباس فخرجا من الحميمة الى الكوفة واختفيا فيها عند ابي سلمة الخلال احد انصارهما .

فلما علم ابو مسلم الخراساني بوصولهما الى الكوفة قدم اليهما وعزاهما بوفاة اخيهما ابراهيم وبايع اخاه ابا العباس ، وعاد الى

---

(١) ابن الاثير : الكامل في التاريخ ج٥ ، ص ٢٧٥ .

(٢) الخضرى : محاضرات تاريخ الامم الاسلامية ص ٤٦ .

خراسان فأوصاه ابو العباس الا يدع في خراسان عربيا لا يدخل تحت أمره الا ضرب عنقه ٠

لقد نجحت الثورة العباسية في خراسان لان أبا مسلم قائدها فهو خراساني من اهل البلاد ، فأنضم اليه الجميع من السكان الاصليين حتى بلغ عدد جيشه مائة الف رجل ٠

اما نصر بن سيار فأنه اخذ يستنجد ويستغيث الخليفة ليرسل اليه النجدات بعد ان رأى كثرة جيش ابي مسلم ، ولكن لا مستجيب ولا نصير ، فكان انهزام نصر امام ابي مسلم وجيشه ، فمات في مدينة ساوة سنة ١٣١هـ ، فسيطر أبو مسلم على جميع خراسان واصبحت تحت سلطته (١).

ثم اتجه ابو مسلم بجيشه الى العراق وسيطر عليها وبويع ابو العباس بالخلافة في ربيع الاول ١٣٢ هـ ٠ لقد هالت الاخبار الخليفة الاموى مروان ، وافزعته قوة اعدائه العباسيين ، فجمع جيشا كبيرا يقدر عدده بمائة الف ، وتلاقى مع جيش العباسيين البالغ اربعين الفا على نهر الزاب في جمادى الاخر سنة ١٣٢ هـ ، وعلى الرغم من ضخامة جيش الامويين الا انهم هزموا ، بسبب الدعاية التي قام بها العباسيون وللانتصارات التي احرزها في خراسان والعراق ، اما الخليفة مروان فقد هرب طالبا النجاة بروحه متخفيا من بلد الى اخر ، حتى كانت نهايته حيث قتل في السابع والعشرين من ذى القعدة سنة ١٣٢ هـ ، في مصر بقرية بوصير (٢).

---

(١) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ج٧ ، ص ٤٠٤ ٠

(٢) المسعودى : مروج الذهب ج٣ ، ص ٢٧١ ٠

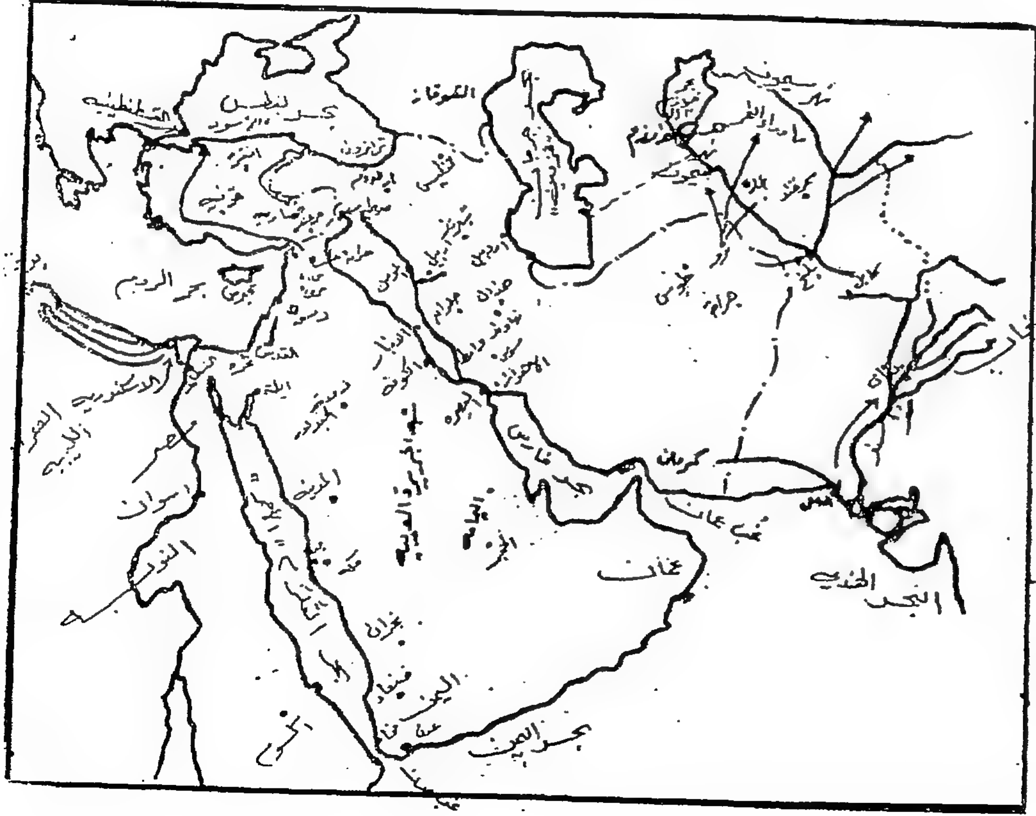
لم تكن نهاية مروان تعني انتهاء المتاعب للعباسيين ،فنشبت الفتن في بعض البلاد ولكن العباسيين قضوا عليها بالقوة والشدة ، وهكذا انتهى الحكم الاموى ولم يبق من الامويين من يرفع السلاح الا العدد القليل وأخيرا استسلموا واعلنوا الولاء والطاعة ٠

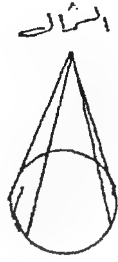
لقد تسلم العباسيون زمام الامور وأصبحت البلاد الاسلامية خاضعة لهم ولكنهم لم يقتدوا برسول الله صلى الله عليه وسلم بالعفو والصفح ، بل ارتكبوا الفظائع في الامويين واعوانهم ،فأعطوا بذلك مثالا للقسوة التي لا ترحم والعنف الذى لا يعقل ،فلم يفلت منهم الا الرضيع ـ

لم يقتصر اظهار النقمة من العباسيين على الامويين على الاحياء فقط ، بل انهم اظهروا سخطهم وحقدهم بأن قاموا بنبش القبور، واخراج عظام من فيها ٠

وقد نجا من قسوة العباسيين وعنفهم عبدالرحمن بن معاوية بن هشام بن عبدالملك الذى هرب الى الاندلس فأسس فيها الدولة الاموية في الاندلس ٠

وبعد ان ارتوت الارض بدماء الامويين واعوانهم ، وعبث في اجسام موتاهم الكلاب ، اصدر الخليفة ابو العباس امراً بالامان ٠





الدولة الأموية
في آسيا
(٦٦١ – ٧٥٠م)

مقياس الرسم

حدود دولة الخلافة الأموية

إعداد:
شحادة علي الناطور

الفصل الرابع

الفتوحات الإسلامية حتى نهاية الدَّولة الأمويّة وَاستقرار الدَّولة

- في شرق الدولة الاسلامية .
- في غرب الدولة الاسلامية .
- محاولات فتح القسطنطينية .

الفتوحات الاسلامية في عهد الدولة الاموية :-

أ- في اسيا :

كان معاوية بن ابي سفيان واليا على بلاد الشام منذ عهد الخليفة عمر بن الخطاب ، ولذلك فأن حدود ولايته المشالية تحادي حدود الدولة البيزنطية ، ومنذ ذلك الحين اخذ معاوية يحصن حدود ولايته لانه رأى منهم العدو الذي يحلم باستعادة امجادهم في بلاد الشام .

وعندما اشتعلت الفتنة في عهد عثمان بن عفان وبعد مقتله بينه وبين الخليفة علي بن ابي طالب وانشغاله فيها استعاد البيزنطيون اجزاء من ارمينية وبدأوا يستعدون للزحف على حدوده ، فاضطر الى عقد هدنة معهم ودفع لهم اتاوة ريثما ينتهي من مشاكله وحروبه مع الخليفة علي بن ابي طالب . وعندما هدأت الاحوال للخليفة معاوية وسيطر على الامور ، رتب امر غزوها برا وبحرا ، وأوجد نظام الصوائف والشواتي ، وفكر في ضرب الامبراطورية البيزنطية ضربة قوية تخر من هولها وتقدم له الولاء والطاعة ، بل لعله يقضي عليها نهائيا ، فخطط لغزو عاصمتهم القسطنطينية ، ففي سنة ٤٧ هـ ، سير الجيش بعد ان جهزه بقيادة ابنه يزيد ومعه الصحابي ابو ايوب الانصاري وعبدالله بن الزبير وعبدالله بن عمر وابن العباس ، ووصل الجيش في سنة ٤٨ هـ ، وحاصروا المدينة وكان يساعدهم من البحر الاسطول الاسلامي ، قامت حول المدينة المعارك العنيفة ، ولكن اسوار المدينة العظيمة كانت اقوى من المهاجمين فامتد الحصار سبع سنوات ، فمات خلالها الصحابي

الجليل الشهير ابو ايوب الانصارى ودفن تحت اسوارها [1]، وقاست القسطنطينية من جراء هذا الحصار ولكنها صمدت بفضل النيران الملتهبة التي كانت تُقذف على الاسطول الاسلامي والمهاجمين من البر ، وفشلت هذه الحملة وعاد يزيد بن معاوية وحملته لان وجوده اصبح ضروريا في دمشق من اجل ولاية العهد ٠

اشتعلت نار الفتن بعد وفاة معاوية وتولية يزيد الخلافة واستمرت هذه الفتن حتى تولى الخلافة عبدالملك بن مروان فصالح البيزنطيين على ان يؤدى لهم كل يوم جمعة الف دينار ولما قضى عبدالملك على الفتن الداخلية استرد ما استولى عليه البيزنطيون من الثغور الاسلامية وأعاد اخضاع ارمينية ونظم الصوائف والشواتي، ودعم الحصون واكثر من حراسها ، وفي سنة ٨٤ هـ ، ارسل عبدالملك بن مروان جيشا بقيادة عبدالله بن عبدالملك فغزا البيزنطيين وفتح المصيصة [2].

وفي عهد الوليد بن عبدالملك استولى المسلمون على بعض الحصون وأعاد ترميمها واسكنها الجنود الاشداء ومن هذه الحصون مرعش وعمورية الا ان هذه الحملة لاقت صعوبات كبيرة بسبب البرد القارص ، وقام الخليفة سليمان بن عبدالملك بمحاولة فتح القسطنطينية وكان قائد الحملة مسلمة بن عبدالملك الذى عبر البحر حتى وصل أسوار المدينة ٠

وقطع البيزنطيون طريق الامدادات عن الحملة ، فاصدر الخليفة عمر بن عبدالعزيز الذى جاء بعد سليمان بالانسحاب وعودة الجيوش الاسلامية

---

(١) ابن الاثير : الكامل في التاريخ ج ٣، ص ٤٥٩ ٠

(٢) البلاذرى : فتوح البلدان ص ١٦٩ ٠

ونجت القسطنطينية من الاحتلال سنة ٩٩هـ/ ٧١٧م [1] ٠

اما الميدان الشرقي للدولة الاموية فقد تفرعت فيها الفتوحات الى جبهتين وكان ذلك في عهد الوليد بن عبدالملك فيما وراء النهر وفي السند ٠

جبهة ما وراء النهر :-

وهي التي تقع بين نهر جيحون وسيحون وأهم الممالك التي تقع في هذه الجبهة مملكة طخارستان على جانبي نهر جيحون وعاصمتها بلخ ، ومملكة صغانيان شمال نهر جيحون وعاصمتها شومان ، ومملكة الصغد وهي تمتد من جيحون الى سيحون وملكها يلقب بالاخشيد ، مملكة خوارزم في اعلى نهر سيحون وعاصمتها الجرجانية ومملكة اشروسنة وهي شرق فرغانة ولقب ملكها الافشين وعاصمتها بنجكث ، ومملكة الشاش في شمال سيحون وعاصمتها بنكث ٠

وقد بدأ غزو هذه البلاد منذ عهد معاوية بن ابي سفيان ، فوصل المسلمون في عهد الوالي عبيدالله بن زياد الى بخارى وسمرقند ٠

ولكن الفتوحات في هذه الجبهة نشطت في عهد والي العراق الحجاج بن يوسف الثقفي ، وكانت تعرقل سير هذه الفتوحات الثورات والفتن كثورة ابن الاشعث ٠ وعندما قضى الحجاج على هذه الثورات نظمت الفتوحات بشكل اكثر ، وكان الزحف هذه المرة على يد القائد قتيبة بن مسلم الذى كانت غاراته اكثر جدية واكثر تنظيماً وبدأت حملات قتيبة في عهد الوليد بن عبد الملك واستمرت حتى عهد

---

(١) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ج ٢ ، ص ٥٥٣ ٠

سليمان بن عبدالملك وقد استطاع قتيبة ان يفتح معظم تلك البلاد التي تقع على النهرين او بينهما ولم يكتف قتيبة بالفتح بل نشر الاسلام بين سكان تلك المناطق فدخل كثير من سكانها في الاسلام •

ولما انتهى قتيبة من بلاد ما بين النهرين اتجه الى الصين فاتحا غازيا وقبل ان يدخل اراضيها ارسل وفدا من ملك الصين يدعوه الى الاسلام او الجزية او القتال ، فثار ملك الصين وقال لرئيس الوفد : اذهب الى صاحبك فقل له ينصرف فانا قد عرفت حرصه وقلة اصحابه ، والا بعثت عليكم من يهلككم ويهلكه فأجابه بثقة وقوة : كيف يكون حريصا من خلف الدنيا قادرا عليها وغزاك ؟ وكيف يكون قليل الاصحاب من اول خيله في بلادك واخرها في منابت الزيتون ؟ واما تخويفك ايانا بالقتل فان لنا اجالا اذا حضرت فأكرمها القتل فلسنا نكرهه ولا نخافه •

فعرف ملك الصين ان التهديد لا فائدة منه ، فعاد يسأل : ماذا يرضي صاحبكم ؟ فأجابه قائد الوفد : انه حلف الا ينصرف حتى يطأ ارضكم ويختم ملوككم ويأخذ الجزية فقال الملك : انا نخرجه من يمينه فلا يحنث نبعث اليه بتراب من ارضنا فيطؤه ، وبعض ابنائنا فيختمهم ، ونبعث له بجزية يرضاها ، وهكذا افتدى ملك الصين نفسه وبلاده (١)

جبهة السند :-

وهي البلاد المحيطة بنهر السند وهي ممتدة غربا من ايران الى جبال هيمالايا شرقا تاركة شبه القارة الهندية في جنوبها ، وبلاد السند تكون جزءا كبيرا من دولة الباكستان الحالية •

---

(١) الطبري : تاريخ الرسل والملوك ج ٦ ، ص ٣[illegible] •

بدأت الفتوحات مبكرة في هذه البلاد من عهد الخليفة عمر بن الخطاب ، ولما تولى الخلافة معاوية بن ابي سفيان غزا قائده المهلب بن ابي صفرة هذه البلاد ، ولكن الفتح المنظم جاء دوره في عهد الوليد بن عبد الملك ، وقام بعملية الغزو عامله على العراق الحجاج بن يوسف الثقفي ، فاستأذن الخليفة بمهاجمة السند لانها ملجأ الخارجين على الدولة وليؤمن طرق التجارة وحدود الدولة من غارات المعتدين فأذن له ، فجهز الحجاج حملة كبيرة بقيادة الشاب محمد بن القاسم الثقفي ابن اخته ، فسارت الحملة بطريقتين برى وبحرى ، وقاد محمد بن القاسم القسم البرى ، وفتح جميع الحصون التي اعترضت طريقه صلحا وعنوة ، والتقى اخيرا بملك السند (داهر) ودارت بينهما معارك طاحنة ، فأنتصر جيش المسلمين وانهزم داهر وفر جنوده ، وبانهزام جيش داهر اصبح الطريق ممهدا امام محمد بن القاسم للسيطرة على بلاد السند كلها ، ففتح تلك البلاد حتى وصل الى كشمير في شمال السند ٠ وقد عامل القائد محمد بن القاسم الهندوس ورجال الدين معاملة حسنة وترك لهم حرية العبادة على ان يؤدوا الجزية للمسلمين [1]

ب - **في افريقيا والاندلس :**

كان ولاة مصر يعملون على تأمين حدود مصر الغربية ، فامتد الفتح الاسلامي في عهد الخليفة عثمان الى برقة وطرابلس ، ولكن البيزنطيين بدأوا يجددون حصونهم في الساحل ويستعدون لمحاربة المسلمين وطردهم من شمال افريقية خاصة عندما ، اشتعلت نار الفتن ٠

---

(١) البلاذرى : فتوح البلدان ص ٤٢٧ ٠

وعندما الت الخلافة الى معاوية بن ابي سفيان ، قرر القضاء نهائيا على نفوذ البيزنطيين في شمال افريقيا ، وقد اعتمد على القائد الشهير عقبة بن نافع الذى كان مقيما في برقة منذ فتحها يدعو البربر الى الاسلام ٠

تولى عقبة قيادة الجيوش ، فانزل بالاعداء الخسائر الفادحة واحرز الانتصارات العظيمة على البيزنطيين في الساحل وعلى البربر في الداخل فخضعت له طرابلس وفزان ووصل حتى السودان في الجنوب ، ثم اختار معسكرا للجيش ومقرا للمسلمين فأنشأ مدينة القيروان وبنى فيها مسجد ودارا للامارة ، ودورا للجنود وأُسرهم وكان بناء هذه المدينة سنة ٥٠ هـ ، وفي سنة ٥٥ هـ ، عزل معاوية والي مصر معاوية ابن خديج وولى مكانه مسلمة بن مخلد الانصارى ، وضم له المغرب ، فعزل مسلمة والي مصر والمغرب الجديد عقبة وولى مكانه مولاه ابو المهاجر ، فاستطاع ان يكسب الى جانبه زعيم البربر كسيله وبذلك انضم الى جانبه عدد كبير من قبائل البربر ، وبعد ان امن ابو المهاجر البربر هاجم معقل البيزنطيين الشهير (قرطاجة) ٠

وفي عهد يزيد اعيد الى القيادة عقبة بن نافع وبقي ابو المهاجر تبعا له ، وقد استطاع القائدان احراز الانتصارات الرائعة حتى وصلا الى المحيط الاطلسي وعندما وصل عقبة الى المحيط اندفع بفرسه حتى غاصت فيه وقال : (يا رب ، لولا هذا البحر لمضيت مجاهدا في سبيلك ، ولو كنت اعلم بعده ارضا لخضته اليهم) ٠

وعندما كان عقبة عائدا من احدى غزواته صرف جنده الى القيروان وسار في ثلاثمائة من رفاقه فهاجمه كسيلة ومعه عدد كبير من البربر

لحقده عليه ودارت معركة حاسمة وشديدة الا ان كثرة البربر غلبت شجاعة المسلمين ، فخر عقبة وأبو المهاجر واكثر اصحابهما شهداء في ساحة القتال وأسر الباقي وارتد كسيلة عن الاسلام وتبعه عدد من البربر ، وبمقتل عقبة عاد الساحل لسيطرة البيزنطيين وعاد داخل البلاد لكسيلة وانسحبت جيوش المسلمين الى برقة (١)

ثم حاول عبدالعزيز بن مروان والي مصر ان يعيد هذه البلاد الا انه لم يفلح ، وفي عهد الخليفة عبدالملك بن مروان ارسل القائد حسان بن النعمان الغساني على رأس جيش كبير الى شمال افريقيا فاستطاع بمهارته وحنكته ان يحرز الانتصارات على البيزنطيين والبربر ويطردهم نهائيا من شمال افريقيا وعادت البلاد حتى المحيط جزءا من الدولة الاسلامية ، ثم تولى حسان تنظيم الشؤون الادارية والمالية واصبح منذ ذلك الحين ولاية خاصة يعين عليها والٍ من قبل الخليفة .

وعين موسى بن نصير واليا على شمالي افريقيا والمغرب بعد حسان وكان ذلك في اواخر عهد عبدالملك وبداية عهد الوليد بن عبدالملك ، ولقب امير القيروان ، وقاتل موسى البربر وبسط نفوذ الامويين ونشر الاسلام في ارجاء بلاد المغرب حاتى بلغ طنجة فحاصرها حتى فتحها وسلم اهلها وقلد طارقا ولايتها ، ثم اخضع مدينة سبتة (٢)

استطاع موسى بن نصير ان ينشر الاسلام بين البربر وزودهم بالقراء يقرؤونهم القران واصبحت المغرب منذ سنة ٩٠هـ ، خاضعة للدولة الاموية .

---

(١) البلاذري : فتوح البلدان ص ٢٣١ .

(٢) حسن ابراهيم : تاريخ الاسلام السياسي ج ١ ، ص ٣١٨ .

فتح الاندلس :

استقر امر المسلمين في شمال افريقيا والمغرب ، وصحب ذلك نشر الاسلام ، ولكنهم اخذوا ينظرون الى ما وراء البحر المتوسط شمالا حيث اسبانيا وكانت تسمى بالوندال (وندلوسيا) لان سكانها يعرفون بالوندال من القرن الخامس الميلادى ، وكان المسلمون يسمونها الاندلس ، ثم نزل بها القوط الذين اساءوا الى سكان البلاد فكان بأيديهم معظم الاراضي ،كما استأثرت الطبقة الحاكمة ورجال الدين والاشراف بكل المزايا ، وكان التجار مرهقين بالضرائب ، اما الزراع فكانوا من العبيد وعليهم تقع عبء الحياة الثقيلة ٠

ثم حدث انقلاب على الملك اخيلا من قبل قائد الجيش رودريك واستولى على الملك فانقسمت البلاد بينهما كل فريق يؤيد ملكا ،وازدادت قوة الملك اخيلا حينما انضم اليه الامير جوليان حاكم سبتة ٠ اتصل الامير جوليان بموسى بن نصير وطلب مساعدة ضد الملك روذريك لعدائه ، رحب موسى بهذه الدعوة واستشار الخليفة الوليد بن عبد الملك فأذن له على ان يكون حذرا ، فأرسل موسى طريف بن مالك على رأس جيش بلغ تعداده خمسمائة مقاتل سنة ٩١هـ/ ٧١١م ، فغزا بعض الثغور وعاد منتصرا محملا بالاسلاب الغنائم (١) .

ثم ارسل جيشا اخر بقيادة مولاه طارق بن زياد بلغ عدده سبعة الاف معظمهم من البربر سنة ٩٢هـ/ ٧١١م ، فعبر الجيش الخليج ونزل في المكان الذى يعرف الان بجبل طارق ثم سار في البلاد يحرز الانتصارات وانضم اليه خمسة الاف مقاتل ووصل اليه المدد من موسى بن نصير ٠

(١) ابن الاثير : الكامل في التاريخ ج٤ ، ص ٥٤٠ ٠

ثارت مخاوف المسلمين حين تقدم اليهم روذريك بجيشه فخطب طارق بجيشه خطبة المشهورة : (ايها الناس : اين المفر ، البحر من وراءكم والعدو من امامكم وليس لكن الا الصدق والصبر ، واعلموا انكم في هذه الجزيرة اضيع من الايتام في مأدبة اللئام ٠ قد استقبلكم عدوكم بجيشه واسلحته واقواته موفورة ، وانتم لا وزر لكم الا سيوفكم ولا اقوات لكم الا ما تستخلصونه من ايدى عدوكم ، ٠ وان امتدت بكم الايام على افتقادكم ولم تنجزوا لكم امرا ، ذهب ريحكم وتعوضت القلوب في رغبها منكم الجرأة عليكم فأدفعوا عن انفسكم خذلان هذه العاقبة من امركم بمناجزة الطاغية ٠٠ وقد انتخبكم الوليد بن عبدالملك امير المؤمنين من الابطال عربانا ، ورضيكم لملوك هذه الجزيرة اصهارا واختانا ٠ واعلموا اني اول مجيب لما دعوتكم اليه ، واني عند ملتقى الجمعين حامل بنفسي على طاغية القوم لذريق فقاتله ان شاء الله (١)

التقى الجيشان في منتصف رمضان سنة ٩٢هـ/ ٧١١ م ، وكان روذريك على رأس جيش يبلغ مائة الف وذلك على ضفاف نهر جوادى ، وانتصر جيش طارق انتصارا باهرا ، وفر رودريك ولكنه غرق في النهر (٢) ولما سمع موسى بن نصير بالانتصارات التي حققها طارق ، ارسل اليه يأمره بالتوقف ، ثم اعد جيشا من العرب والبربر يقدر عدده بثمانية عشر الف مقاتل وسار به الى الاندلس واستولى على اشبيليا من اعظم المدن واضخمها بناء وكانت حاضرة اسبانيا قبل دخول القوط الى

---

(١) المقرى : نفح الطيب ج٦ ، ص ١٣٢ ٠

(٢) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ج٦ ، ص ٤٦٨ ٠

اسبانيا [1].

اما طارق فأنه سار الى مدينة ماردة واستولى عليها يوم عيد الفطر سنة ٩٤هـ/ ٧١٤م ، ثم التقى بموسى بن نصير ، فعاقبه على عدم اطاعته الاوامر وسجنه ، فاشتكى طارق ما حدث الى الوليد بن عبدالملك فأمر موسى باطلاق سراحه ورده الى عمله •

ثم اخذت الجيوش الاسلامية تجوب اسبانيا فاستولت على اقاليم ارغونة وقشتالة وقطالونيا في الساحل الشرقي ، واستولت على مدن هامة منها سرقطة وبرشلونة وبذلك اصبحت اسبانيا حتى جبال البرانس في أيدى المسلمين في أقل من سنتين وأراد موسى ان يتابع الفتح ويعبر البرانس الى فرنسا الا ان الخليفة أمره بالتوقف ، فعاد موسى الى أسبانيا وأخذ يوجه همه لاخضاع جليقية في الشمال الغربي وأخيرا استولى عليها •

وفي عام ٩٦هـ استدعى الخليفة الوليد ابن نصير الى دمشق بعد ان ولى ابنه عبدالعزيز على الاندلس كما ولى ابنه عبدالله على افريقيا [2]، وكان سبب استدعاء الخليفة له هو خشيته من ازدياد نفوذ موسى بتلك البلاد ويفكر بالاستقلال بها •

جـ- في البحر المتوسط :-

عندما تم الامر لمعاوية بن ابي سفيان واصبح خليفة للمسلمين في عام الجماعة سنة ٤١هـ اخذ يجهز الجيوش واعاد نظام الصوائف والشواتي من اجل الدفاع عن الثغور الاسلامية ، والسير في الفتوحات

---

(١) ابن الاثير : الكامل في التاريخ ج ٤ ، ص ٥٦٤ •

(٢) ابن الاثير : الكامل في التاريخ ج ٤ ، ص ٥٦٦٠

وقد ذكرنا سابقا سير الفتوحات في الشرق والشمال والغرب ، اما في البحر المتوسط فقد اعد معاوية لهذا الامر عدته فنمى اسطوله حتى اصبح الف وسبعمائة سفينة ، ثم غزا جزر شرقي البحر المتوسط ، فاحتل جزيرة رودس سنة ٥٣هـ ، واقريطش (كريت) سنة ٥٤هـ، ثم غزا جزيرة ارواد بالقرب من القسطنطينية بالاضافة الى جزيرة قبرص التي كان فتحها معاوية في عهد الخليفة عثمان وكان قائد الاسطول الاسلامي جنادة بن ابي امية (١) .

وقد ساعد الاسطول الاسلامي في غزو القسطنطينية واشترك في المعارك الطاحنة ولكنه تعرض للنار الاغريقية التي كانت تقذف عليه من اسوار القسطنطينية لكن هذه الحملة فشلت بسبب قوة المدافعين وحصانة الاسوار ، وفي اثناء حصارها للقسطنطينية وصلت السفن الاسلامية الى مرمرة وحققت الانتصارات العظيمة .

الاسطول الاسلامي والمهاجمين من البر ، وفشلت هذه الحملة وعاد يزيد بن معاوية وحملته لان وجوده اصبح ضروريا في دمشق من اجل ولاية العهد .

اشتعلت نار الفتن بعد وفاة معاوية وتولية يزيد الخلافة واستمرت هذه الفتن حتى تولى الخلافة عبدالملك بن مروان فصالح البيزنطيين على ان يؤدى لهم كل يوم جمعة الف دينار ولما قضى عبدالملك على الفتن الداخلية استرد ما استولى عليه البيزنطيون من

(١) ابن الاثير : الكامل في التاريخ ج ٣، ص ٤٥٩ .

الثغور الاسلامية واعاد اخضاع ارمينية ونظم الصوائف والشواتي ، ودعم الحصون واكثر من حراسها ، وفي سنة ٨٤هـ ارسل عبدالملك بن مروان جيشا بقيادة عبدالله بن عبد الملك فغزا البيزنطيين وفتح المصيصة (١).

وفي عهد الوليد بن عبدالملك استولى المسلمون على بعض الحصون واعاد ترميمها واسكنها الجنود الاشداء ومن هذه الحصون مرعش وعمورية كما استولى على مسلمة بن عبدالملك الا ان هذه الحملة لاقت صعوبات كثيرة بسبب البرد القارص ، وقام الخليفة سليمان بن عبدالملك بمحاولة فتح القسطنطينية وكان **قائد الحملة مسلمة بن عبدالملك**

وقطع البيزنطيون طريق الامدادات عن الحملة ، فاصدر الخليفة عمر بن عبدالعزيز الذى جاء بعد سليمان بالانسحاب وعودة الجيوش الاسلامية ونجت القسطنطينية من الاحتلال سنة ٩٩هـ/ ٧١٧م (٢).

اما الميدان الشرقي للدولة الاموية فقد تفرعت فيها الفتوحات الى جبهتين وكان ذلك في عهد الوليد بن عبد الملك فيما وراء النهر وفي السند ٠

---

(١) البلاذرى : فتوح البلدان ص ١٦٩ ٠

(٢) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ج ٢ ، ص ٥٥٣ ٠

الأسطول الاسلامي

ومحاولات فتح القسطنطينيــــــة

تعـود قضيـة البحريـة الاسلاميـة الى خلفيـة تاريخيـة تتصـل جذورهـا بعهـد الخليفـة عمر بن الخطـاب (رضي) ،اذ فرضـت نفسهـا عليه في ظـروف مبكـرة ، بعـد ان تـم فتـح موانـي شواطـئ البحـر المتوسـط بصعوبـة [1].

وقـد رفـض الخليفـة عمـر بن الخطـاب (رضـي) تأسيـس قـوة بحريـة ، على الرغـم من أن واليـه في مصـر عمـرو بن العـاص ، افـاد من السفـن التجاريـة بنقل الغـلال من مصـر والحجـاز ، بعـد ان اعـاد حفـر القنـاة القديمة [2].

وكان معاويـة بن ابي سفيـان والـي الشـام حينئـذ يـرى ان الضـرورة تقضي ايجـاد القـوة البحريـة ، لتكـون الاسـاس لقـوة قـادرة على السيطرة علـى ميـاه البحـر المتوسـط ، ودرء خطـر استمـرار الاعتـداء على السواحـل الشـام من قبـل الاسطـول البيزنطـي ، وقـد حـاول الوالـي ان يبيـن قـرب مواقـع البيزنطييـن ، علـه يقنعـه بالعـدول عن رأيـه فلم يفلـح [3]، ويبـدو ان فشـل العـلاء الحضرمـي والـي البحرين الذى حمل جنـده الى فارس ثم غرقـت سفنـه سنـة ١٧هـ [4]، وغرق حملة علقمـة بن محـرز المدلجي سنـة ٢٠هـ/ ٦٤١م ، قـد زادتـا من اصـرار ابن الخطـاب على اصراره في الرفض ٠

ونتيجـة للحملـة العسكريـة البحرية التي قام بها قسطانز الثاني سنـة ٦١٤م، واحتلالـه الاسكندريـة بقيـادة مانويـل الدى حشـد ٣٠٠ سفينـة ، والتي كـان

---

(١) البلادرى : فتوح البلدان ،ص ١٩٢٠

(٢) الطبرى : تاريخ ،ج٤،ص ١٠٠ ٠

(٣) شحادة الناطور :اشكالية البحرية عند عمربن الخطاب وعثمان بن عفان،ص ١٤٤ ، مجلة المؤرخ العربي عدد ٢٢٠

(٤) البلاذرى : انساب الاشراف ، ج٥، ص ٥٠ ٠

يهدف استرجاع مصر من ايدى المسلمين قد دفعت الخليفة عثمان الى تأسيس اسطول اسلامي كلف به كل من والي الشام معاوية ووالي مصر عبدالله بن ابي السرح اللذان اعداه جيدا بحيث اصبح سيّد البحر المتوسط بعد الانتصار على الاسطول البيزنطي في معركة ذات الصوارى (١) (٣٤هـ/ ٦٥٤-٦٥٥م) .

ولم يكن العرب المسلمون مطمئنين لجانب البيزنطينين ، فقد كانوا يهدفون الى القضاء على الدولة البيزنطية على نحو ما حدث بالنسبة للدولة السامانية الفارسية ، فطالما ان الدولة البيزنطية قائمة فستبقى الحرب مع المسلمين سجالا ، واذا كان المسلمون قد جردّوا البيزنطنيين من مستعمراتهم في بلاد الشام ومصر وشمال افريقيا ، فلا تزال الدولة البيزنطية قائمة وتجمع قواتها بين الحين والاخر لمهاجمة المسلمين في بلاد الشام برا حينا وبحرا اخر ، كذلك كانت ترى الاستراتيجية الاسلامية ببدء القضاء على الدولة البزنطية بفتح عاصمتهم ، ولعل هذا قد غامر الخليفة عثمان وان كان يرى انها تفتح من جهة الاندلس (٢) .

وعندما الت الخلافة الى معاوية بن ابي سفيان ، اعدّ العدّة " الخطة " لاحتلالها ، ولكنه مهد لذلك بحملات استطلاعية برية وبحرية متتابعة بين (٥٤ - ٦٠) بقصد دراسة الطرق المؤدية الى الحاضرة البيزنطية منها حملة : بسر بن أرطأة البرية سنة ٤٣ هـ التي بلغ فيها القسطنطينية كما روى الواقدى ، ثم مالك بن عبدالله سنة ٤٦هـ ، ومالك

---

(١) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ١ ، ص ٨٠ .

(٢) ابن الاثير : الكامل ، ج ٣ ، ص ٩٣ . محمد حميدالله : مجموعة الوثائق السياسية ، ص ٣٩٥ .

ابن هبيرة سنة ٤٧هـ ، وكانت حملاتهم في فصل الشتاء اما عبدالله بن قيس الفزارى بحرا وكدلك مالك بن هبيرة (بحرا) ، وعقبة بن عامر الجهني (بحرا) (سنة ٤٨هـ) فكانت جميعها في الصيف ٠

اما الغزوة المشهورة في التاريخ فهي التي حدثت سنة ٤٩هـ/ ٦٦٨م ، فقد أرسل معاوية حملة لغزو القسطنطينية بقيادة سفيان بن عوف ، ثم اتبعه ابنه يزيد ، وشارك في هذه الغزوة عبدالله بن عباس ، عبدالله بن الزبير ، وأبو أيوب الانصارى (١) .

وصلت هذه الحملة الى القسطنطينية ، وأشتبكوا مع البيزنطيين في قتال عنيف ، وتفانى المسلمون في القتال ، وأستشهد من المسلمين خلق كثير كان منهم ابو ايوب الانصارى ، الذى بنى على قبره مسجد ودفن قرب سورها ، وبلغ معاوية الاخبار فأمر بعودة الجيش ٠

واحتل المسلمون أزمير ، وكليكيا ، وجزيرة رودس ، وكوس ، وخبوس ، وتم الاستيلاء على جزيرة ارواد القريبة من القسطنينية (٢) ٠ التي اتخذها المسلمون قاعدة امامية لاعداد الجيش المحاصر للعاصمة البيونطية ٠

وفي سنة ٥٤هـ بدأ الحصار الفعلي بقيادة جنادة بن ابي امية فأحكم الحصار عليها برا وبحرا طوال العام ، وأشتبكت أثناء ذلك سفن البيزنطيين مع السفن الاسلامية كما استمرت المعارك البرية بين الجيشين ، فلما وصل الشتاء توقف المسلمون بانتظار الربيع ليستأنفوا عملياتهم الحربية ، ولكن القسطنطينية استعصت عليهم ثانية ، وتكرر ذلك سنة ٦٠هـ ، وقد أبدى المسلمون بطولة نادرة على الرغم من استعمال

---

(١) الطبرى : تاريخ ج٦ ز ص١٣٠ ٠ ابن الاثير : ج٣ ، ص ٤٥٨ ٠

البيزنطيين اسلحة كيماوية عرفت بالنار الاغريقية [1] التي كانت تلقى على السفن فتحرقها ، عدا ما تبثها من الهلع والذعر ، ولما أدرك معاوية استحالة الاستمرار وفداحة الخسائر عقد صلحا مع قسطنطين الرابع امبراطور الدولة سنة ٦٧٩هـ ، ومدته ثلاثون عاما [2].

حصار المسلمين الثاني للقسطنطينية (٩٨-٩٩هـ/ ٧١٧-٧١٨م) :-

وظلت الفكرة تراود الخلفاء الامويين ، وورث الخليفة الوليد بن . عبدالملك دولة مستقرة ، وخزانة مملوءة بالاموال ، فبدأ بتأهب للحصار الثاني ، فقوّى الاسطول الاسلامي ، وعمل على التنسيق التام بين القوتين البرية والبحرية ، وايجاد المناخ للعمليات الحربية ضد البيزنطيين ، واتخذ من الثغور في اسيا الصغرى مكانا لتدريب قواته ٠

وفي سنة ٩٤هـ ، بدأ يعد للحملة البحرية بقيادة اخيه مسلمة بن عبدالملك ولما وصلت الاخبار للبيزنطيين فقد تأخذوا يهتمون بتدعيم وسائل الدفاع ، فاعتنوا بتقوية الدفاع البحرى تمهيدا لحصار قد يطول امده ، ولكن الموت عاجل الخليفة ، ولم يجهز الجيش الآ في عهدالخليفة سليمان الذى مهّد لذلك بغزوة بحرية بقيادة عمر بن هبيرة الفزارى سنة

---

(١) النار الاغريقية : تتركب من نفط وكبريت وقار بنسب غير ثابتة، ولا يخمد باستخدام الماء ولكن بالرمل او الخل ، ومخترعه مهندسّ سورى الاصل اسمه كالينيكوس كان في خدمة العرب ثم فرّ الى القسطنطينية ٠

(٢) محمدعبدالله عنان : مواقف حاسمة في تاريخ الاسلام، ص ٣٢ - ٣٦ ٠

الباز العريني : الدولة البيزنطية ، ص ١٤٨ - ١٥٢ ٠

د ٠ احمد ممتاز العبادى، السيدعبدالعزيزسالم : تاريخ البحرية في الاسلام ص ٣٣

٩٧هـ [١]، وفي العام التالي جهز جيشا كبيرا بريا وبحريا وولى قيادته أخاه مسلمة بن عبدالملك، بعد ان زوده بالمؤن والسلاح لحرب طويلة الأمد وأمره أن يقيم حتى يفتحها او يموت [٢].

توغل مسلمة في اسيا الصغرى، واتصل قائد ارمني اسمه ليو واتفق مع مسلمة على خطة تتيح لمسلمة فتح القسنطينية، وما كاد يصل الى القسنطنينية حتى غرر بهم بعد ان تحايل على تجريدهم من كل اقواتهم [٣]، وتمكن من اعلاء العرش باسم ليو الثالث وتوج سنة ٩٨هـ/ ٧١٧م.

وصل مسلمة مشارف القسطنطينية سنة ٩٨هـ بجيش عدده ثمانون الف مقاتل عدا من تجمع تحت الاسوار في البر والبحر، وحاصر القائد مسلمة العاصمة، ونصب عليها المجانيق، ولكن مناعة الاسوار، وقوة الدفاع، وفتك النار الاغريقية ردت المسلمين عن اقتحام المدينة، وحاول مسلمة أساليب شتى، فشدد الضغط عليها واتلف المزارع، ومنع الاقوات من التسرب اليها [٤]، وعلى الرغم من عدد الاسطول الاسلامي التي بلغت ١٨٠٠ سفينة بقيادة سليمان بن معاذ الانطاكي، والتي اغلقت الممرات المؤدية للبحر الاسود، فلم يسطع ان يحقق النصر المنتظر..

واستمر الاسطول والجيش يحاصر المدينة وعلى الرغم مما اصاب

---

(١) الطبري: تاريخ، ج٩ ص ١١٣. ابن الاثير: الكامل ج٥، ص ١.

(٢) العبادي، سالم: تاريخ البحرية، ص ٣٤.

(٣) الطبري: تاريخ، ج٨، ص ١١٨.

(٤) محمد عبدالله عنان: مواقف الحكمة، ص ٣٩.

الاسطول من خسارة بسبب العواصف الهوجاء ، ومما فعلته النار الاغريقية، طوال سنة الى ان توفي الخليفة سليمان بن عبدالملك سنة ٩٩هـ، وتوفي قائد الاسطول سليمان الانطاكي ٠

ولما تولي الخلافة عمر بن عبدالعزيز ، وعلم ماحل بالجيش من الضيق، والجوع ،كتب الى مسلمة بن عبدالملك بالعودة ، ووجه اليه خيلا وطعاما كثيرا وحث الناس على مساعدتهم ومعونتهم (١).

ان فشل المسلمين وللمرة الثانية في فتح القسطنطينية يعتبر حدثا هاما في تاريخ العصور الوسطى ، فقد كتب لهذه الدولة البقاء ، وتحتفظ بهيبتها امام اوروبا فترة طويلة (٢).

وقد احتفظت البحرية الاسلامية بعظمتها طوال العصر الاموى، وفي الصدر الاول من الصدر العباسي ، حتى بدأ الضعف يدب في جسم الدولة الاسلامية في الشرق والغرب ، فأصاب الضعف القوة البحرية (٣).

وفي عهد احمد ابن طولون (٢٠٤ ـ ٢٩٢ هـ) عني بانشاء المراكب البحرية وجعل منطقة جزيرة الروضة احواضا لصناعة السفن ، حتى غدت المراكب الحربية تصنع في مصر في العهد الطولوني والاخشيدى (٣٢٣ ـ ٣٨ هـ) فيما بعد ٠

واهتم الفاطميون بالاسطول كثيرا ، فأنشأ المعز لدين الله الفاطمي

---

(١) الطبرى : تاريخ ج ٨، ص ١١٨ ٠

(٢) العبادى ؛سالم : تاريخ البحرية ،ص ٣٦٠

(٣)المقريزى : الخطط ج ٢، ص ١٩٠، ١٩١ ٠

اسطولا قويا وكذلك من جاء بعده من الخلفاء الفاطميين ، وكان هذا الاسطول يرابط في الموانئ الشامية في عكا وصور وعسقلان والمصرية في الاسكندرية ودمياط وقد بلغ عدد السفن ٦٠٠ سفينة ، ولما زالت الدولة الفاطمية (سنة ٥٦٧ هـ) ، وانتقلت السلطة الى صلاح الدين الايوبي مؤسس الدولة الايوبية ، اهتم بالاسطول لمحاربة الصليبيين ، وصدهم عن الموانئ الاسلامية فخصص ، لهم ديوانا كبيرا عرف باسم : ديوان الاسطول ، وأقر له ميزانية خاصة .

واعتنى الظاهر بيبرس (٦١٨ - ٦٧٦ هـ) باعداد قوة بحرية يستعين بها في صد الذين يغيرون على بلاد المسلمين بحرا وسار على نهجه بالعناية بالاسطول الاشرف خليل بن قلاوون (٦٨٩ - ٦٩٣) ١٢٩٠ - ١٢٩٣م .

ومن هنا يتبين لنا ان الخلفاء والسلاطين اهتموا بالاسطول منذ عهد مبكر ، منذ عهد الخليفة عثمان بن عفان ، وقد انشأ الاسطول بادئ الامر لصد هجمات الاعداء البيزنطيين بالسواحل الشامية والمصرية ، ثم لفتح جزر البحر المتوسط ، وبمعنى اخر أسس ليكون اداة دفاع في البداية ثم اصبح اداة للفتوحات ، فقد فتحت فيما بعد قبرص وأرواد وكريت ... وغيرها وجرت عدة محاولات لفتح القسطنطينية وقد كان الاسطول دائما هو الميزان الحساس للدولة ، فعندما يكون قويا وفاعلا تكون الدولة كذلك .

---

(١) أنور الرفاعي : النظم الاسلامية ، ص ١٠٨ .

الفصل الخامس

التنظيمات والمؤسسات في الدولة الإسلامية

منذ الفترة الراشدية حتى نهاية القرن الرابع الهجرى

- التجنيد في الاسلام
- الدواوين
- الادارة
- نشوء المدن

نظـام التجنيـد

مر التجنيـد في الاسـلام بمراحـل عـدة أبرزهـا :

١ ـ ففي مكـة أنـزل المشركـون بالمسلميـن أشـد الأذى ، وأضطهـدوا المؤمنيـن علهّـم يعيدونهـم الـى الكفـر ، وكذبـوا رسالـة اللـه سبحانـه وتعالـى ، وشكـا المؤمنـون الرسول (ص) ما يلقـون من الأذى ويسألونـه الترخيص بـرد العـدوان ، ولكن النبـي كان يـرى جهـاد الكفـار دعوتهـم الى ديـن اللـه ، وبيـان فسـاد عقائدهـم ومناهجهـم وبيـان مخاطـر ما هـم فيـه من البعـد عن منهـج الخالـق • ولذلـك كان يطلـب من المسلميـن الصبـر والثبـات امـام يلاقـون ما الاذى والفتنـة بقولـه :

" كفوا ايديكم وأقيموا الصلـوة وءاتـوا الزكـوة " (١)

وتعتبـر هـذه المرحلـة مرحلـة التربيـة والاعـداد الفكـرى والاخلاقـي والعقائـدى ، والجهاد بالدعـوة والبيـان وقـد استغرقـت الفـترة المكيـة من نـزول الوحـي الـى الهجـرة (٢) .

٢ ـ مرحلـة التميـز المادى بالهجرة الى المدينـة : وتعتبـر الهجـرة مرحلـة في طريـق الجهـاد ، وهي لم تكـن اعتـزالا اوردة فعـل لمـا لاقاالنبي (ص) وصحابتـه من أذى الكفـار • وانمـا كانـت تنفيـذا لخطـة ربانيـة هدفهـا كسـر شوكـة الكفـار وازالـة العقبـات من وجـه الدعـوة ، ففـذ أصبحـت المدينـة بيئـة صالحـة ومؤهلـة للتكليـف الشرعـي ومواجهـة الكفـار باعـداد المسلميـن وتوثيـق رابطتهـم والقضـاء على الخلافـات وعقد المعاهدات فنزلـت الآيـة التي تبيـح للمسلميـن مقابلـة العدوان والظلم بقوله تعالـى :

---

(١) سورة النساء آية ٧٧ •

(٢) محمد نعيم ياسين • الجهاد ميادينه وأساليبه ، ص ٦٥•

" اذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق الا ان يقولوا ربنا الله " . (١)

والرسول (ص) تدرجت توجيهاته حسب المقتضيات السياسية ، وان كان يرى الحاجة الى جنود يحمون الدعوة ويردون عنها كيد المعتدين ، وتدل وقائع سيرته الطاهرة عدم الزام أى نفر من أصحابه بالتجنيد ولكنه كان يحض المؤمنين على القتال ، ويؤلمه تخلف القادرين الذين وصف القرآن بعضهم :

" لوكان عرضا قريبا وسفراً قاصدا لاتبعوك ولكن بعدت عليهم الشقة " (٢) .

وكان يؤثر (عليه السلام) أن يصحبه في المعركة من أقبل على القتال عن رضى وطوعية ، وأما المتثاقل فكان يقول لاصحابه اذا ذكروه : (دعوه فان يك فيه خير فسيلحقه الله بكم ، وان يك غير ذلك ، فقد أراحكم الله منه) (٣) ، وكثيرا ما كان يقول للمؤمنين قبيل المعركة : (لا يخرجن معنا الا راغب في الجهاد) (٤) .

وبعد فتح مكة حدث تطور جديد في عملية التهيئة والاستنفار للمقاتلين ، فقد ازداد عددهن وقويت شوكة المسلمين ، وبات ممكنا اعداد جماعة تعنى بأمر القتال وتكاد تستقل فيه لخبراتها به وبراعتها فيه فاستنفر عليه السلام تلك الجماعة لتكون على الاستعداد التام للحرب

---

(١) سورة الحج آية ٣٩ .

(٢) يولاة التوبة آية ٤٣ .

(٣) الطبرى : تاريخ ، ج٣ ، ص ١٤٥ .

(٤) ابن سعد : الطبقات ، ج ٢ ، ص ٢٧ .

يوم النفير [1] ، عملا بقوله تعالى : " **فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين** " [2] وهذه الطائفة التي عنتها الآية الكريمة تقوم بأمر الحرب وتقوم بحراسة الدين ، وهذه طبيعة الاسلام حيث تمتزج فيه الشئون الدينية بالدنيوية في وحدة مثالية ، والجدير بالذكر ان الجندية في الاسلام لم تأخذ طابع الالزام بل تمثلت فيها ملامح التطوع في اغلب الأحيان طلبا للأجر والثواب ومحبة لله .

اختيار امراء الجيش :

ويبدو أن اختيار أمراء الجيش في عهد الرسول قد تأثر باسلوب اختيار النقباء في بيعة العقبة الثانية (بيعة الحرب) ، فقد كانت الخطوة الأولى في تهيئة واعداد المقاتلين الذين سيتولون الدفاع عن الكيان الجديد ، فقد أراد الرسول (ص) من هؤلاء دعوته الجديدة وفي الوقت نفسه نواة صالحة لجيشه المرتقب [3] ، هؤلاء النقباء الذين عينهم كانوا مسؤولين عن استدعاء وتهيئة المقاتلين عند الضرورة [4] .

ويبدو أن امارة الجيش قد نالت حظا من التنظيم اكبر من حظ التجنيد ، فقد كان الرسول حريصا على تأمير أمير على السرية أو الجيش ويختاره حذرا وخبيرا بالحروب ، فقد ورد عنه أنه كان (يؤمر الرجل على القوم وفيهم

---

(1) صبحي الصالح : النظم الاسلامية ، ص ٤٨٧ ، الجنابي : تنظيمات الجيش ، ص ٩٠

(2) سورة التوبة : آية ١٢٢

(3) خالد الجنابي : تنظيمات الجيش العربي ، ص ٥٩ ، عبدالرؤوف عون : الفن العربي في صدر الاسلام ، ص ١١٠ .

(4) الطبرى : تاريخ الطبرى ، ج ٣ ، ص ٤٨٨ .

من هو خير منه ، لانه أيقظ عينا وأبصر بالحرب)[1]

وبهذا نفسر اختيار حمزة بن عبدالمطلب وخالد بن الوليد ، وسعد بن أبي وقاص وأمثالهم لقيادة السرايا ،كما نفسر أسرار انتصارات المسلمين .[2]

الاستنفار في عهد الخليفة أبي بكر :

وسار الخليفة أبو بكر على منهج الرسول (ص) في دعوة الناس الى الجهاد عند الحاجة ، وظل يستنفر الراغبين ولا يكره المتخلفين ، ويقوم على مبدأ التطوع ، فلا يلزم من لا يرغب مما دفعه للكتابة الى خالد بن الوليد وعياض بن غنم حين بعثهما الى العراق : (وأذنا لمن شاء بالرجوع ولا تستفتحا بمتكاره)[3].

التجنيد الالزامي وعمر بن الخطاب :

تولى عمر بن الخطاب (رضي) الخلافة ، والمسلمين في مواجهته للفرس وكلا الدولتين تعدان العدة للقضاء على المسلمين فكانت الحاجة ماسة الى ارسال أعداد كبيرة لمواجهة قواتهما ، وقد انسحبت قوات المسلمين بقيادة المثنى الشيباني الى دى قار على حدود الصحراء[4] مما

---

(١) السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ص ١٤٠.

(٢) صبحي الصالح : النظم الاسلامية ، ص ٤٨٧ .

(٣) الطبرى : تاريخ الطبرى ، ج ٣ ، ص ٣٤٦ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ٤٧٨ .

دفـع الخليفـة عمـر الى استنفـار النـاس، فكان أبو عبيدة الثقفي أول من استجاب[1] .

وكان النـاس يفضلـون جبهـة الشـام حتى قـال لهـم عمـر (رضي الله عنه) (بل العراق فان الشام فيه كفاية)[2]، ومع ذلك لم يجد لـه بـدا من استنفـار المرتديـن والاستعانـة بهـم[3] علمـا أن الخليفـة أبا بكـر قـال (لا يعبـزون معكم أحـدا حتى أرى رأيـي)[4].

واذاكان الظـرف جعـل عمـر (رضي) يستعيـن بالمرتديـن فقـد جعلتـه يكتـب الى عمالـه بارسـال كل ما يستطيعـون من مـال وسـلاح على وجـه السرعـة[5]، وأن يطلـب من سعـد وهو في طريقـه الى العراق ان يستنفـر ذوي القـوة والنجـدة والرياسـة[6].

وبذلـك يكـون الخليفـة عمـر بن الخطـاب قـد أعطى كتبـه الى القـواد والعمـال صبغـة الأمـر والالـزام فوضـع القاعـدة الجديـدة في التجنيـد الالزامي الى جانـب التطـوع ، لأنـه لم يكـن يرضيـه تطـوع المتطوعين[7]، وبخاصـة في الحالات الملّحـة ، ممـا جعلـه يتجه بالتجنيـد الطوعـي نحو الحـزم

---

(١) المصدر نفسه ص ٤٤٠

(٢) المصدر نفسه ص ٤٦٢ ٠

(٣) المصدر نفسه ، ص ٤٤٨٠

(٤) المصدر نفسه ، ص ٣٤٧٠

(٥) المصدر نفسه ص ٤٧٩٠

(٦) المصدر نفسه ص ١٢٠

(٧) صبحي الصالح : النظم الاسلامية ، ص ٤٨٧ ٠

الالزامي ، وأخذت كتبه صيغة الأمر الواجبة التنفيذ[1] .

واذا كان عمر (رضي) قد أوجد التجنيد الالزامي الموقوف للجهاد ، فلا بد من توفير الأموال اللازمة والدائمة للانفاق عليهم فكان ديوان الجند .

أصبح ديوان الجند في الأمصار الاسلامية مراكز لتجنيد المقاتلين ، وفيه تسجل أسماؤهم وأنسابهم وأوصافهم ومقدار أعطياتهم وأرزاقهم السنوية .

وهكذا اقترنت نشأة الديوان بنشأة التجنيد النظامي الرسمي وحددت للجنود النظاميين عطاياهم ورواتبهم من بيت مال المسلمين .

واستمر تجنيد المقاتلين في عهد الخليفة عثمان (رضي) السير على الأسس التي وضعها الخليفة عمر ، فيما يتعلق بالبر فهو الزامي بالمجندين ، أما فيما يتعلق بغزوة البحر التي أدن فيها عثمان لمعاوية فقد طلب منه ان يخبّر الناس .

وفي عهد الامام علي كرم الله وجهه ، ضعفت روح الجندية و ووهنت عزائم الناس في القتال لان الناس لم يكونوا مقتنعين بالحروب التي يخوضونها ويريقون في ساحاتها الدماء .

وازداد الأمر سوءا في عهد بني أمية حتى أصبح الخلفاء يدفعون الى الجنود العطايا والأموال قبل اشتراكهم في القتال[2] .

ولم يبق من نظام التجنيد الذى وضعه عمر في عصر بني عباس الا اسم الديوان وتدوين أسماء المرتزقة من الجنود النظاميين وأمست الجندية تجارة

---

(١) وفيق الدقدوقي : الجندية في عهد الدولة الاموية ص ١٢٨ .

(٢) صبحي الصالح : النظم الاسلامية ، ص ٤٩٠ .

وارتزاق ،يطالب أصحابها الدولة بصرف رواتبهم مقدما قبل ثلاث سنين

الدواوين :-

نتيجة للفتوحات الاسلامية وما ترتب عليها من كثرة الاموال وتدفقها على بيت المال في عهد الخليفة عمر بن الخطاب ،كان لا بد من تنظيم هذه الاموال في سجلات تنظيما جيدا ،ليتم توزيعها على المسلمين فقام عمر بأول تنظيم اداري في الاسلام بأن دون الدواوين (١) .

كانت الدواوين في عهد عمر تشمل :-

ديوان الجند :

ويكتب فيه اسماء الجند ، وما يخصه من عطاء ٠

ديوان الخراج والجباية :

وتسجل فيه واردات بيت مال المسلمين من خراج وعشر غنائم وزكاة وجزية ٠٠٠ وغير ذلك ، وما يفرض لكل مسلم من عطاء ٠ وقد جعل الخليفة عطاء المسلمين حسب السبق الى الاسلام ونصرة الرسول صلى الله عليه وسلم ،مما دفعه الى تشكيل لجنة ثلاثية من جبير بن مطعم، ومخرمة بن نوفل ، وعقيل بن أبي طالب لكتابة أنساب العرب مبتدئين بالعباس عم النبي ثم بني هشام (٢) .

وفي عهد بني امية زادت هذه الدواوين لتطور الحياة وما اقتضته سياسة الدولة فظهرت دواوين جديدة هي :-

---

(١) الديوان كلمة فارسية معناها سجل او دفتر ، ثم اصبحت تطلق على المكان الذي يعمل فيه الكتاب الصولي ادب الكتاب ص ١٨٧ ٠

(٢) اليعقوبي تاريخ اليعقوبي :ج ٢ص ١٥٣،الطبرى تاريخ الرسل والملوك ج ٤ص ٢٠٩-٢١٠ ٠

سياسة الدولة فظهرت دواوين جديدة وهي :

ديوان الخاتم :

انشأ هذا الديوان معاوية بن أبي سفيان ، وهو أكبر الدواوين ، وكان فيه كتاب مهمتهم نسخ أوامر الخليفة ثم خزمها وختمها بالشمع بخاتم صاحب الديوان حتى لا يتم معرفة مضمون الرسالة او تحريفها (١).

ديوان الطراز (٢) :

وهذا الديوان مكلف بنسخ خاصة للخلفاء تنقش عليها اسماء الخلفاء بخيوط من القصب الذهبية او الفضية ، يشرف عليها (صاحب الطراز) كما وكانت تكتب أيضا عببارات الفأل والدعاء ، وقد اصبحت عربية منذ عهد عبدالملك ٠ كما أولى الخليفة سليمان بن عبدالملك الاهتمام بالملابس الموشاة ، واتخذها لباسا رسميا للموظفين أيضا (٣).

ديوان الرسائل :

استحدثه معاوية بن ابي سفيان ، ويتولى القائم عليه بالاشراف على الرسائل الواردة من الولايات الاسلامية او الموجهة من الخليفة الى عماله ، وكان المشرف عليه يختاره الخليفة من أكثر الناس أمانة واخلاصا لما تتضمنه الرسائل من اسرار ٠ ثم تطور هذا الديوان وتعددت اختصاصاته وكثر العاملون به ، فتعين كتاب يقومون بالانشاء ، واخرون بالتخليص والتبييض ، واصبحح لهذا الديوان محفوظات يتولى الاشراف عليها

---

(١) ابن طباطبا الفخري : ص ١٠٢ ٠

(٢) كلمة فارسية اصلها ترازيدن وتعني التطريز ٠

(٣) المسعودي : مروج الذهب ج ٣ ، ص ١٨٤ ٠

الخازن [1] .

ديوان البريد :

استحدثه معاوية لنقل الرسائل بسرعة متناهية ،لتسهيل الاتصال السريع بين الخليفة والولاة .

وكانت مضمرات الخيل توضع في أماكن عدة ،فاذا وصل حامل البريد، وقد تعب فرسه ركب غيره مستريحا ، وهكذا حتى يصل الى المكان المخصص [2] ، وقد اهتم عبدالملك بن مروان بديوان البريد اهتماما كبيرا ، فأصدر اوامره بعدم حجب البريد لا ن حجبه ساعة قد يفسد عمله سنة ، لذا ادخل عليه تحسينات جمة كي يضمن سلامة الامن والادارة في الداخل ، ويوقفه على تحركات الاعداء ، في الخارج والاطراف ، فأصبح في عهده ادارة هامة في ادارة شؤون الدولة ، واتخذ البريد في عهد الوليد بن عبدالملك وسيلة لتحقيق رغبات اقتصادية وعمرانية ،فاستخدم خيله في حمل الفسيفساء الى دمشق ومكة [3] واضاف الخليفة عمر بن عبدالعزيز نظام البريد خانات على جوانب الطرق الرئيسية وامكنة يقيم فيها الدواب من خيل وجمال ، زودت بالمياه للشرب .

هكذا اعتنى الخلفاء من بني امية بنظام البريد ، وجبوا له الاموال للانفاق فيها على دوابه وطرقه وعماله كي يكون ادارة صالحة في سبيل

---

(١) عبدالمنعم ماجد : تاريخ الحضارة الاسلامية ص ٣٦ .

(٢) ابن طباطبا : الفخرى ، ص١٠٦ .

(٣) القلقشندى : صبح الاعشى ج ٤ ص٣٦٧ .

تأييد سلطاتهم وكسر شوكة اعدائهم ، وقد بلغت مصاريف البريد في عهد هشام في اقليم العراق وحده اربعة ملايين درهم .

تعريب الدواوين :

بعد أن تم القضاء على الثوارت المتعددة في العراق الحجاز وساد الامن في جميع انحاء الدولة في عهد الملك بن مروان رأى أن مظاهر رفعة تستوجب ان لا تكون لغة الدواوين الا اللغة العربية ، فكانت ء السجلات تكتب باليونانية في بلاد الشام ، وبالفارسية في فارس فأمر بتعريبها ، وقد سار الولاة على سياسة تعريب الدواوين ، فقام الحجاج بن يوسف الثقفي بتعريب دواوين العراق من الفارسية الىّ العربية . وظلت الدواوين تدون في مصر باليونانية الى ان عربت في عهد الوليد بن عبدالملك فحول ديوان خراجها الى العربية والى مصر عبدالله بن عبد الملك بن مروان سنة ٨٧هـ .

كان لتعريب الدواوين اثر كبير من الناحيتين السياسية والادبية ، فقد ساعد ذلك على تقلص نفوذ اهل الذمة بعد أن انتقلت مناصبهم الى أيدى المسلمين من العرب ،كما تم نقل الكثير من المصطلحات الفارسية والرومية ، وقد أدى هذا الى ظهور طبقة من الكتاب الذين قامت عليهم شؤون الاعمال الكتابية ، فارتقوا بالكتابة الى المستوى اللائق ومن اشهرهم عبد الحميد الكاتب الذى أثر في النشر الفني باسلوب اخاذ .

٢ـ النظام المالي :

موارد بيت المال : (الخراج ،الجزية ،الزكاة ،الفي ،الغنيمة، العشور) ٠

الخراج :

ضريبة تفرض على اهالي البلاد المفتوحة عنوة اوصلحا فملكها المسلمون وتركوا مقابل خراج معلوم يؤدونه الى بيت المال ٠ وكان الخراج اما مقدار من المال اومقدار من غلة الحاصلات الزراعية ،كما فعل عمر بن الخطاب في ارض السواد بالعراق ،كانت هذه الضريبة تقل وتكثر حسب التعمير وتحسين وسائل الرى ، وحسب مساحة الارض وجودتها ونوع المحصول ، لذلك اهتم الخلفاء بتعيين العمال المستقليين من الولاة والقواد لجباية الخراج ٠

كان الوالي يدفع من الخراج ارزاق الجند ، وينفق منه ما تحتاجه البلاد ثم يرسل الباقي الى بيت المال٠

الجزية :

وهي ضريبة اشار اليها القرآن الكريم بقوله تعالى **" قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين اوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون "** (١) ٠٠ وقد فرضت الجزية على أهل الذمة من الرجال البالغين الذين يجب عليهم الجهاد لو كانوا مسلمين ، وتسقط عن النساء والاطفال والشيوخ والعبيد ورجال الدين ، وتسقط بالاسلام٠

---

(١) سورة التوبة آية ٢٩ ٠

وفرضت الجزية على الدميين مقابل الزكاة على المسلمين حتى يتكافأ الفريقان لا ن كليهما من رعايا الدولة يتمتعون بحقوق واحدة ، وينفقون بمصالح الدولة العامة بنسبة واحدة ٠

وقد اوجب الله الجزية للمسلمين نظير قيامهم بالدفاع عن الدميين وحمايتهم من الاقاليم الاسلامية التي يعتدون عليها ليكونوا في أمن وحماية تامة وقدرت الجزية على الغني بثمان واربعين درهم، وعلى المتوسط باربعة وعشرين درهم ، وعلى الفقير باثنتي عشر درهما ، وقد حثت السنة على الرفق والتلطف عند اخذ الجزية من الدميين وحماية أرواحهم وأموالهم ٠ فلا يجوز استعمال القوة او التعذيب او الاهانة وقد روى أن عمر بن الخطاب رأى شيخا كبيرا ضرير البصر من أهل الذمة يسأل الناس فأخذه الى بيت المال وأسقط عنه الجزية واعطاه مالا وقال فوالله ما انصفناه ، أن أكلنا شبيبته ثم نخذله عند الهرم (١)

الزكاة أو الصدقة :

وهي ركن من أركان الاسلام ، وهي ضريبة فرضها الله على الاغنياء القادرين بقوله تعالى ٠ **" خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها "** (٢)

وتجب الزكاة في النقد من الذهب والفضة ، وفي السوائم من ابل وغنم وبقر ، ولا زكاة في الخيل والبغال والحمير ٠

---

(١) ابو عبيطة : الاموال ، ص٥٤٨٠

(٢) سورة البقرة ايسة ٦١ ٠

كما تجب الزكاة في اموال التجارة ۰ ويشترط في الزكاة انها يجب ان تكون على المسلم مالك النصاب وان يمر عليه سنة كاملة وتجب الزكاة على الزروع والثمار ، وتختلف قيمتها حسب طرق الزراعة ، فمن كان يسقي بماء المطر يوضع عليه العشر ، وأما من سقى بطرق الرى واستعمال الالات فعليه نصف العشر وتصرف الزكاة على الاشخاص الذين ذكرهم الله تعالى : **" انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل، فريضة من الله والله عليم حكيم"** (١)

الغنيمة :

ما ظفر به المؤمنون من المشركين عن طريق الغلبة والقهر اى بطريق الحرب ، وتقسم الغنيمة الى خمسة أقسام ، قسم منها يوزع حسب ما جاء في الآية الكريمة : **" واعلموا انما غنمتم من شئ فأن لله خمسه وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل"** (٢) .

أما الاربعة أخماس الباقية فأنها ملك للمقاتلين ، كل فارس سهمين والراجل سهم واحد ۰

الفئ :

وهو ما ظفر به المسلمون من غير قتال ويقسم الفئ الى خمسة أقسام ، قسم منها الى خمسة أسهم توزع كما جاء في قوله تعالى : **" ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل**(٣) ۰

(١) سورة التوبة : آية ٦٠۰

(٢) سورة الانفال : آية ٤٨۰

(٣) سورة الحشر : اية ٧۰

أما الاربعة اقسام الباقية فكانت تقسم في صدر الاسلام بين الجند لشراء الاسلحة حتى دون عمر بن الخطاب الدواوين ، فأصبحت نفقة لارزاق الجند ومرتباتهم (١).

العشور : (الضرائب الجمركية) :

أول من سن هذا النوع من الضرائب الخليفة عمر بن الخطاب عندما ابلغه التجار المسلمون أن الدول التي يتعاملون معها تأخذ منهم العشر ، فأمر أن يؤخذ العشر من التجار أهل الذمة القاطنين بلاد الروم نصف العشر ، ومن المسلمين ربع العشر ان بلغ ثمن السلعة مائتين من الدراهم او اكثر .

ويؤخذ العشر مرة واحدة من كل قادم بالتجارة في كل سنة حتى ولو تكرر قدومه خلال السنة (٢).

مصاريف بيت المال :

كانت الاموال تصرف على مصالح الدولة حسب ما يراه الخليفة مناسبا ، وقد صرفت أموال بيت المال في الوجوه التالية :-

١ - دفع ارزاق الموظفين خاصة القضاة والولاة والعمال ، ولا يجوز ان تصرف من اموال الصدقة مطلقا ما عدا والي الصدقة .

٢ - أرزاق الجند : كانت في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم غير محدودة ، وانما كانت من اربعة اخماس الغنيمة ، وما يرد من خراج الارض ، وكانت تقسم بينهم بالسوية ، واستمر الوضع كذلك في عهد ابي بكر (٣).

---

(١) صبحي الصالح : النظم الاسلامية ص ٣٦٨ .

(٢) ابن القيم الجوزية : احكام اهل الذمة ج ١ ، ص ١٦١ .

(٣) الصولي ادب الكتاب ص ١٨٩ - ١٩١ .

أما في عهد الخليفة عمربن الخطاب فقد جعل العطاء حسب السبق الى الاسلام ، فكان للعباس وزوجات الرسول ما عدا عائشة عشرة الاف درهم ، وعائشة (١٢) الف درهم لمكانتها ومكانة ابيها ، ولمن شهد بدرا خمسة الاف ٠٠ وأمراء الجيش (٧ـ٦) الاف ، عدا ما فرض لكل واحد من الحنطة ، ولنساء المهاجرين والانصار من (٢٠٠ـ٦٠٠ درهما) ٠

٣ـ حفر القنوات الترع واصلاح محاري الانهار ، وكان الحفر يتم على نفقة الدولة [1] ، فقد حفر في عهد عمر بن الخطاب الخلجان وربط النيل بالبحر الاحمر في هام الرمادة (٢٧هـ) ، [2] كما أوصل أبو موسى الاشعري في عهد عمر بن الخطاب نهر الابلة الى البصرة [3] ، وسار على نهجهم الامويون ٠

٤ـ النفقة على الاسرى من المشركين والمسجونين من مأكل وملبس ودفنهم عند الموت ٠

٥ـ تجهيز الجيوش الحربية بالالات والمعدات وتوفير الامدادات التموينة لهم ٠

٦ـ العطايا والمنح للادباء والعلماء : وقد برزت بصورة واضحة في العهد الاموى ٠

وقد اقر النظام الذى وضعه عمر بن الخطاب مكافأة سنوية (عطاء)

---

(١) ابويوسف : الخراج ص ١١٠ ، ابن تيمية السياسة الشرعية ص ٥١٠

(٢) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ج ٤ ، ص ١٠٠ المقرزى ا : الخططج ١ ص ٧٦٠

(٣) البلاذرى : فتوح البلدان ص ٤٥٧ ، الحموى معجم البلدان ج ١ ص ٧٧ ٠

لكل مسلم مسجل اسمه في الديوان عن خدماته الربية بالاضافة الى ابنائه ٠ وفي العهد الاموى كان العطاء يقدر بمقدار الولاء للدولة ،مما انقص اعطيات البعض وزيد أخرون ، الا ان معظم الخلفاء هم الذين استبدوا بما في بيت المال يبذلونها لافراد اسرهم وعلى محاسيبهم ، وفي سبيل توطيد الامن لتلافي ما عسى يجره عليهم ذلك النظام من الويلات والمشاكل ٠

٣- الحركة العمرانية :

كان فن العمارة في العهد الراشدى غاية في البساطة ،فلم يكن لهم الا مظاهر الهندسة الاولية التي تمثلها بيوت من اللبن وسطوح مصنوعة من سعف النخل تكسوها طبقة من الطين ، وان كانت منازل في الغالب طبقة واحدة لها فناء وفي وسطها بئر ،والمنازل خالية من التزويق والزخرفة ،بما يتلاءم ومطالب الانسان البسيطة ٠

ونتيجة للفتوحات الاسلامية ، زادت الثروة وامتزجت شعوب جديدة مع العرب أدى هذا الاختلاط الى تأثر العرب بالفن المعماري، فاتخذوا لانفسهم طرازا خاصا يتناسب مع طبيعتهم وذوقهم من حيث جمال التنسيق والاتقان ، وقد استطاع الامويون الاستفادة من الفرس والبيزنطيين والقبط والمحافظة على هذه التقاليد الفنية المعمارية، وزادوا عليها الروح العربية مما أدى الى ظهور فن معماري جديد ربط المتعة الجمالية بالمنفعة بمنتهى الانسجام ٠

واذا كان الفن الاموى قد قام في بادئ الامر على الجمع والتحوير والاضافة ، بما لا يعهده العرب من التصوير والفسيفساء والعناصر الانسانية

والنباتية والحيوانية وتطوير القباب فقد التقى ذلك مع مبادئ الاسلام الداعية الى الاجادة والاتقان والتزين والتأنق مما رسخ هذا الفن بحيث اصبح حجر الاساس لفنون الاسلامية في سائر الاقاليم ، ويتمثل هذا التطور العمراني في بناء المنشآت الدينية وقصور الخلفاء .

المنشآت الدينية :

المساجد :

كان للمسجد اهمية كبيرة في حياة المسلمين ، فهو مركز الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، وهو مقر الحكومة والادارة ، ودار الندوة بالاضافة الى وظيفته الدينية المعروفة ، ولذا فلا عجب اذا اهتم المسلمون ببناء جامع في كل مدينة باعتباره رمزا لسيادة الاسلام ومركزا للاشعاع .

تجديد المساجد :

بني المسجد النبوي في المدينة ، وقد اشترك الرسول صلى الله عليه وسلم ببنائه بيديه الكريمتين وكان في غاية البساطة في مظهر وطريقة بنائه يتناسب مع الدين اليسر السمح ، فكانت الجدران من الطين والحجارة ، والسقف من جذوع النخل المغطاة بالسعف والجريد ، وكانت مساحته حوالي مائة دراع مربع ، وكان له ثلاثة ابواب وخصص جزء من المسجد لسكن بعض المسلمين الفقراء الذين لا سكن لهم ، وكان يضاء بسعف النخل ليلا .

والمسجد عبارة عن ساحة مكشوفة تحيط بها جدران اللبن ، وقد

أمر الرسول صلى الله عليه وسلم فيما بعد أن تمتد السقوف المسطحة من الابنية المجاورة حتى تحيط بكل الساحة المكشوفة لاتقاء الشمس ٠

وكان السقف مكونا من جذوع النخول التي اتخذت كدعائم يرتكز عليها الجريد والطين ، واتخذ النبي صلى الله عليه وسلم من جذع نخلة ثبتت في الارض منبرا يرتقيه وهو يخطب الجماعة ٠ وفي عهد عمر بن الخطاب تم توسيع المسجد فضم اليه بيت العباس الملاصق له والذى تبرع به فأصبح طوله مائة واربعين ذراعا وارتفاعه احد عشر دراعا ، وجعل له ستة أبواب ٠ ثم قام عثمان بن عفان ببنائه بالحجارة ٠٠٠ المنقوشة والفضة وجعل عمدة من الحجارة المنقوشة أيضا وسقفه بالساج ٠

وقد اهتم الامويون بتجديد المساجد التي أسست في العهد الراشدى كجامع النبي صلى الله عليه وسلم في المدينة وجامع البصرة والكوفة والفسطاط وجامع صنعاء ٠ فقد قام الوليد بن عبدالملك سنة ٨٨هـ/٧٠٦م، بتجديد المسجد النبوى في المدينة فأمر واليه على المدينة عمر بن عبدالعزيز بتوسيع المسجد فأدخل حجرات زوجات الرسول في المسجد فأصبحت مساحته مائتي متر مربع ، واستعان الوليد بامبراطور الروم الذى أمده بثمانين عاملا بالاضافة الى الصناع المهرة من اهل الشام ومصر ، فكسيت جدرانه بالفسيفساء البيزنطي والرخام ،وجعل صالح بن كيسان متولي البنيان الاساس بالحجارة بينما الجدران بالحجارة وجعل الاعمدة من حجرة حشيت بالحديد والرصاص ثم مدت فوقها الاسقف الخشبية ، حتى اصبح بحق درة المساجد والنموذج الذى يحتدى

في بنـاء المساجد في القرن الاول الهجرى [1] .

جامع البصـرة :

اختطه عتبة بن غزوان سنة ١٤هـ/ ٦٣٥م ، وكان عبارة عن ساحة مسقوفة بالقصب ، ويقوم السقف على عمد من جذوع نخل وخشب ولم يكن له جدار بل أحاط به خندق .

وقد جدد بناء هذا المسجد في عهد معاوية بن ابي سفيان سنة ٤٤هـ/ ٦٦٥م ، باللبن والطين ثم أعيد بناؤه من الاجر والجص وسقف بخشب الساج ، واتخذت له عمد ، وبنى له منارة من الحجر ، وقد تم ذلك على يدى زياد بن أبيه .

مسجد الكوفة :

وقد اختطه سعد بن أبي وقاص سنة ١٥هـ/ ٦٣٦ م ، وكان في اول امره من القصب ، وقد أحاط به سور قصب ، ثم جدد البناء في سنة ٥١هـ/ ٦٧٠ م ، على يدى زياد بن أبيه ووسعه .

مسجد الفسطاط :

اختطه عمرو بن العاص سنة ٢١هـ/ ٦٤٢م ، وكان طوله خمسين ذراعا وعرضه ثلاثين ،وقد أقيم على عمد من جذوع نخل وسقفه من الخشب ولم يكن له صحن متسع ، وقد زيد في هذا الجامع عدة مرات في العصر

---

(١) عبدالعزيز سالم : تاريخ الدولة العربية ص ٧٠٧ .

الاموى ، واتخذت له اربع مآذن في ولاية مسلمة بن مخلد الانصاري ، سنة ٥٣هـ ، كما اعاد الوالي قرة بن شريك بناءه في سنة ٩٢ هـ ، واستحدث فيه المحراب المجوف لاول مرة ٠

جامع صنعاء الكبير :

بناه وبر بن يحنس الانصاري الصحابي سنة ٦ هـ وفي عهد الوليد بن عبدالملك كتب الى أيوب بن يحيى الثقفي وأمره أن يزيد في المسجد ويبنيه بناء جيدا محكما فبناه وزاد فيه من جهة القبلة ٠

بناء المساجد الجامعة الجديدة :

جامع قبة الصخرة في بيت المقدس : وهو من اكثر المباني الدينية اتقانا في العهد الاموى ، ويعد من أعجب المباني ، فلا يوجد مسجد يضاهيه جمالا وفنا وروعة خاصة في شكله الثماني الوحيد في المساجد المقتبس عن كاتدرائية بصرى (١) .

فقد اخذ من كل بديعة بطرف ، ولا يزال يستثير العلماء والباحثين ببهائه ورونقه وتناسقه ، فهو من اهم الاثار التي تركها الامويون وخلدها التاريخ (٢) .

أنشئ هذا المسجد تكريما وتخليدا للصخرة التي عرج بمحمد صلى الله عليه وسلم عندها الى السماء وحمايتها من الشمس والمطر ٠

وكان عمر بن الخطاب اول من فكر في حماية الصخرة فأمر بانشاء ظلة

---

(١) حتي : تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ج ٢ ، ص ١٧٦ ٠

(٢) غوستاف لوبون : حضارة الاسلام ج ٢ ، ص ١٧٦ ٠

من الخشب فوقها ،وقد ظلت حتى جاء عبدالملك بن مروان ورأى أن يستبدل بها عملا فنيا يتناسب مع مكانة الصخرة في قلوب المسلمين ٠

شرع عبدالملك بن مروان في انشاء مسجد قبة الصخرة سنة ٦٩هـ / ٦٨٨ - ٦٨٩م ٠ واستمر بناؤه ثلاث سنوات ٠

وأشرف على التنفيذ رجاء بن حيوة ويزيد بن سلام بعد ان تم استقدام مهرة الصناع والفنانين من كافة انحاء الدولة [١] ٠

والجدار الخارجي ثماني الشكل ،كل عقد منها محلى بعقود زخرفية، وهي ملبسة بالرخام الى ارتفاع النوافذ وما دون ذلك مغطى بالفسيفساء ذات البريق الزجاجي تقوم فوق ذلك كله القبة التي تعتمد على عقود مدببة مرفوعة على دعائم حجرية وأعمدة رخامية ٠ مزينة بنقوش وزخارف من الداخل ، وأما من الخارج مغطاة من الخشب الملبس بالنحاس ٠

الجامع الاموى بدمشق :

وقد كان هذا المسجد ثورة على البساطة والتقشف [٢] فقد اشتغل فيه اثنا عشر الف ، وانفق عليه الوليد مائة قنطار ذهبا [٣] ، فكان انطلاقة جديدة في العمارة ٠٠ والزخرفة ٠

بدئ في بناء هذا المسجد في عهد الوليد بن عبدالملك ، وتم بناؤه خلال عشر سنوات ٨٧ - ٩٧هـ/ ٧٠٥ - ٧١٥م ، ويشمل على بيت للصلاة وصحن

---

(١) مجير الدين:الانس الجليل في تاريخ القدس والخليل ص ٢٧٢ ٠

(٢) مارسية الفن الاسلامي : ص ٤٥ ، ديماند : الفنون الاسلامية ص ٣٥٠

(٣) الذهبي : دول الاسلام ج ١ ، الدميرى : حياة الحيوان ص ٦٦٠

(فناء) تحيط به أروقة ، ويتألف بيت الصلاة من ثلاثة أروقة موازية لجدار القبلة تحملها أعمدة رخامية ويعترض هذه الاروقة في منتصفها ••• رواق أوسط عمودى على جدار القبلة ينتهي بالحراب يتجاوز ارتفاعه الاورقة العرضية الاخرى الممتدة من الشرق الى الغرب • وتعلو هذه الاورقة اسقف منشورية الشكل في حين يقوم عليها في منتصف رواق القبلة •

وكانت جدران المسجد مكسوة بزخارف من الفسيفساء الملونة والمذهبة التي تمثل مناظر طبيعية دمشقية تتخللها زخارف نباتية وهندسية •

وأقيمت في العصر الاموى مساجد اخرى في انحاء مختلفة من الدولة العربية الاسلامية لا يمكننا ان ندرسها جميعها وانما نكتفي من ذلك ببعضها وأهمها :

المسجد الجامع بالقيروان ٥٠ هـ/ ٦٧٠م، جامع الزيتونة ١١٤هـ/٧٣٢م المسجد الجامع بواسط ٧٤هـ/ ٧٠٣م ، مسجد قصر الحلابات ومسجد قصر الحير الشرقي ••• ١١٠هـ/ ٧٢٨م ، مسجد بصرى ١٠٢هـ/ ٧٢٠م ، المسجد الجامع بحران ١٢٦ ـ ١٣٢هـ/ ٤٤ ـ ٧٥٠م •

ويعود الفضل للامويين في استخداث المئذنة ، وقد كانت سوريا أول بلد قامت فيه بمئذنة وقد اتخذ لها الشكل المربع ، ومنها انتشرت ،كما استحدث الامويون ايضا المحراب في المسجد•

المنشـــآت المدنيــة :

كـــان طــراز البيــوت في الـعـهــد الامــوى بدمشــق يتألــف من فنـــاء مستطيل على جوانبــه اروقــة من الاعمــدة ،وأرضــه من الحجــارة او الرخــام ، وممر مرصــوف بالحجــارة او الحصــاء على أشكــال هندسيــة منتظمــة ، وفى الفنــاء نافــورة يحيــط بهــا حديقــة صغيــرة بهــا بعض الازهــار، وتظللهــا اشجــار البرتقال والليمــون ، وعلى تجانــب الفنــاء يقــول الايــوان وهــو عبــارة عن صالــة رصعت بالرخــام والبــلاط الملــون ، وتستعمــل قاعــة للاستقبــال وقــت الحـــر ، وقبالــة الباب تقــام كــوة مقفلــة ، تزخــرف بالاعمــدة الرخاميــة .

وكانــت قصــور الاغنيــاء مكونــة من طابقيــن احيانــا ، وعلى يميــن ويســار الصالات أبــواب تكسوهــا ستــور كثيفــة تــؤدى الى الصــالات والحجـــرات ، وكانــت ارض الايــوان تكســى بالسجــاد الثميــن ، بينمــا سقوف الــدار مزدانــة بنقــوش مطليــة بالذهــب .

وقــد حــرص الخلفــاء الامويــون على التمتــع بالحيــاة الدنيويــة ، فظهــر عليهــم الــترف والابهــة ، فاهتمــوا بانشــاء القصــور المنمقــة والمزينـــة بالزخارف ، فظهــر عليهــم الــترف والصــور والتماثيــل دون تحــرج ، ولعـــل الاثــار الامويــة الباقيــة لاكبــر دليــل على ذلــك .

ويتجلــى بنــاء قصــور الامويــن في الباديــة لميــل الامويــن المتأصــل فيهــم الى الفــن ، باعتبارهــا ان فيهــا تنبعــث ملكــات الحســن والشعــور والخيــال ومصــدر الالهــام بالنسبــة للشعــراء والحكمــاء ، وفراراً من الامــراض وطلبـــا للتنعــم بالراحــة والهــدوء .

ومن أهم قصور الامويين :-

قصر عمرة :- (١)

يقع هذا القصر في الازرق ، وينسب بناؤه الى الوليد بن عبدالملك ، وهو بناء صغير نسبيا يشتمل على حمام وقاعة للاستقبال على جانبها الجنوبي غرفتان من الجانبين اشبه بالخدعين تطلان على حديقتين ، تزدان أرضية الغرف والقاعة بالفسيفساء التي تمثل زخارف نباتية ، اما الغرف الاخرى فمكسوة بالرخام ٠

وتزدان الجدران بصور اثارت اهتمام الباحثين ، وتشمل هذه الرسوم موضوعات متعددة : كالصيد والرقص والعزف والاستحمام الى جانب الزخارف الهندسية والنباتية ، وفي قاعة الاستقبال صورة الخليفة وهو جالس على العرش ، وستة ملوك كتبت القابهم فوقهم ، عرب منهم اربعة : كسرى وقيصر ولذريق والنجاشي ٠

ومما يلفت النظر في القصر مظهره الخارجي المأخود من النموذج الاوزى والذى يعتمد غلى القباب نصف الاسطوانية ٠

وقد تمازجت الفنون الفارسية مع البيزنطية مع القبطية وقدمت لنا قصرا في غاية الابداع الفني ٠ والمعماري-

قصر المشتى : (٢)

ينسب هذا القصر الى الوليد الثاني (١٤٥ - ١٤٦هـ) ، ويقع بالقرب

---

(١) الفن الاسلامي ص ٢٢، جورج مارسيه :الفن الاسلامي ص ٤٢ ٠ القصور الاموية ص ٤٤-٥٥ ٠
(٢) الفن ص ١٦٣، حسن باشا المدخل للاثار ص ٢٢٤ ٠

من مطار الملكة علياء ، يحيط بالقصر سور خارجي مربع الشكل تدعمه أبراج نصف دائرية ، وأبراج اسطوانية في الزواية الاربعة ، ويبلغ طول كل ضلع ١٤٤م ٠

ويتألف القصر من مجلس امامي مزود بغرف جانبية ، وفناء مركزي كبير يتوسطه حوض ماء ، اما القاعة الرئيسية فتتوزع منها ثلاثة اروقة تمتد عمودية على الجدار الرئيسي ، وللقصر بوابة واحدة يحيط بها برج نصف دائرى والقصر مبني من الاجر المشوى ويظهر ذلك واضحا في بناء الجدران ، ما عدا واجهة القصر ومدخله ٠

اما واجهة القصر ففيها الزخرفة الفنية التي تنحصر في اطار افقي بطول الواجهة الرئيسية وبأرتفاع ستة أمتار ، وقد قسم هذا الاطار الى مثلثات عددها أربعون بواسطة شريط متعرج ذى زوايا حادة ، عشرون منها قاعدتها الى أسفل ، والباقية في وضع عكسي ، يتوسط هذه المثلثات زخارف منحوتة على شكل وردة يزخرفها نقوش قوامها مراوح نخيلية ٠

قصر هشام :

ينسب الى هشام بن عبدالملك ويقع شمال اريحا ، وهو عبارة عن حمام وغرف للاستراحة ، لكن أهمية هذا القصر تعو د لما يحتويه من زخارف فنية ومجسمات بشرية ٠

ففي سقف الحمام ثلاثة رجال وثلاثة نساء ، وهناك واجهات الجدران والنوافذ المغشاة بالجص والمدهونة كالمرمر الابيض عدا عشرات الرؤوس والمجسمات البشرية ٠ ولعل أبرز ما في هذا القصر

الزخرفة الفسيفسائية التي تشكل موضوعا متكاملا، فهناك شجرة التاريخ وتحتها أسد في حالة انقضاض على فريسته الغزال ، وتظهر أحاسيس الحيوان الغالب والمغلوب بزخرفة دقيقة ، وتحت الشجرة سجادة عجيبة من الفسيفساء [1] • مؤلفة من ستة عشر نوعا من الحجارة ، وقد ضم هذا القصر عشر ملايين قطعة من الفسيفساء الخزفية [2] .

قصر الحير الغربي [3] :

يقع هذا القصر في البادية على بعد ستين ميلا الى الجنوب الغربي من تدمر ، وينسب الى الخليفة هشام بن عبدالملك استنادا الى نص مكتوب بالخط الكوفي •

والقصر أشبه بالحصن ، له سور عال مزود بالابراج ، في كل زاوية برج مخططة ثلاثة أرباع الدائرة طول ضلعه سبعون مترا له باب واحد، يتوسط واجهته الشرقية ، ويؤدى الى دهليز واسع يؤدى الى رواق مسقوف يطوف بباحة سماوية من جهاتها الاربعة ، ويتوسطها بركة ماء •

ويلي الاروقة أجنحة سكنية تتألف من ستة بيوت مستقلة يضم كل منها ما بين الثماني غرف والثلاثة عشر غرفة يتوسطها غرف واسعة عمودية على سور القصر تتوزع منها حجرات صغيرة •

---

(١) مارسية الفن الاسلامي ص ٤٤ ، فواز طوقان الحائر ص ٦٦ •

(٢) محمود العابدى : القصور الاموية ص ٨٧ •

(٣) عبدالقادر الريماوى : العمارة العربية الاسلامية ص ٦١ •

وللغرف أبواب واسعة يعلوها مناور ذات شبك من الجص المزخرف تسمح بدخول قليل من النور في حالة أعلاق الابواب ، ويحيط بالمنور الجص قوس على شكل حذوة الفرس ٠

وزخارف القصر متنوعة ،فهناك الزخارف الجصية ذات الرسوم الهندسية والمواضيع النباتية والانسانية والحيوانية ،فنجد أوراق العنب وسعف النخل والورد وازهار الزنبق ،كل ذلك الى جانب الرخام المجزع ٠

وهناك قصور اخرى كقصر الحير الشرقي والصافي) ، وقصر القسطل الواقع في طريق العقبة ، وقصر الازرق وغيرها كلها شاهدة على ما وصل اليه الامويون في الفن المعمارى والهندسي والزخرفي ٠

المدن الاسلامية :

شعر العرب المسلمون بحاجتهم الى الاستقرار بعد ان توقفت الفتوحات في عهد عمر بن الخطاب ولكنهم كانوا لا يحبذون الاختلاط مع سكان الارض المفتوحة ، فكان لا بد من اقامة المعسكرات التي هي بمثابة الحاميات لتوطيد اركان السيادة العربية الاسلامية ، لهذا كان لا بد من اختيار مظهر يتفق مع ظروف الحياة الجديدة ، فكان بناء المدن وتمصير الامصار ٠

أراد عمر بن الخطاب أن تكون المدن الجديدة معسكرات لجنده لا مدن عامرة ، فأمرهم بالبناء من القصب ، حتى اذا دعت الحاجة نزعوه وحزموه، ولكن النيران اتت على هذا القصب فاستأذنوا بالبنا من اللبن ، فوافق عمر على ان لا يغالوا ولا يسرفوا ، ولا يتطاولوافي البنيان ، وقال :

(الزموا السنة تلزمكم الدولة) [1] .

وكان البناء في الطين هي بداية الاستقرار ، فتم بناء البصرة والكوفة والفسطاط في العهد الراشدي لتكون مراكز عملية بالاضافة الى دورها السياسي والاجتماعي ·

البصرة :

اتخذ العرب المسلمون المدائن معسكرا لهم في بدء استقرارهم في العراق بعد انتهاء الفتح ، ولكنهم سرعان ما كرهوا الاقامة بها لكثرة الذباب وانتشار الغبار فأرادوا اختيار موقع مناسب لهم ولابلهم ، فساروا بقيادة عتبة بن غزوان حتى أعجبو بمكان البصرة الحالي ·

استأذنوا الخليفة عمر بن الخطاب فأذن لهم بذلك ، فبنى عتبة المسجد اولا ، وكان من القصب ثم دار الامارة ، ولما وقع الحريق وطلب من الخليفة البناء من اللبن ، فوافق على الا يتطاولوا في البنيان ، فقام اهل البصرة ببناء منازلهم من اللبن ، ويعود الفضل في تمصير البصرة وتعميرها الى واليها ابي موسى الاشعرى ، الذى امره الخليفة بالبناء وتخطيط المدينة ، وتحديد مواضع نزول كل قبيلة ، فبنى المسجد ودار الامارة بلبن وطين ·

وبنى المسجد في وسط المدينة ، وخططت الشوارع فكان اكبر شوارع البصرة المربد وعرضه ستون ذراعا ·

---

(١) الدينورى الاخبار الطوال ص ١٢٣ ·

وفي العهد الاموي أعاد زياد بن أبيه بنيان دار الامارة بالآجر ، وبنى دار الرزق ، وبنى عبيد الله بن زياد القصر الابيض [1] ،كما بنى الحجاج قصرا فخما .

أمتازت البصرة في العهد الاموي بكثرة المباني وفخامتها ، وكثرة مساجدها ، وكان معظم مبانيها من الاجر ،كما اشتهرت ايضا بكثرة منتزهاتها وحماماتها ، والتي كانت لا تبنى الا بأذن من الولاة [2] .

الكوفة (١٧هـ) :

نزل سعد المدائن وأقام بها ،ولكن سرعان ما تركوها لرداءة جوها ، فأخبر عمر بن الخطاب بذلك فأجابه : (أن العرب لا تصلح لهم أرض لا تصلح بها الابل)، فوقع اختيار سعد على مكان يقع على الشاطئ الغربي لنهر الفرات جنوبي الحيرة [3] .

وأول ما بنى سعد المسجد ، وترك حوله فناء فسيحا ليكون سوقا ، وأحاط صحن المسجد بخندق ثم بنى دار الامارة بالاجر من أنقاض قصر في ضواحي الحيرة [4] ، ثم بنى المسلمون منازلهم من القصب بادئ الامر ثم من اللبن بعد الحريق .

قسمت المدينة الى سبعة أقسام قبلية ، وسكنها الى جانب العرب الفرس والسريان ويهود نجران ومسيحيها .

---

(١) القزويني : أثار البلاد ص ٢٠٦ .

(٢) الحموى : معجم البلدان ج ٢ ،ص ٢٠٠ .

(٣) ابو يوسف : الخراج ص ١٧.

(٤) ابن الاثير : الكامل في التاريخ ج ٢ ، ص ٢٢٣ .

اخـذت المدينـة تتسـع ويتطـور بناؤهـا ، فبنـى طلحـة بن عبيدالله دارا لـه من الاجـر والجص والسـاج ، وكذلـك سعد ٠

وفي عهـد ولايـة زيـاد بن أبي سفيـان ، أصبـح اللبـن قليـلا فاستخـدم الناس الاجـر كما وسع الوالـي المسجـد بحيـث أصبح يتسـع لتسعين الفـا ٠

واهتـم خالـد القسرى والـي هشام بن عبد الملـك بالتعميـر والبنـاء فاشـترى خططا كثيـرة وبنـى مبانـي عـدة ، وأسـواق جديـدة ، وجعـل لكـل حرفـة سـوق (١)٠

وهكـذا تطـور البنـاء في هـذه المدينـة وتقدمـت كثيـرا بفضـل الاستقـرار والازدهـار الاقتصادى والثقافي ٠

الفسطـاط (٢١هـ) :

استـأذن عمـرو بن العـاص الخليفـة عمـر بن الخطـاب ببنـاء مدينـة ، فوافـق علـى ان لا يحـول المـاء بيني وبينهـم في شتـاء ولا صيـف ٠

اختـار عمـرو الموقـع قريبـا من حصـن بابليـون وجبـل المقطـم ، وكـان أول ما اختـط المسجـد ، ثـم أنـزل النـاس منازلهـم وجعـل لكـل قبيلـة خطـة تقيـم بهـا ٠

وعلى الرغـم من محاربـة عمرو للترف في البنـاء الا انـه غلـب عليـه ، وتتابـع الزمـن ومضـى البنـاء في الفسـطاط ، حتى اصبحـت هـذه المدينـة تضـم كل مرافـق الحيـاة المستقـرة الهانئـة ، فوجـدت القصـور والحمامات ومـا الى ذلـك ، وظلـت مدينـة الفسطـاط حاضـرة مصـر حتى بنيـت مدينـة العسكـر سنـة ١٣٢ هـ فتحـول مركز الامارة اليهـا ٠

---

(١) اليعقوبـي : البلدان ص ٣١١ ٠

القيروان (٥٠هـ) :

اختط هذه المدينة عقبة بن نافع والي شمال افريقيا من قبل معاوية أثر انتصاره على البربر وقد اختار موقعها لتكون قاعدة عربية اسلامية ومعسكرا ثابتا للمسلمين ، وفي مأمن من غارات الروم البحرية ٠

اختط عقبة دار الامارة وبنى المسجد الجامع ، ثم قام الناس واختطوا مساكنهم ، فعمرت القيروان بمختلف المباني والمنشآت والاسواق ، وقدر لها أن تصبح حاضرة المغرب الاسلامي كله في عصر الخلافة الاموية ٠

وسكن في هذه المدينة بطون مختلفة من العرب كمضر وربيعة وقحطان بالاضافة الى الفرس من اهالي خراسان كما اقام بها البربر والروم ٠

واسط (٨٣هـ/ ٧٠٣م) :

بنى هذه المدينة الحجاج بن يوسف الثقفي ، وسميت بهذا الاسم لانها تتوسط بين الاهواز والبصرة والكوفة ، يمتاز موقعها بأنه صحيح الهواء ، عذب الماء ، كثير الخيرات [١] .

وقد بناها الحجاج لتكون مركزا لجند الشام خوفا من مضايقتهم لاهل العراق ٠ وكان نهر دجلة يقسم المدينة الى قسمين ، فجعل بينهما جسرا من السفن ، وبنى الحجاج في الجانب الغربي القصر والقبة الخضراء والمسجد الجامع وقد كلفت هذه المباني (٤٣ مليون درهم) [٢] .

لم يسمح الحجاج لاحد الاقامة الا باذنه [٣] ، وقد كان الناس

---

(١) القزويني : اثار البلاد ص ٣٣٠٠

(٢) اليعقوبي : البلدان ص ٣٢٢٠

(٣) الاصفهاني : الاغاني ج ٣ ص ٣٧٠٠

يقصدونها للنزهة لجمالها وكثرة بساتينها وفنادقها [1].

٤ ـ الحياة الثقافية : ـ

العلوم الدينية :

هي أول العلوم التي اهتم بها المسلمون لارتباطها بالاسلام والمستمدة من الدين الحنيف واعتبر القائمون بها هم العلماء وقد صنفها الامام الغزالي الى اربعة اقسام [2] :ـ

أ ـ الاصول : وتشمل القرآن والحديث .

ب ـ الفروع : الفقه .

ج ـ المقومات : وهي ما تعين الدارس للوصول الى الاصول كعلم اللغة والنحو.

د ـ المتممات : القراءات والتفسير.

القرآن :

هو محور الدراسات الدينية خاصة والاسلامية المنتوعة عامة، فلما نزل القرآن الكريم بلغة العرب لبلاغته وأسلوبه غير المألوف عندهم، فهو ليس من نثر الكهان المسيح ز ولا نظم الشعراء المقفى الموزون بل فيه البلاغة وأساليب التعبير ما لم يكن له شبيه ، فسحر بأسلوبه وبما حواه من الشرائع والاحكام والاخبار ، فلما آمن العرب بالاسلام ، أصبح همهم تلاوته وتفهم احكامه لانه قاعدة الدين والدنيا به تقاليد السلطة والخلافة.

---

(١) الدينوري : الاخبار الطوال ص ٣٣٩ .

(٢) الغزالي : احياء علوم الدين ج ١، ص ١٣ ـ ١٦ .

والقرآن الكريم لم ينزل مرة واحدة وانما نزل بالتدريج خلال عشرين سنة على مقتضى الاحوال منذ ظهور الاسلام الى قبيل وفاة الرسول عليه السلام سنة ١١هـ. كان المسلمون يدونون الآيات والسور على رقاع من الجلد او العظام او جريد النخل ويحفظونها في صدورهم .

ولما قتل عدد كبير من حفاظ القرآن في حروب الردة ، أشار عمر بن الخطاب على الخليفة أبي بكر بجمع القرآن ، فتم ذلك برئاسة كتبة الوحي زيد بن ثابت وظلت الصحف مجموعة في دار ابي بكر حتى توفي سنة ١٢هـ، فتسلمها عمر بن الخطاب ثم اودعه عند حفصة زوج النبي عليه السلام .

وفي خلافة عثمان اصبحت الدولة عظيمة الاتساع وانعكس هذا على انتشار الاسلام فدخلت شعوب عدة في الاسلام ، واختلفت الامصار في امر القرآن ، فرأى أهل العراق أن قرآنهم اصح من قران أهل الشام مما دعا الخليفة في السنة الثلاثين ان يجمع الناس على مصحف واحد، وقال للنساخ (أن اختلفتم في كلمة فاكتبوها بلسان قريش فانما نزل القرآن بلسانهم) (١) .

ثم جمع عثمان المصاحف من الامصار وسلقها بالماء الحار، وقد رضيت جميع الامصار بما فعله عثمان الا العراق خاصة أهل الكوفة حيث رفض عبدالله تسلم مصحفه فاستدعاه الخليفة ، ولما تكلم ابن مسعود (٢) بكلام غليظ أمر الخليفة به فجر برجله حتى كسر له ضلعان مما اغضب عائشة أم المؤمنين .

---

(١) ابو الفداء : المختصر في اخبار البشر ج ١ ، ص ١٦٧٩ - ١٦٨ .

(٢) اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ج ٢ ، ص ١٤٧ .

وهكذا اوجد عثمان مصحف موحد منظم كما هو عليه الان وسارت عليه الامصار كافة .

علم القراءات :

ويبحث هذا العلم في كيفية قراءات الفاظ القرآن ونطقها نطقا سليما ، وهو رد فعل لاختلاف لهجات العرب من الشعوب المفتوحة الذي أوجد اختلاف النطق .

والقرآن نزل بلغة قريش الا ان اختلاف القبائل في الجزيرة العربية سبب اختلاف الاراء في قراءة القرآن قبل ان يصلهم مصحف عثمان الذي كان خاليا من النقط والشكل ، وقد اصبحت هذه القراءات علما مدونا واعتبرت المعرفة بها فرضا ، وان كانت كل بلد تأخذ القراءة التي تلائم طباع أهلها مثل المذاهب (1) . وقد اختلف في عدد القراءات فبعضهم جعلها سبع قراءات وبعضهم جعلها اكثر ، وكل طريقة منها تمثلها مدرسة معترف بها ترجع قراءتها الى امام واشهر القراء هم : نافع بن عبدالرحمن بن ابي نعيم في المدينة ، عبدالله ابن كثير (ت ١٢٠هـ) في مكة ، وعاصم بن ابي النجود (ت ١٢٧هـ) مولى بني جذيمة بن مالك بن نصر في الكوفة ، وعبدالله بن عامر اليحصبي (ت ١١٨هـ) في دمشق واعتبر نافع أهمهم وذلك لان الامام مالك تتلمذ على يديه ، وكان يقرأ قراءته .

---

(1) عبدالمنعم ماجد : تاريخ الحضارة الاسلامية ص ١٦٩ .

علم التفسير :

وهو شـــرح القـــرآن الكريـــم ، وقـــد نشـــأ هـــذا العلـــم في عهـــد الرسول صلـى الله عليه وسلم ، فكان اول شـارح للقـــرآن ، ثم تولـى الصحابـــة من بعده باعتبارهـــم الواقفيـــن علـى أســـراره ، المهتديـــن بهـدى النبـي صلى الله عليه وسلم [1] .

ونتيجـة للفتوحـات والاختـلاف الـذي تـم في الاقاليـم ، اصبحـت الحاجـــة ماسـة الى شـــرح ، وقـــد لجـــأوا في ذلك الى طريقتيـن : التفسيـــر النقلـــي او التفسيـــر المأثـــور بالنقـــل عن النبي والصحابـة التابعين ، وطريقـــة جديـــدة تعتمد على اللغـــة ومعاني الالفـــاظ ، ومفـــردات الايـــات ومـا ورد فيهـــا من معانـــي ، والتعـــرض للآيـــة وسبـــب نزولهـــا ، وما جعـل التفسيـــر في الواقـــع يحتـاج الـى علـــوم متعـــددة ، وقـــد عـــرف هـــذا تفسيـــر الدراية او الرأى [2] .

ومن اشهـــر المفسريـــن من الصحابـــة عبدالله بن عباس ، وأول مـــــن دوّن التفسيـــر في الصحـــف مجاهـــد (ت ١٠٤هـ) والحســـن البصـــرى (ت ١١٠هـ) ، ومحمـــد بن سيريـــن ، ومكحـــول الشامـــي (ت ١١٣هـ) وغيرهم .

علم الحديـــث :

ويقصـــد بـــه العلـــم الـــذي يبحـــث في كـــل ما صـــدر عن النبي من قـــــول أو فعـــل أو تقريـــر ، وهـــو مـــا اصطلـــح على تسميتـــه بالسنـــة .

وكان بعـض الاحاديـــث قـــد كتبـــت في صحـــف ، وأول من دوّنهـــا من المسلمين عبداللـــه بن عمرو بن العاص [3] ، بـــأن من الرسول صلى الله عليه وسلم، لكـــــن

---

(١) صبحي الصالح : مباحث في علوم القرآن ص ٣٣١ .

(٢) عبدالمنعم ماجد : تاريخ الحضارة الاسلامية ص ١٦٧ .

(٣) ابن سعد : الطبقات الكبرى ج ٤ص ٨ ابن الاثير : اسد الغابة ج ٣، ص ٣٤٩ .

الصحابة وقفوا بين كاره ومبيح .

فالكارهون كانوا ينطلقون من مخافة ان يختلط الحديث بالقرآن وكان على رأسهم عمر بن مسعود وأبو سعيد الخدرى ، بينما المبيحون قاموا بكتابته لانفسهم ، وسمحوا لطلابهم تحت اشرافهم كالامام علي بن ابي طالب وابنه الحسن ، وابن عباس ، وانس بن مالك [1] .

وممن حاول كتابة الحديث في العصر الاموى مروان بن الحكم عندما كان واليا على المدينة ، فكان يدعوا أبا هريرة (٥٧ أو ٥٨هـ) ويلازمه ليستمع اليه ، بينما احد الكتاب يكتب خفية وينسب اليه ثلاثة الاف وخمسمائة حديث صحيح [2] .

وامر الخليفة عمر بن عبدالعزيز محمد بن مسلم الزهرى (ت ١٢٤هـ) بجمع الاحاديث الصحيحة [3] ولاحظ العلماء ان الرواة ليسوا بمستوى واحد ، وان بعضهم غير مؤهل لذلك مما دعاهم الى توفر عدة شروط لقبول الحديث ، وهذا مهد الى ظهور علم النقد والتحرى عن الرواة كرد فعل استجابة للبحث عن أحوال الرواة وأمانتهم وثقتهم وعدالتهم وضبطهم حتى لا يتحينوا الفرص لاصحاب الدوافع والخلافات العصبية والسياسية لدس الاحاديث .

ومن أشهر علماء الاحاديث في العصر الاموى : سفيان الثورى (ت ١٦١هـ) ومحمد ابن المغيرة (ت ١٥٩هـ) ، عبدالملك بن جريج (ت ١٥٠هـ) ، وزائدة بن قدامة الثقفي (١٦١هـ) ، ومكحول الشامي ، وعبدالرحمن الاوزاعي (ت ١٥٩هـ)

---

(١) ابن الصلاح : علوم الحديث ١٦٠ .

(٢) ابن الاثير : الكامل في التاريخ ج٥ ، ص٣١٥ .

(٣) البخارى : التاريخ الصغير ج١ ، ص ٣٢٠ .

وغيرهم ٠

علم الفقه :

وهو العلم الذى يتناول احكام القرآن والسنة بقصد استخراج الاحكام الطارئة للمسلمين في شؤون دينهم (عبادات) ،أو دنياهم (معاملات) ، وهو يرادف التشريع ، ومن يقوم به يسمى فقيها ٠ (١)

ومعرفة الاحكام التي تأتي عن طريق الاجتهاد تشترط في الفقيه المعرفة التامة في علم التفسير باسناد نقله وروايته وعلم القراءات ، واسناد السنة الى صاحبها ، ومعرفة علوم الحديث على وجه تخوله الاستنباط للاحكام ٠

لم يظهر الفقه كعلم في اول الامر لوجود الصحابة والتابعين ، وانما وجد بعد هؤلاء للاجابة على المسائل الشرعية المستمدة التي ليس فيها نص قطعي او اجماع سابق وانما اجتهاد على سبيل الالتزام ، وهو استجابة لدعوة الاسلام الى التفكير والبحث (افلا يتفكرون في خلق السموات والارض) ، وقال عليه السلام (لا خير في قراءة الا بتدبير ، ولا عبادة الا بفقه ، ومجلس فقه خير من عبادة ستين سنة) (٢) .

ومن أشهر الفقهاء في العصر الاموى عبدالرحمن الاوزاعي (ت ١٥٩هـ) وسفيان الثورى (ت ١٦١هـ) ٠

وقد انقسم الفقهاء الى مدرستين الاولى المحافظة التي تقيدت بالنص ، فانصرف علماؤها الى جمع المأثورات من فتاوى الصحابة وحفظها ، وهم

---

(١) الخطيب البغدادى : الفقيه والمتفقه ص ٥٤٠

(٢) الخطيب البغدادى : الفقيه والمتفقه ص ١٤٠

ينطلقون بعملهم هذا من قوله تعالى " **ولا تقف ما ليس لك به علم** " [1] .

فتميزت هذه المدرسة بالاعتداد بالاحاديث والوقوف عن الاثر ،، وكره أصحابها كثرة السؤال ، وانما اعتنوا بتحصيل الاحاديث ونقل الاخبار وبناء الاحكام القائمة على النصوص الثابتة ، وكان أصحابها يقفون عند دلالة اللفظ مع مراعاة ما تعنيه بالدقة مخافة في الخطأ

ومن أشهر فقهاء هذه المدرسة : سعيد بن المسيب ، عروة بن الزبير ، القاسم بن محمد ، أبو بكر عبدالرحمن ، سليمان بن يسار ، عبيد الله بن مسعود [2] .

أما المدرسة الثانية فهي التي قامت على ابداء الرأى دون الوقوف عند ظواهر النص ، ما أدى الى نشاط هذه الحركة ، حتى اتخذت مظهرا جديدا من مظاهر الاجتهاد ، وقد اهتمت هذه المدرسة بالنظر في المسائل والقضايا المتعددة التي فرضتها البيئة الجديدة الناتجة عن اختلاط وامتزاج الشعوب ومن ثم اعطاء الحلول الشرعية عن طريق الاجتهاد .

وقد نشأت هذه المدرسة في العراق ، وقدمت فرصة للباحثين لمعرفة الذكاء العلمي لهؤلاء الفقهاء وقدرتهم على تصور الاحداث [3] . ومهدت الى عصر الثوارت الفكرية عند المسلمين بما أوجدته من نظريات الفرضيات والتصور .

ومن اشهر فقهاء هذه المدرسة في العهد الاموى :-

---

(1) الاسراء : اية ٣٥ .

(2) شحادة الناطور : دور الموالي في المجتمع الاموى ص ١٦٨ ،

(3) شحادة الناطور : دور الموالي في المجتمع الاموى ص ١٦٦ .

الحسن البصرى، ومحمد بن سيرين ، وربيعة الراى ، وأبو حنيفة النعمان ومكحول الشامي ، وسفيان الثورى ،وعبدالرحمن الاوزاعي .

اللغة والادب والعلوم الاخرى :-

الادب :

هو التعبير عن روح الامة نظما ونشرا • والعرب في جاهليتهم غلبت عليهم الامية ، الا ان لغتهم كانت فصحى ، وقد حملوها الى الامصار متمثلة بالقرآن الكريم •

ولما بدأ المسلمون تفسير القران الكريم احتاجوا الى فهم اساليبه وعباراته، فجرهم هذا الى البحث في أساليب العرب واقوالهم وأشعارهم وأمثالهم ، وهذا لا يكون سالما من العجمة او الفساد الا اذا اخذ عن عرب البادية ، مما دعا فريق من المسلمين الى التنقل في البادية بجمع مفردات اللغة والشعر القديم من أفواه البدو والخلص •

الشعر :

وهو الكلام الموزن على روى واحد ، وقد اعتبره العرب من اعظم معارفهم ، وقد وصلنا من الجاهلية له قواعده المشدودة والموزونة •

وكان عرب الجاهلية يعقدون لشعرائهم الاسواق في مواعيد محددة ، فيلتقي فيها فحول الشعراء لالقاء قصائدهم ،ومن ينبغ منهم تعلق قصيدته بأركان الكعبة [1].

---

(١) ابن خلدون المقدمة ص ٤٨١ •

والشعر الجاهلي يبدأ في الغالب باللوعة والبكاء على دار الاحبة ، يصور فيها الشاعر مشاعره ، النبيلة وجمال المرأة المعنوى ، وما تتحلى به من شيم وخصال كريمة ، ثم ينتقل الى جمال الطبيعة وحركات حيواناتها ، وأبارها ، ومراعيها ، وأخيرا يعرض موضوع قصيدته التي تدور حول تمجيد حياة القبائل ومعاركها وكرائم اخلاقها (١) .

وقد تأثر الشعراء المسلمون في صدر الاسلام بهذا الشعر في قصائدهم سواء في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم ، أو رثاء قتلى المسلمين اوهجاء المشركين الا ان الشعراء المسلمين ادخلوا افكار ومضامين جديدة هي من صلب الاسلام عن البعث والنشور والعقاب والجنة والنار ٠

والاسلام لم يشجع الشعر ، فقد ورد في القرآن الكريم قوله تعالى :

" والشعراء يتبعهم الغاوون، آلم ترانهم في كل واد يهيمون، وانهم يقولون ما لا يفعلون " (٢) .

وتقدم الشعرا في العهد الامنوى ، وأخذ اتجاهات عدة ، فهناك الشعر السياسي الذى شجعه خلفاء بني أمية للدعاية والاعلام فبرز شعراء مناؤون للحكم الاموى ٠ كشعراء الخوارج والشيعة والزبيريين وبرز شعراء الهجاء والنقائض والمناظرات والشعر الشعوبي ، وظهر لاول مرة قصائد الغزل هذا بالاضافة الى شعر المدح والفخر ومن اشهر شعراء هذا العصر ٠ جرير والفرزدق والاخطل وعمر بن ربيعة وكثير عزة وجميل بثينة وابن قيس الرقيات وليلى الاخيلية ٠

---

(١) عبدالمنعم ماجد ٠ تاريخ الحضارة الاسلامية ص ١٩٢ ٠

(٢) سورة الشعراء : اية ١٢٤ ـ ١٢٦ ٠

النثـــر :

هو الكلام غير الموزون ، وقد كان لدى العرب بمكة الخطابة ، وتقدم النثر بفضل القرآن الكريم لاقتباس الخطباء من ايات ومحاولة الوصول الى ما فيه من خصائص فنية وبتطور الادارة في العهد الاموى وتعدد حاجاتها مما دعا الى انشاء الدواوين ولعل ديوان الرسائل الذى كان يقوم بكتابة الرسائل باسم الخليفة ، قد اوجد ما يسمى بالنثر الفني وخاصة بعد التعريب ، ومن ابرز الكتاب عبدالحميد الكاتب الذى نهض بهذا النوع من الكتابة الادبية النثرية الى ما كان ينتظرها من الرقي والابداع ٠

النحـــو :

لم يعرف علم النحو في العهد الراشدى لعدم حاجة العرب اليه لاعتمادهم على ملكة الفطرة التي تجنبهم الخطأ ، فلما حصل الاختلاط والامتزاج مع الشعوب المفتوحة تسرب اللحن حتى الى العرب أنفسهم فاوجد علم يقوم اللسان ويبعده عن مواطن الزلل ويستمد اصوله واسسه من طبيعة اللغة القرآنية ، تقوم على تذوق اسلوب التعبير وفهمه في هذه اللغة وتحدثنا المصادر التاريخية ان ابا الاسود الدؤلي سمع أحد الموالي في احد الاحرف مما اخل المعنى فتوجه الى الامام علي بن ابي طالب واعلمه بذلك فارشده الى البدء (١) وبذلك يكون ابو الاسود هو رائد علم النحو عند العرب ثم اكمل عمله بعد ذلك بوضع علامات الاعراب (الضمة والكسرة والفتحة) وهكذا انشأ علم النحو استجابة لرد فعل اخطاء الشعوب غير العربية الذين كانوا في امس الحاجة اليه فظهرت نواة هذه المدرسة (٢) ٠

---

(١) ابن النديم : الفهرس ص ٦٠ ٠

(٢) شحادة الناطور : دور الموالي في المجيمع الاموى ص ٢٠٢ ، ٢٠٣ ٠

وتبع ابو الاسود الدؤلي في البصرة والكوفة فيما بعد الخليل بن احمد ، وسيبويه ، والاخفش وغيرهم ٠

التاريخ :

كان التاريخ في العصر الجاهلي اخبارا مشوهة ذات طابع اسطوري لا تمت لهذا العلم بشيءٍ ، وانما اعتمد الاخباريون على تراث شفهي منقول بالسماع والرواية تمثلت في الايام ٠ والايام روايات يغلب عليها الطابع الاسطوري ومحشوة بالقصص الخرافية التي تثير قدرا من الشك لبعدها عن الصحة وعراقتها في الوهم واختلاط الاحداث وتضخيم للابطال ، هذا اذا استثنينا حضر اليمن والحيرة ، فقد نقش اليمنيون بختمهم المسند بعض اخبار ملوكهم كما وجدت بعض الكتابات في اديرة الحيرة وكنائسها وبعد قيام الدولة العربية الاسلامية اصبحت الحاجة ماسة لمعرفة أسباب النزول وتفسير القرأن الكريم وسيرة الرسول كقائد للغزوات التي خاضها هذا بالاضافة الى ما اقتضت ادارة الدولة وما يتبعها من النظم الادارية والمالية ، كل ذلك رفع عدد من المهتمين الى جمع اخبار السيرة وتدوينها ولكن التاريخ لم يخرج من كونة نوعا من انواع الحديث فكانت اقدم الكتب التاريخية تجمع بين الحديث والتاريخ ككتب المغازي والسير ، وكان من الطبيعي ان تتألف هذه الحركة في المدينة باعتبارها دار الرسول صلى الله عليه وسلم ودار السنة وكان ابرز هؤلاء ٠ ابان ابن عثمان (ت ١٠٥ هـ) ، عروة بن الزبير (ت ٩٢ هـ) وعبدالله بن ابي الانصاري (ت ١٣٥)، وابن شهاب الزهري (ت ١٢٤ هـ) وفي الوقت الذي كان يجمع فيه الحديث كان هناك عبيد بن شريه ووهب بن منبّه اللذان البسا القصص ثوبا من التاريخ وان كان يغلب على القصص الشعبية والتأثر

بالاسرائيليات ومن المؤرخين الذين ساهموا في الكتابة التاريخية في العصر الاموى موسى بن عقبة (ت ١٤١هـ) وقد اضاف للمغازى تاريخ الخلفاء الراشدين والامويين وخطا التاريخ على يد اعوانه ابن الحكم (ت ١٤٧هـ)، خطوة واحدة مالية مدينون بتسمية علم التاريخ بهذا الاسلام فهو اول صاحب كتاب (كتاب التاريخ)[١] تناول فيه احداث التاريخ الاسلامي في القرن الاول الهجرى وفيه ظهرت بوادر علمية التفسير التاريخي وبداية التعليل والتحليل والسياسي • ويعتبر ابن اسحق (ت ١٥١هـ) من ابرز واهم مؤرخي هذا العهد فقد كتب التاريخ بطريقة جديدة فقد جمع بين اسلوبي المحدثين والاخباريين واستفاد من مختلف نواحي الاهتمام من مغازي تاريخ الانباء، وتوسع فى نقل الاخبار مع الدقة في السند ، واستفاد من المصادر ، وهو بكل ذلك قد مهد لنا الطريقة لخطوة جديدة في كتابة التاريخ[٢] .

وهكذا بدأ التاريخ على اسس علمية كعلم مرادف لعلم الحديث ثم استمر في نفس الاسلوب واخذ يتجه الى الاحداث العامة واخبار الخلفاء .

الدراسات العلمية :-

الطب :

كان الطب في شبه الجزيرة قبل الاسلام مبدئيا ،كان العلاج يختلط بالشعودات وفي العهد النبوى عرف الطب الوقائي[٢] ،فقد قال الرسول عليه

---

(١) شحادة الناطور : دور الموالي ص ١٨١ - ١٨٢.

(٢) ابن القيم الجوزية : الطب النبوى ص ٢٨.

السلام (اذا وقع الطاقون في بلد وانتم فيها فلا تخرجوا منها ، واذا كان ببلد فلا تدخلوها) • وتناول الطب النبوى الامراض والعلاجات ومنافع النبات ومضارها واستعمال العسل في بعض الامراض والفصد هو سحب الدم الفاسد •

واهتم معاوية بن ابي سفيان بالطب في بلاطه بالطبيب النصراني ابي الحكم ابن اثال الذى ترجم لمعاوية كثيرا من كتب الطب والذى كان خبيرا بالادوية المفردة والمركبة وهناك (بتاذوق طبيب الحجاج) ، (ماسرجويه اليهودى) الذى ترجم كتبا طبية من السريانية الى العربية وابن ابجر السكندرى طبيب عمر بن عبدالعزيز [1] كما طالب خالد بن يزيد بن معاوية من جماعة من اليونانيين ان يترجموا كتب (جالينوس) في الطب •

الكيمياء :ـ

يعتبر خالد بن يزيد أول من اهتم بالكيمياء ، فقد تعلم الكيمياء على يد راهب اسكندرى يسمى مريانوس [2] كما دعا جماعة من اليونانيين من مدرسة الاسكندرية منهم ان ينقلوا له كتب الكيمياء من اليونانية والقبطية ، فترجموا ما تناول الكيمياء العلمية [3] • وعمل خالد بنفسه في الكيمياء وحاول الحصول على الذهب عن طريق هذا العلم •

لم يكن خالد كيميائيا فحسب بل كان شاعرا واديبا ومؤلفا كان له الاثر في ثقافة عصره •

---

(١) عبدالعزيز سالم : تاريخ الدولة العربية ص ٧٠٢ •

(٢) عبدالعزيز سالم : تاريخ الدولة العربية ص ٧٠١ •

(٣) الخربوطلي : الحضارة العربية الاسلامية ص ٢٦٥ •

١ - نظم الحكم :

الخلافة :

الاسلام نظام متكامل ، دين ودولة ، عقيدة ونظام ، نسق بين سلطان الدولة وتوصيات الدين لاقامة دولة راشدة تضبط امور المجتمع

فالاسلام - على عكس الاديان الاخرى - جمع بين الدين والقانون ، فجعل التشريع اساس القانون ٠ والرسول عليه السلام اثناء حياته كان يقوم بنقل تعاليم الله الى المسلمين في الصلاة وقيادة الجيوش ، وارشاد المسلمين في دينهم ودنياهم (فقد اصبحت من واجبات من يخلفه ، وهي التي جرى عليها الخلاف ، وقامت من اجلها المنازعات وسبب قيام الحركات والفرق الاسلامية فيما بعد) (١) .

وضع الاسلام مبادئ جديدة تخالف ما كان معروفا عند العرب ، فقد وضع اسسا عريضة للحكم وقال تعالى (وامرهم شورى بينهم) (٢)

وقال عليه السلام (لا فضل لعربي على عجمي الا بالتقوى) وقال ايضا (كلكم لادم وآدم من تراب) وبذلك يكون الاسلام قد أقر مبدأ الشورى القائم على انتخاب الخليفة بارادة المسلمين وجعل مقياس التفاضل التقوى (٣)

ويعرف ابن خلدون الخلافة بقوله (هي حمل الكافة علىّ مقتضى النظر الشرعي في مصالحهم الاخروية والدنيوية (٤) اى حراسة الدين وسياسة

---

(١) شحادة الناطور : ثورة عبدالله بن الزبير ص ٣٣٠

(٢) سورة الشورى : اية ص ١٣٨٠

(٣) شحادة الناطور : ثورة عبدالله الزبير ص ٢٤٠

(٤) ابن خلدون : المقدمة ص ١٩١٠

الدنيا) والاسلام يصر على ضرورة وجود خليفة يرعى مصالح الامة وينفذ احكام الدين لقوله عليه السلام : -من مات ، وليس في عنقه بيعة ، مات ميتة جاهلية -ويرى ابن تيمسة ان ولاية امر الناس من اعظم واجبات الدين ، بل لا قيام للدين الا بها (١).

وقد استقرئ الفقهاء والمؤرخين سيرة الخلفاء الراشدين فوضعوا شروطا يجب توافرها في الخليفة ، فرأى ابن خلدون انها اربعة (العلم والعدالة والكفاية وسلامة الحواس والاعضاء مما يؤثر في الرأي والعمل اختلف في شروط خاص هو النسب القرشي) (٢).

اما الامام ابو حامد الغزالي فقد حصرها في عشر صفات : ست منها خلقية لا تكتسب ، فالخليفة هي البلوغ ، والعقل ، والحرية ، الذكورية ، والنسب القرشي وسلامة حاسة السمع والبصر ، والمكتسبة هي النجدة والكفاية والعلم والورع (٣).

قال الشهرستاني : (انها تثبت باجماع الامة دون النص والتعيين) (٤).

اختيار الخليفة :-

انتقل الرسول الكريم دون ان يوصي لاحد فقامت اثر وفاته ازمة سياسية حول من سيخلفه : هل الخليفة الجديد من المهاجرين اومن الانصار ؟

---

(١) ابن تيمية : السياسة الشرعية ص ١٧.

(٢) ابن خلدون : المقدمة ص ١٩٣ .

(٣) الغزالي : فضائح الباطنية ص ١٨٠ - ١٨١.

(٤) الشهرستاني : الملل والنحل ج ١ ،ص١٦٨.

هل من الاوس ام من الخزرج ؟ وأخيرا استقر رأى المسلمين على ابي بكر عندما بايعه ابوعبيدة وعمر بن الخطاب في سقيفة بني ساعدة ٠ ثم سار على نهجه بقية الحاضرين من المسلمين ٠

وعندما احس ابو بكر بدنو أجله اوصى ان يكون من بعده عمر بن الخطاب بناء على استشارات عدد من الصحابة وعلى رأسهم سعيد بن زيد، وعثمان بن عفان ، واسيد بن حضير الانصارى فارس الاوس وعبدالرحمن بن عوف الذى قال (هو أفضل من رأيك فيه من رجل ، ولكن فيه غلظة)[1] ٠ ولعل اقدام ابي بكر لاختيار عمر كان نتيجة للظروف التي كان يمر بها المسلمون ، فقد كانت جيوش المسلمين خارج الجزيرة ٠

وشكل عمر بن الخطاب اثر طعنة لجنة مؤلفة من ستة من الصحابة وجعل السابع ابنه عبدالله على ان لا يكون له حق الخلافة بل الترجيح فقط فيما اذا تساوت الكفتان ، وأخيرا وبعد مشاورات ومناقشات وقع الاختيار على عثمان بن عفان رضي الله عنه ٠

ولما قتل عثمان بن عفان هرع الناس الى علي بن ابي طالب ، الا انه لم يقبل وقال لهم : (انا لكم وزير خير لكم من أميرا)[2] ولما الحوا عليه قال : " انما ذلك لاهل بدر " ولما اقبل طلحة والزبير وسعد وبايعوه قبل الخلافة ٠

وهكذا كانت الخلافة ليس فيها تعاقب وراثي كما لم يتأثر هؤلاء

---

(١) اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ١٢٧ ٠

(٢) نهج البلاغة : تحقيق محمد عبده ج ١ ،ص ١٨١ ـ ١٨٢ ٠

الخلفاء بأي اعتبار من نسب اوقرابة [1] ٠

ولكن الخلافة استحالت في عهد بني امية وبني العباس الى حكم استبدادى وراثي ٠ انعدم فيه الشورى وصار الانتخاب صوريا بحتا وكانت بيعة الخليفة تعلن في المسجد خاصة في الحرمين الشريفين، [2] لما لهما في قلوب المسلمين من المكانة السامية فالحجاز مهد الاسلام وقبلة المسلمين جميعا ومن هناك ترسل الكتب الى جميع الاقطار باعلان بيعة، كما ينقش اسمه على العملة (السكة) ويطبرز على الملابس الرسمية التي توزعها الدولة على موظفيها [3] وفي العصر العباسي نجد ان الخلافة تأثرت بنظام الفرس الذين يقولون بنظرية الحق الملكي المقدس، بمعنى ان من يتولى الملك وليس من البيت المالك يعتبر مغتصبا لحق غيره ، وقد عمل العباسيون على الاحتفاظ بالخلافة في دولة دينية اساس السيادة بها لزعماء وحرصوا على الاحتفاظ بهذا المظهر لان حقهم يقوم على اساس انهم وارثو بيت الرسول صلى الله عليه وصلم وعلى هذا أرادوا ان ينظر اليهم على انهم امراء دينيون ، وان يدرك الناس ان حكومتهم دينية ٠

وكان الخليفة العباسي في العصر الاول رأس الدولة ، ومصدر السلطة، كما كان مرجعا لكل شؤون الدولة ، واحيط شخصه بالقداسة والرهبة، فلا عجب والامر كذلك اذا عاش الخلفاء عيشة الاكاسرة تحوطهم الابهة والعظمة مما دفع الخلفاء الى عدم امامة الناس في الصلاة، ولا

---

(١) ارنولد : الخلافة ص ٩٠

(٢) المسعودى : مروج الذهب ج ١ ص ٣٦٢٠

(٣) عبدالمنعم ماجد : تاريخ الحضارة الاسلامية ص ٢٨٠

يخطبون الجمعة كذلك كما كان يفعل الخلفاء الراشدون [1] . وتلقب الخليفة العباسي بلقب امام وهذا يحمل في مضمونه تأكيد المعنى الديني في الخلافة من جهة وانهم ائمة الناس ، بعد ان كان هذا اللقب يطلق على من يؤم الناس في الصلاة ، في حين اطلقه الشيعة على افراد البيت العلوى .

الوزارة :

وهي اسم يدل على المعاونة [2] . أي استعانة الامير او السلطان بمن يعاونه في الحكم ، وكان الرسول يشاور اصحابه خاصة ابا بكر ، وكذلك من شؤون الدولة والرعية وفي العهد الاموى احتاج الخلفاء الى الدهاة وذوى الرأى يستشيرونهم ويستعينون بهم ، فكان هؤلاء يقومون بعمل الوزراء دون أن يطلق عليهم هذا اللقب ، في حين نجد زياد بن ابيه يلقب بلقب الوزير في عهد معاوية وكذلك روح بن زنباع في عهد عبد الملك [3] واتخذ العباسيون نظم الحكم الفارسي [4] ومنها وزير ، فكان الوزير ساعد الخليفة الايمن ، يقضي في جميع شؤون الدولة باسمه ، وكان له الحق في تنصيب العمال وصرفهم والاشراف على كافة شؤون الدولة الى جانب نصح الخليفة ومساعدته كان مركز الوزير محفوفا بالمخاطر ،

---

(١) حسن ابراهيم : تاريخ الاسلام ج ٢ ص ٢٥٣ - ٢٥٦ .

(٢) ابن خلدون : المقدمة ص ٢٣٦ .

(٣) حسن ابراهيم : النظم الاسلامية ص ١٣٠ .

(٤) حتى تاريخ العرب مطول ج ١ ص ٣٩٥ .

فان ابا سلمة الخلال لقى حتفه على يد السفاح ،وكذلك يحيى البرمكي واسرته على يد الرشيد ٠٠ وغيرهم ٠ اذا عين احد وزيرا ،فلا بد ان يرتدى لباسا خاصا ويركب حصان ويسير الى دار الوزارة حيث كبار الموظفين ثم يقرأ تعيينه ٠.

والدارس لتاريخ العصر الاول لا بد ان يقف على ضعف الوزراء ، وخطورة مركزهم لسعاية الاعداء بهم عند الخليفة ،على الرغم من الهيبة والنبل التي كان يظهر بها الوزراء في اعين الناس ٠

والوزارة نوعان :ـ تنفيذ وتفويض (١) ٠

١ـ وزارة التنفيذ :

ويقوم صاحبها بتنفيذ اوامر الخليفية وعدم التصرف في شؤون الدولة من تلقاء نفسه ، والوزير في هذه الحالة واسطة بين الخليفة والرعية ٠

٢ـ وزارة التفويض :

ويعهد الخليفة للوزير بالنظر في أمور الدولة والتصرف في شؤونها دون الرجوع الى الخليفة ٠٠ ما عدا ولاية العهد وعزل من يوليهم، وهي الجمع بين السيف والقلم (٢) وبالتالي الاستيلاء على التدبير والعقد والحل والعزل ، ولما ضعف الخلفاء في العصر العباسي الثاني وما بعده ، قوى نفوذ الوزراء وقويت المناقسة بينهم ، واصبحت الوزارة تشترى بالمال (٣) ٠

---

(١) ابن خلدون : المقدمة ص ٢٩٣٠

(٢) الماوردى : قوانين الوزارة وسياسة الملك ص ١٣٨٠

(٣) ابن طباطبا الفخرى ص ٢٤٠ ، ٢٤١٠

الحجابة :

كانت ابواب الخلفاء الراشدون مفتوحة ، وباستطاعة كل مسلم ان يخاطبهم بلا حجاب ، ودون استئذان ، فكانوا لا يغلقون بابا في وجه رعاياهم ، لان شغلهم كان الجلوس لحل مصالح الرعايا ، وكان عمر بن الخطاب يوصي عماله بقوله : " لا تغلقوا ابوابكم دون ذوى الحاجات "(١) .

لعل اغتيال علي بن ابي طالب ، ومحاولة اغتيال معاوية وعمرو بن العاص كانت سببا في اتخاذ موظف لترتيب ادخال الناس بحسب اهمية مراكزهم على الخليفة خوفا على الخليفة وحرصا على حياته ، وتلافيا لازدحامهم وشغل الخليفة عن النظر في مهام الدولة ، واطلق على هذا الموظف اسم الحاجب(٢) وان كان هذا معروفا عند الفرس من قبل(٣) .

اذا كان الحاجب ينظم الدخول ويمنعه او يؤجله الا ان هناك امور لا يجوز منع اصحابها فقد سمح عبدالملك للمؤذن للصلاة وصاحب البريد الطعام بالدخول في اى وقت(٤) وقد اتخذ الولاة الاقاليم حجابا على سنة خلفائهم لينظموا دخول الخاصة والعامة عليهم ووضعوا لهم خطة دخولهم .

سأل زياد بن ابيه حاجبه ، كيف تأذن للناس ؟ قال : على البيوتات ، ثم على السن ثم على الآدب .

---

(١) الماوردى : التحفة الملوكية في الاداب السياسية ص ١١٣-١١٤ .

(٢) ابن خلدون : المقدمة ص ٢٣٨ .

(٣) الجاحظ : في اخلاق الملوك ص ٢١ .

(٤) ابن خلدون : المقدمة ص ٣٨ .

قال : فمن تؤخر ؟ قال من لم يعبأ الله بهم (1) .

واقتدى الخلفاء العباسيون ببني امية في اتخاذ الحاجب ، ولكنهم زادوا في مهمته فكان لا يسمح بمقابلة الخليفة الا في الامور الهامة ، وعلت مرتبة الحاجب ، فاصبح يستشار في كثير من أمور الدولة ، ومن ابرز الحجاب في العصر العباسي الفضل بن الربيع الذى اوقع بالبرامكة عند الرشيد، ثم كان له الاثر فيما وقع بين الامين والمأمون فيما بعد ، كما كان يتدخل في أمور الدولة ويستبد بالنفوذ دون الوزير ويلزم اصحاب الدواوين بالرجوع اليه في امور الدولة .

الكتابة :

عرفت الكتابة الكتب منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، فكان صلى الله عليه وسلم يختار احد كتبة القرآن الكريم لكتابة الرسائل الى الملوك والامراء ، ومن اشتهر في هذا العهد عمر بن الخطاب ، وعثمان بن عفان ، وعلي بن ابي طالب ، وزيد بن ثابت وسعد بن العاص ...... وغيرهم .

واتخذ ابو بكر عثمان كاتبا له ، كما اعتمد عمر بن الخطاب على زيد بن ثابت وعبدالله ابن الارقم ، بينما كان مروان بن الحكم كاتبا لعثمان بن عفان .

ولعل وصية علي بن ابي طالب لكاتبه تلقى ضوء على اسلوب الكتابة المحبب في ذلك العهد حيث قال " يا عبدالله الق دواتك (اصلح) ، واطل شباه (سنن قلمه) ، قلمك ، وفرج بين السطور ، وقرمط (دقة

---

(1) ابن عبدربه : العقد الفريد ج 1 ص 50 .

الكتابة) بين الحروف " [1].

كان في كل ديوان في عهد الدولة الاموية عدد من الكتاب ، ولعل من اهمها كاتب الرسالة الذى كان يتولى مكاتبة الامراء والملوك عن الخليفة ان لم يقم بها بنفسه وقد زادت قيمة الكتاب بعد التعريب عندما اصبحت اللغة العربية هي لغة الدواوين في جميع انحاء الدولة الاموية في عهد عبدالملك وابنه الوليد [2] ومن اشهر الكتاب في هذا العهد زياد بن ابيه الذى بدأ كاتبا لابي موسى الاشعرى وسالم كاتب هشام بن عبدالملك وعبدالحميد الكاتب كاتب مروان بن محمد ٠

وزخر العصر العباسي لطائفة من الكتب لم يسمح الدهر بمثلهم ، اهتموا بتدوين الرسائل باسلوب بليغ وعرفوا برصانة الاسلوب [3].

وقد اشتهر في العصر العباسي الاول يحيى بن خالد والفضل بن ربيع في عهد الرشيد ،كما اذاع صيت الفضل والحسن ابنا سهل، واحمد بن يوسف ، في عهد المأمون ومحمد بن عبدالملك الزيات والحسن بن وهب في عهد المعتصم والواثق ٠

٢ ـ الحالة الاقتصادية :

الزراعة :

اقبل العرب المسلمون بعد الفتح الاسلامي على الزراعة بعد

---

(١) الجهيشارى : الوزراء والكتاب ص ٢٢٠

(٢) الصولي : ادب الكتاب ص ١٩٢ ـ ١٩٣٠

(٣) ابن خلدون : المقدمة ص ٣٠٣ ـ ٣٠٤ انظر وصية طاهر بن الحسين لابيه ٠

ان كانوا يأنفون منها ، واصبحت احدى الحرف الاقتصادية الاساسية ،وذلك لاهتمام الدولة بالارض والفلاحين لقد بقيت الارض في ايدى اهلها مقابل خراج يدفعونه للدولة (١) بعد ان خلعهم الاسلام من الاضطهاد والاحتكار، وشجعت الدولة الفلاحين باحياء الارض الموات (٢) فسمحت بامتلاك الارض التي تحيى ، وأما اذا عطل احد الارض ثلاث سنوات تعطى لغيره (٣) كما ساوت الدولة بين الارض المزروعة بالارض البور عند دفع الخراج مما ساعد على استغلال جميع الارض (٣).

كانت الدولة لا تأخذ الخراج الا مرة واحدة حتى لو زرعها صاحبها عدة مرات (٤) ، كما اعفت الدولة الخضروات والبقول والاعلاف من الضرائب والزكاة (٥) بالاضافة الى اقامة المشاريع النموذجية في الضياع الواسعة كما فعل مسلمة بن عبدالملك في العراق (٦) ما جعل المسلمون يسعون في سبيل الافضل وتطوير الزراعة وتقدمها ، فلم يتركوا سبيلا الا سلكوه ، فاستخرجوا مياه الانهار والابار ، ونقلوا النباتات من مكان الى اخر ، واقاموا الجسور القناطر ، وكانت الدولة العباسية تشرف على ادارتها اشرافا مباشرا ، وتعمل على تحسين وتنمية المورد للزراعة : فكثرت المزروعات من حبوب وخضروات وفواكه واثمار (كالشعير والارز ، والبرتقال والزيتون ، والنخيل ..).

---

(١) ابن ادم القرشي : الخراج ص ٢٧.

(٢) ابو يوسف: الخراج ص ٥٩.

(٤) البلادرى : فتوح البلدان ص ٥٠٤.

(٥) الماوردى : الاحكام السلطانية ص ١٥.

(٦) ابو يوسف: الخراج ص ٥٦.

(٧) القرشي : الخراج ص ١٤٦.

وعرفت زراعة النباتات الصناعية كالقطن وقصب السكر والكتان للاستفادة منها صناعيا وكانت الضرائب اما نقدا اوعينا، فقد رأى ابوجعفر انه يأخذ الخراج مقاسمة من الحبوب ، بينما النقد على النخيل والفواكهة واشباهها ٠

وسار المهدى على نهج ابي جعفر فجعل الضرائب تجبي من نوع المحصول ما عدا الكروم والبساتين والنخيل ، فكانت تقوم بالمال ٠

الصناعة (١) :ـ

تطورت الصناعة في المجتمع الاسلامي تبعا لحاجة المجتمع ، وبفضل خيرات الشعوب في البلاد المفتوحة الذى كان لديهم اسرار الصناعات المختلفة ، خاصة الاقاليم ، وتوفر الامن في الدولة ، واقبال عرب الجزيرة على شراء الالبسة والمنسوجات قد ساعد الصناعة على التقدم والازدهار ٠

ومن اشهر الصناعات :ـ

صناعة المنسوجات الحريرية في الاقاليم الشرقية فاشتهرت تستر بالديباج والحرير والخز والبسط والفرش ٠

والسوس بصناعة الثياب من الخز الجيد ، هذا بجانب اصطخر وطبرستان وتبريز وسمرقند والكوفة التي اشتهرت بكوفيتها ومناديلها وعمائمها ودمشق التي عرفت باسم الدمقس اما المنسوجات القطنية فقد اشتهرت بها مدن مصر كدمياط ، وتنيس ، وعرفت مصر بصناعة الملابس الرقيقة التي تصنع منها الملابس الداخلية ، كما عرفت بهذه الصناعة كسكر ، وواسط٠

---

(١) شحادة الناطور : دور الموالي في المجتمع الاموى ص ١١٥ ـ ١٢٣٠

وعرفت في مصر كذلك نسج الكتان في تنيس والاسكندرية ولبس المجتمع الملابس الصوفية الجيدة التي كانت تتصنع في خوارزم واذربيجان، واسيوط ٠

وتقدمت صناعة الاصباغ فعرفت الالوان واستعملت في تلوين الخيوط الرسم والمواضيع الحيواينة والاشكال الهندسية المتنوعة ،مما جعل المنسوجات تروج ويزداد الاقبال عليها ٠

والى جانب هذه الصناعات فقد وجدت صناعة العطور والدهون التي تستخرج من النبات ومن اشهر المدن التي اشتهرت في هذه الصناعة، صور وسابور ، وشيراز والكوفة والبصرة ٠

وكذلك عرفت معادن الزينة كالذهب والفضة كحلى للنساء واستعملت الاواني والكؤوس المطعمة بالجواهر ٠

تزينت النساء باللؤلؤ والحجارة الكريمة والياقوت المتعدد الانواع والالوان والى جانب هذه الصناعات عرفت صناعة الزجاج والخزف في بلاد الشام وبغداد ، وحيث صنعت اكواب واباريق متعددة وعليها رسومات متنوعة ٠

وكذلك صناعة قصب السكر في الاهواز ٠ والورق في مصر وسمرقند ٠ هذا بالاضافة الى صناعة المراكب البحرية التي كانت تصنع في البصرة والاسكندرية ودمياط ٠

التجارة :ـ

نشطت التجارة في العهد الاسلامي لازدهار الزراعة والصناعة ٠ وتوفر الامن واقامتها القناطر والجسور والطرق بين المدن ، وانشاء المنائر

في الثغور وبناء الاساطيل لحماية السواحل من لصوص البحر ،مما اتاح لقوافل المسلمين وسفنهم ان تجوب البلاد من ادناها الى اقصاها • وقد اثر خلفاء بني العباس في العصر الاول بما ادخلوه من مظاهر الترف الى بلاطهم في تشجيع التجارة • واصبحت بغداد بعد تأسيسها سوقا تجاريا كبيرا ،كما كانت دمشق مركزا للقوافل القادمة من آسيا الصغرى وبلاد العرب ومصر ،واصبح الفرات ودجلة شريانين هامين في داخل الدولة [1].

بنى المنصور بغداد لتكون مدينة نموذجية ، فاوجد فيها الاسواق وجعل لكل حرفة سوقا خاصا ، وجعل سوق القاصين في اخر الاسواق [2] •كما لعبت البصرة دورا مهما في التجارة البحرية لانها باب بغداد الكبير ومدخل دجلتها المتدفق بضروب المتاع وانوار السلع المجلوبة من اطراف الدنيا ، ولذلك كثر فيها العمران والمصانع وصارت واسطة العرب والعجم • ومما ساعد في ازدهار الحركة التجارية مواسم الحج الى الحجاز وبيت المقدس حيث كان يجتمع تجار الامم كافة ، فازدهرت مدن الحجاز مكة والمدينة ، وكذلك القدس ودمشق ، وتقدمت معها المدن البحرية كصور وعكا وطرابلس وبيروت • وقد وجدت المصارف في الدولة تبعا لتقدم التجارة وكانت تسمى حينئذ حوانيت الصيارفة ، وكانت مراكزها تكون قريبة من المساجد [3] •

---

(١) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسي ج ٢ ص ١٣٤•

(٢) الخطيب البغدادى : تاريخ بغداد ج ١ ص ٨٠•

(٣) البلاذرى : فتوح البلدان ص ٣٤٢•

وعرفت في العهد الاسلامي حوانيت مالية (اشبه بالشيكات) كان يمتلكها افراد يستهلكون عمليات الصرافة والتسلق في نطاق عملهم.

فكان التاجر الغريب يضع امواله لدى التاجر المقيم، وهذا يعطيه صكا يشترى بموجبه، وانتشر استعمال هذه الصكوك، فتم الاستفادة منها كسند دين او سند تحليل [1] كما عرفت الحوالات المالية. وعرفت في هذا العهد شراكة المضاربة، وذلك عندما تتوفر لدى بعض الافراد الخبرة التجارية فشترك مع من تتوفر لديه بعض الافراد الخبرة التجارية فيشترك مع من تتوفر لديه الاموال.

ونظم التجار معاملتهم بالبيع والشراء بالعقود المكتوبة عند شراء بضاعة وعدم توفير المال، وذلك تمشيا مع قوله تعالى: "**يا ايها الذين امنوا اوفوا بالعقود**". [2] ومن النظريات التي اشتهرت نظرية العرض والطلب اى ان سعر البضاعة يحدد كثرته او قلته في السوق، كما اخذت الدولة بمبدأ الحرية التجارية، [3] فلم تتدخل في نقل السلع او احتكار بضاعة ولم تمنع مبادلتها [4].

اما المكوس (الجمارك) فقد استمرت كما سنها عمر بن الخطاب لاول مرة، فكانت تؤخذ من المسلم ٥ر٢٪، ومن اهل الذمة ٥٪، ومن غيرهم ١٠٪ [5].

---

(١) شحادة الناطور: دور الموالي ص ١٤٤ - ١٤٧.

(٢) سورة المائدة.

(٣) ابو يوسف: الخراج ص ١٣٢.

(٤) شحادة الناطور: دور الموالي ص ١٣٨.

(٥) القرشي: الخراج ج ٢، ص ٦٥.

ولكن الذى يلفت النظر حرص الدولة على الامن والسلام في المدن والاسواق بتوفر الشرطة لحراسة المخازن (١) ، ومارس المحتسب واجبه كاملا فكان يراقب اصحاب الصنائع في الاسواق من حيث الامان والجودة والرداءة في الانتاج والصناعة مخافة التهريب ، وكان يعاقب المخالفين للمهنة والتدليس فيبطل البيوع الفاسدة (٢) .

صفوة القول ان خلفاء بني العباس حرصوا على التجارة وازدهارها ، فأوجدوا الطرق البرية والبحرية ، وأوجدوا للتجارة مقومات النجاح مما كان له أبعد الاثر في رقيها وتقدمها ٠

٣- الحياة الاجتماعية :-

وتبحث في المجتمع بطبقات وحاجات من طعام ولباس وما ساد فيه من أعياد ومجالس ٠

طبقات المجتمع :-

يعتبر ظهور الاسلام وانتشاره بين الامم المختلفة اعظم انقلاب اجتماعي لانه يساوى بين معتنقيه في الحقوق والواجبات ٠

قرب الامويون العرب وجعلوهم عماد دولتهم مما اثار حسد وضغينة الشعوب الاخرى فجعلهم يؤيدون كل خارج على الدولة ، ويمكن تقسيم طبقات المجتمع في العصر العباسي كما يلي :-

---

(١) حسن ابراهيم : النظم الاسلامية ج ٢ ، ص ٢٣٣٠

(٢) الماوردى : الاحكام السلطانية ص ٢٥٤٠

١ ـ العرب : وهم يتألفون من المضريين واليمنيين ٠

٢ ـ الموالي : وهم المسلمون من غير العرب كالفرس والترك وقد لعب الموالي دورا بارزا في الدولة العباسية ،فبينما اسندت لهم المناصب المدنية والعسكرية في العصر الاول العباسي ، قام الترك في العصر العباسي الثاني بالدور البارز فسيطروا على الخلفاء ، وتقلدوا مقاليد الامور في الولايات مما اوجد التنافس بين العرب والفرس والترك ٠

٣ـ اهل الذمة : وهم النصارى واليهود ،كانوا يتمتعون بالتسامح التام مما جعلهم يبنون الاديرة والكنائس ، ويقيمون شعائرهم في انحاء الدولة كافة بأمن وسلام ، ولم تتدخل الدولة في شؤونهم بل كان بعض الخلفاء يحضرون مواكبهم واعيادهم (١) .

٤ـ الرقيق : وقد وجدوا بكثرة في هذا العصر ووجدت اسواقه في سمرقند حيث كانوا يجلبونه من وراء النهر ، ثم يربونه تربية خاصة ، ولم ينظر الخلفاء الى الرقيق نظرة ، ازدراء واحتقار، بل كانوا يجلبونهم، وتزوج كثير منهم من الاماء ، وكانوا يفضلون على العربيات (٢) .

المرأة :ـ

تمتعت المرأة في العصر العباسي بقسط وافر من الحرية، فأسهمت في الميادين الاجتماعية والسياسية والمسائل العامة ، ومن ابرز الشخصيات النسائية في بغداد في العصر العباسي الاول : الخيزران زوج المهدى ،والتي كانت تتدخل كثيرا في شؤون الدولة في عهد ولدها الهادى (٣) .

---

(١) حسن ابراهيم : تاريخ الاسلام السياسي ج ٢ ،ص ٣٩٧٠

(٢) متز الحضارة الاسلامية ج ١ ، ص ٢٦٨٠

(٣) علي ابراهيم حسن : التاريخ الاسلامي العام ص ٥٨٥٠

وتمتعت زبيدة زوج الرشيد وأم الامين بنفوذ كبير في الدولة ، واليها يعود الفضل بتوصيل المياه من منابع الجبال الى الحرم .

كما ساهمت المرأة في الحروب فاشتركت ام عيسى ولبابة بنتا علي بن عبدالله تبعثها لزوجها الى جانب الشعر المرسل الى المأمون اثر مقتل ابنها [1] .

وقد روى لنا المسعودى عن مكانة المرأة الثقافية فكانت المرأة تروى الشعر وتنظمه ، وتناظر الرجال في عهد الرشيد والمأمون ، وقد روى عن زبيدة رسائل وأشعار كانت تبعثها لزوجها الى جانب الشعر المرسل الى المأمون اثر مقتل ابنها ، [2] ، وعرفت العباسة اخت الرشيد بثقافة عالية وذكاء نادر ، وكذلك بوران (ابنة الوزير الحسن بن سهل) وزوجة المأمون بغزارة علمها وأدبها .

وقد اولع الناس والخلفاء بالاماء من غير العرب لجمالهن ، وأسلوب معاشرتهن ولباقتهن وطاعتهن والتربية الخاصة التي تربين عليها ، فكانت ام المأمون فارسية وام المعتصم تركية وام المتوكل خوارزمية وام المتقدر رومية ..

وتعددت طوائف الاماء اللائي كن يجلبن الى اسواق النخاسة في بغداد فوجدت الحبشيات والروميات والجرجيات ، والشركسيات ، والعربية من مولدات المدينة ، والطائف ، وكثير منهن اشتهرت بالجمال وعذوبة اللفظ وجمال الصوت ، وكانت بعض الاماء يأتين لاسواق النخاسة ليتمتعن بحياة الترف والنعيم . [3]

---

(١) امير علي : مختصر تاريخ العرب ص ١٩٠ .
(٢) المسعودى : مروج الذهب ج ٢ ، ص ٣١٦ .
(٣) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام ج ٢ ، ص ٤٣٣ .

الملابس :-

بدأ اثر الموالي في المجتمع العربي من العهد الاموى [1] ، ولكن التطور بدأ واضحا في العصر العباسي بظهور الازياء الفارسية ، فكان اللباس الفارسي لباس البلاد الرسمي ، وقد قرر ابو جعفر المنصور بادخال القلانس [2] ، كما استعملت الملابس المحلاة بالذهب ، وادخل المستعين ٢٤٨ - ٢٥٢ هـ لبس الاكمام الواسعة التي يصل عرضها نحو ثلاثة اشبار والتي يستفاد منها كجيوب .

وعرفت الملابس المتعددة ، فكان لكل فئة ملابس خاصة ، فالكتاب يلبسون الدرعن [3] والعلماء الطيالسة اما القواد فيرتدون الاقبية الفارسية القصيرة [4] .

واستحسن الناس لباس الثياب البيضاء ، وكرهوا الالوان المتعددة للرجال ، بينما اجازوه للنساء . واتخذت سيدات الطبقة المترفة غطاء الرأس ، متصدرا بالجواهر والاحجار الكريمة ، بينما تزينت نساء الطبقة الوسطى حلية مسطحة من الذهب ويلففن حولها عصابة .

وضعت النساء في ارجلهن الخلاخل والاساور في معاصمهن وازنادهن ولبس الرجال الاغنياء والنساء الجوارب المصنوعة من الحرير او الصوف او الجلد يسمونها (موراج) وارتدى العامة ازار وقميص ودراعة

---

(١) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام ج ١ ، ص ٤٣٣ .

(٢) شحادة الناطور : دور الموالي ص ٧٥ - ٨١ .

(٣) قبعات طويلة مخروطة الشكل .

(٤) ثياب مشقوقة من الصدر .

وستـرة طويلـة وحـزم بينمـا ارتـدى الاغنيـاء سراويـل فضفاضة وقميـص ودراعـة وسـترة وقفطـان وقبـاه وقلنسـوة [1] . وكـان للسيـدة زبيـدة اثـر كبيـر في تطـور الـزى وادخـال تغيـرات على ملابـس السيـدات في عصرهـا ، فاليهـا يعـزى اتخـاذ المناطـق والنعال المرصعـة بالجوهـر ، وكانـت فوق ذلـك تسـرف في ملابسهـا وزينتهـا [2] .

الطعـام والشـراب :-

اهتـم العـرب بطهي الطعـام واسرافهـم في الانفـاق عليـه ، فتفننـوا في طبخـه بعـد ان تعـددت انواعـه واساليـب طبخـه حتى انهـم وضعـوا كتبـا للطبـخ [3] .

وقـد كانـت نتيجـة التفاعـل مع الامـم الجديـدة ان عرفـوا لحم الطيـور المتعـددة من فراريـج ودجـاج وعصافيـر وأكلـوا المحاشي المتعـددة والحلويـات كالفالوذج والجـلاب والزلابيـة ، واخـذوا يتفننـون في تقديم الوان جديـدة مـن الطعـام ، باستعانتهـم بالطباخيـن المهرة .

وأكـل مترفـوا هـذا العهـد على الكراسـي والطـاولات المصنوعـة مـن الابنـوس بعـد تحليلهـا بالاغطيـة واستعملـوا الصحاف المفضضة والمذهبـة والملاعـق والسكاكيـن والشـوك والتزمـوا بالمبادئ السامية كالاكـل باليميـن والتسميـة عنـد البـداء ، والبعـد عن النهـم ، واجادة المضـغ وتنظيـف الاسنـان

---

(١) متز : الحضارة الاسلامية ص ١٧٩ .

(٢) علي ابراهيم حسن : التاريخ الاسلامي العام ص ٥٨٨ .

(٣) ابن النديم : الفهرست ص ٢٠٥ .

بالسواك [1] .

وشربت افراد المجتمع الماء البارد بالكؤوس الزجاجية ، وكانت اغلب الموائد تخلو من الشراب المحرم ، وان كانوا قد عرفوا شرب القهوة والشاى بالنعناع [2] .

وكان المجتمع يأكل ثلاث وجبات رئيسية هي : الفطور صباحا ، والغداء ظهرا ، والعشاء بعد صلاة العصر ، كما عرفوا وجبات اخرى فهناك الوليمة كطعام العرس ، والاعذار لطعام الختان ، والخرس لطعام الولادة ، والوكيرة كطعام الاحتفاء ببناء الدار والمأدبة للدعوات [3] .

الاعياد والمواسم :-

احتفل المسلمون في جميع الامصار بعيدي الفطر والاضحى ، ومولد النبي صلى الله عليه وسلم ، وليلة اول رجب ، وليلة النصف من شعبان ، ومنذ عهد معاوية أخذوا يحتفلون بأعياد الفرس [4] ، والمهرجان [5] ، وقد اهتم العباسيون باعياد الفرس حتى اصبحت من الأعياد الرسمية في الدولة .

وكانت الاحتفالات تقام في هذه الاعيان ، فكان الخلفاء يسيرون في مقدمة المواكب ، بينما يسير باقي الناس على اختلاف طبقاتهم حاملين الاعلام ثم امراء البيت العباس على الخيول المطهمة ، ثم الخليفة لابسا القباء الاسود وعليه قلنسوة طويلة مزينة بجوهرة ، ومتخفيا بمنطقة

---

(1) شحادة الناطور : دور الموالي ص ٨٨ - ٩٥ .

(2) عبدالمنعم ماجد : تاريخ الحضارة الاسلامية ص ١٣٥ .

(3) ابن عبد ربه العقد الفريد ج ٦ ص ٢٩٢ .

(4) اول ايام الشتاء .

(5) سيد امير علي : مختصر تاريخ العرب ص ٣٨٦ - ٣٨٧ .

مرصعة بالجواهر ، ومتشما بعباءة سوداء وبين يديه كبار رجال الدولة ٠

واحتفل اهل الذمة بأعيادهم في جو من الحرية والتسامح ، وكان المسلمون يشاركونهم في اعيادهم خاصة النصارى ٠

مجالس الغناء :-

انعكست الثروة على الدولة العباسية ، فظهرت على الخلفاء مظاهر الترف والبذخ ، فكانت قصور الخلفاء والامراء مضرب المثل في بهائها وجمالها وفخامتها ، كما ازدانت بالمناضد الثمينة والمزهريات الخزفية والتربيعات المرصعة والمذهبة ، وكان الخلفاء العباسيون ينفقون بسخاء في سبيل رفاهيتهم ، وحفلت القصور برجال الدولة والفنانين من مغنين وموسيقين (١) .

وقد زهد بعض الخلفاء في سماع الغناء والموسيقى ، فقد تشبه الخليفة المهتدى بعمر بن عبدالعزيز فحرم الطرب عندما ولي الخلافة سنة ٢٥٥ هـ ، غير ان معظم الخلفاء اقبلوا على الغناء ، وشارك الخلفاء والامراء والعامة في ذلك ، واغدقوا الهبات على الفنانين ، بل ان كثيرا من الخلفاء اشتغلوا بصناعة الالحان وداعت لبعضن انغام رائعة ومن اشهرهم المهدى بن المنصور ، والواثق ، والمنتصر والمعتمد ، ودونت لابراهيم ابن المهدى واخته علية وابي عيسى بن الرشيد وغيرهم الالحان (٢) ٠ واجتمع على باب الرشيد عددا من نوابغ الموسيقيين والمغنيين

---

(١) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام ص ٥٩٢٠

(٢) علي ابراهيم حسن : التاريخ الاسلامي العام ص ٥٩٢٠

ومنهم المنصور زلزل ، وتفنوق بضرب العود وذاعت شهرة المدني مسكين المدني ، وابن جامع ، وابراهيم الموصلي وابنه اسحق ، وكانا من رجال الادب والغناء •

وممن برز في هذا العصر زرياب تلميذ اسحق الموصلي الذى نبغ في الموسيقى والغناء وعلمها لابنته علية ، الا ان زرياب هجر بغداد وتوجه الى الاندلس حيث اشتهر وطور الموسيقى هناك •

وتعددت مجالس الغناء والطرب وكثر المغنون والمغنيات ، ويرجع انتشار الغناء لكثرة الجوارى والقيان اللائي كن يحترفن هذه الفنون في اوائل القرن الرابع الهجرى [(١)] • لم تكن المجالس حكرا على الخلفاء والامراء ولكن كان يحضرها الشعراء والادباء والمغنون وكل من يحب الغناء والطرب •

التسلية :-

عرف المجتمع العباسي انواعا عدة من التسالي لملأ اوقات فراغهم ، فكانوا يتبادلون النوادر الهزلية والاحاديث والقصص ، بالاضافة الى سباق الخيل [(٢)].

كما ظهر في المجتمع العاب جديدة كلعبة الشطرنج التي عرفت في عهد الرشيد ، ولعب الورق ، وظهر في عهد المعتضد اللعب بالجوارح ،وفيه تعمل كل حاسة من حواس الانسان تنافس غيرها من الحواس [(٣)] •

---

(١) متز : الحضارة الاسلامية ج ١ ص ٦٦•

(٢) المسعودى : مروج الذهب ج ٤ ص ٥٣٥•

(٣) متز : الحضارة الاسلامية ج ٢ ، ص ٢١٣ - ٢١٤•

وقد اعتاد الناس على لعب النرد ، وكذلك الرمي بالنشاب ولعبة الصولجان ، والصيد باستخدام الصقر والباز ، بالاضافة الى اهتمامهم بتربية الكلام السريعة [1].

---

(١) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام ج ٢ ص ٤٤٦ .

الفصل السّادس

سَيطرَة العَناصِر الأجنَبيَّة علَى الدَّولَة العَباسِيَّة

ونهاية الخلافة كمؤسسة فاعلة

سيطرة العناصر الفارسية

سيطرة العناصر التركية

سيطرة العناصر البويهية

سيطرة العناصر السلجوقية

سيطرة العناصر الفارسية

لا شك ان الفرس كان لهم دور فاعل في قيام الدولة العباسية، فقد اختيرت خرسان بعناية ودقة لقيام الدولة العباسية، فقد وقع اختيار محمد بن علي بن عبدالله بن العباس على خراسان ليغرس فيها الدعوة، واثبتت التجارب ان خراسان كانت جديرة بثقة زعماء الحميمة .

وتمت الحركان السرية التمهيدية لقيام الدولة في بلاد فارس ، ثم الجولات العسكرية بقيادة ابي مسلم الخرساني على ارض فارس وبسيوف الفرس التي زحفت فاستولت على مرو ثم الكوفة ، واشتركت معهم للقضاء على الامويين بقيادة عبدالله بن علي في معركة الزاب (١) .

وجد الفرس في مساهمتهم الفاعلة في القضاء على الدولة الاموية ، واقامة دولة بني العباسي ما يرضي طموحهم ، وان الفرص سانحة لهم للمشاركة في العهد الجديد لعل السلطة الحقيقية تكون لهم فيسيرون الحكم حسب رغباتهم .

بنى العباسيون سياستهم على اساس اتاحة الفرصة أمام كل المسلمين وخاصة الفرس ، للوصول الى ارقى مناصب الدولة ومساواتهم سياسيا واقتصاديا واجتماعيا مع العرب ، والقضاء على مظاهر الفرقة ، ومن هنا وصل كثير من الفرس الى مراتب حساسة في الدولة .

وزاد اعتماد العباسيين على الفرس والخرسانيين بصفة خاصة في الدعاية لقضيتهم ثم في اقامة دولتهم ، ادركوا بعد ذلك انهم اصبحوا قوة في الدولة،

---

(١) احمد شلبي : التاريخ الاسلامي ، والحضارة الاسلامية ج٣ ص ١٧٣ .

وهو امر لا يتفق مع السياسة العباسية التي تجد أمنها وسلامتها في القضاء على مراكز القوة ، وقد طبق الخلفاء العباسيون هذه السياسة على الفرس [1] .

وقد رأى عدد من الفرس في قيام الدولة العباسية باعثا على انتعاش القومية الفارسية ، وأملوا كثيرا في ان يقلبوا الدولة العربية الى فارسية ، ولكن أملهم خاب ولم تتحقق تلك الأمنية التي ارادوها بمثل تلك العجالة [2] ، فاتخذوا اساليب عدة في محاولاتهم تلك ، فتارة مناظرات ومساجلات أدبية ، واخرى هجاء وذكر مثالب العرب وثالثة ذكر مفاخر الفرس ، ورابعة ادخال افكار ومضامين دينية في الاسلام لهدم من الداخل الخ واخيرا الحركات العسكرية الانفصالية عن الدولة [3] .

ولعل من ابرز الشخصيات الفارسية : " ابو مسلم الخرساني " وهو من ابرز الشخصيات التي ادت دورا فاعلا في خرسان ، في نشر الدعوة العباسية سرا في بادئ الامر ثم عسكريا ، واشترك مع عبدالله بن علي مع اخر الخلفاء بني امية في معركة الزاب .

ولما اختلف الخليفة ابو جعفر مع عمه " عبدالله بن علي " ارسل ابا مسلم لحربه فانتصر عليه ، فأصاب الغرور ابو مسلم الخرساني ، ففكر بالتوجه الى خرسان للاستقلال هناك ، فكتب له الخليفة يرغبه ويتوعّده ويرغبه بتولية مصر والشام [4] . وحاول ابو مسلم ان يتّوجه

---

(١) محمد حلمي : الخلافة والدولة في العصر العباسي ص ٥٨ .

(٢) محمد اسعد طلس : تاريخ الامة العربية عصر الازدهار ، ص ٦٣ .

(٣) انظر فصل الشعوبية في الكتاب .

(٤) الطبري : تاريخ ، ج ٩ ، ١٦١ ابن الاثير : الكامل ، ج ٥ ، ص ١٧٤ ، ١٧٥ الامامة والسياسة .

الى خراسان ، ولكن الخليفة ارسل اليه رسالة يصر على حضورة الى بغداد وولى على خراسان ابو داوود نائب أبي مسلم ، وطمئن أبا مسلم بضرورة الزيارة ٠

واستطاع ابو جعفر بحنكته وسياسته ودهائه ان يسد كل الطرق امام ابي مسلم وان يجبره للحضور الى بغداد ، وفي العاصمة ، استقبل استقبالا حقا ، وجالس الخليفة ابا مسلم ساعة ثم امره بالراحة ، وفي اليوم التالي بدأ يعاتبه وكان الخليفة قد أعّد اربعة من الحراس ، واكثر من اللوم والعتاب ، فضاق ابو مسلم بذلك ، وقال : كيف يقال لي هذا بعد بلائي وما كان مني ؟ ٠

فأجابه الخليفة : " يا ابن الخبيثة ، لوكانت أمه مكانه لأغنت انما ذلك بدولتنا ، وريحنا " وصفق ، ودخل الرجال فقتلوا ابا مسلم (١) .

وقامت بعد مقتل ابي مسلم عدة حركات تعبيرا عن سخط الفرس ضد العباسيين كحركة سنباذ ، والراوندية ، والمقنع ورستان وبابك الخرمي، والمازيار ٠ (٢)

وكان هدف هذه الحركات هو القضاء على الدولة العربية ، واقامة دولة فارسية بدلا منها ، ولكن الخلفاء في العصر الاول كانوا على جانب من القوة ، بحيث استطاعوا القضاء على هذه الحركات والمحافظة على قوة ووحدة الدولة ٠

---

(١) انظر التفاصيل المسعودى : ج ، ص ٢٢، وما بعدها ، ابن الاثير : الكامل ج ، ١٧٧ـ ١٧٨ ابن خلدون : تاريخ ، ج ٣ ، ص ١٨٣ ـ ١٨٤ ٠

(٢) انظر الشعوبية من هذا الكتاب ٠

ومما اسهم فيه الفرس بنصيب وافر العمل بالسياسة مع الخلفاء كمستشارين ووزراء ، وقد استعمل هؤلاء الوزراء سلاح المؤامرات والتدبير السري ضد الخلافة والدولة ، وتسلل الوزراء الفرس الى الحكم واشهرهم :

البرامكة (1) :-

وينسبون الى جدهم برمك ، الذي كان كاهنا ببيت النار بمدينة بلخ فهم ينتمون الى أصل فارسي ، وقد تقلد خالد بن برمك خراج ما افتتحه قحطبة بن شبيب .

بايع خالد بن برمك ابا العباس بالخلافة فأعجب بفصاحته ونكائه ، وأمرّه على ما كان يتقلده من الغنائم ، وجعله على ديوان الخراج وديوان الجند ، ولما كثر حامدوه من دقة سجلاته (2) ، جعله المنصور على وزاراته مدة سنة وشهورا ، ثم أرسله للقضاء على الأكراد في بلاد فارس .

وظل البرامكة محتفظين بمكانتهم في خدمة العباسيين حتى عهد المهدى الذى اختار يحيى بن خالد البرمكي كاتبا وناصحاً لابنه هارون الرشيد ، فأحسن أداء واجبه نحوه ورعاه كأحد أبنائه حتى كان الرشيد لا يناديه الآّ بلقب الأبوة (3) .

ولما تقلد الرشيد الخلافة دعا يحيى بن برمك وقال له : " يا أبت ، انت آجلستني هذا المجلس ببركة رأيك ، وحسن تدبيرك وقد قلدتك

---

(1) انظر الطبرى : تاريخ ٢٨٧/٨-٣٠٠ . اليعقوبي : تاريخ ٤٢١/٢-٢٤٢٤ المسعودى : مروج الذهب ، ج ٣ /٣٨٤-٣٩٣ ، ابن طباجا : الفخرى ١٦٠-١٧٢ .

(2) الجهشيارى : الوزراء والكتاب ، ص ٨٩ .

(3) ارضعت زوجة يحيى البرمكي الرشيد .

امر الرعية واخرجته من عنقي اليك فاحكم بما ترى ، واستعمل من شئت ، واعزل من رايت ، فاني غير ناظر معك في شيء ،ودفع اليه خاتمه "[1]

وقد قام يحيى بالعديد من الاصلاحات ، فقد شق نهرا يسمى أبا الجنة ، واجرى القمح على اهل الحرمين ، واجرى الارزاق على المهاجرين والانصار ، وعلى اهل الاذب والدين واتخذكتاتيب لليتامى [2] .

وكان ليحيى أربعة اولاد هم : الفضل ، وجعفر ، ومحمد ، وموسى وهم سادة نجب ، وعباقرة امجاد ، وصفهم المسعودى بقوله : اما الفضل فيرضيك بفضله ، واما جعفر فيرضيك بقوله واما محمد فيفعل بحسب ما يجد اما موسى فيفعل ما لا يجد [3] .

ويبدو ان البرامكة ابطرتهم النعمة وغرهم المنصب ، فأخذوا يتصرفون في الأمور دون الرجوع الى الخليفة ،حتى ان الفضل بن يحيى أطلق الثائر العلوى يحيى بن عبدالله من سجنه ، فلما علم الرشيد قال " قتلني الله ان لم اقتلك " [4] .

وقد بدأت أسهم البرامكة في الهبوط بعد وفاة ام الرشيد " الخيزران " ، وبدأت مراقبة البرامكة ، فبعد ان كان يحيى البرمكي يدخل متى شاء على الرشيد ، فقد امر الرشيد علمانه بالاعراض عنه وعن

---

(١) الجهشياري: الوزراء والكتاب ،ص ١٧٧

ابن الاثير : الكامل ،ج ٦ ،ص ٣٦٠

(٣) المسعودى : مروج الذهب ج ٢ ، ص٢٨٢.

(٤) ابن الاثير : الكامل ،ج ٦ ،ص ٨ ، ٩ .

البرامكة ، واوصى الرشيد بمراقبتهم ، وجمع اخطائهم ، وتجمعت المظاهر التي توحي بنكبتهم ، وأمر الرشيد بالقضاء على مكان البرامكة فقتل جعفرا ، وحبس يحيى وبقية اولاده وصادر اموالهم .

واختلف المؤرخون في اسباب نكبة البرامكة واخذوا يتلمسون العلل والاسباب لها بعد حدوثها ، فربط البعض النكبة باطلاق الثائر يحيى العلوى كما مر ، ولفّق أخرون قصة العباسة شقيقة الرشيد بزواجها من جعفر بالسر ، وقد انكر ابن قتيبة هذه القصة في كتابه " المعارف " وذكر انها احدى بنات المهدى لام ولد ، وكانت متزوجة من محمد بن سليمان في البصرة [1] مما يستحيل ان يكون هذا السبب .

ولعل الحياة التي كان يعيشها البرامكة من حيث للبذخ والترف ، وما بلغوه من الغنى وهم يبذخون ويهيبون وينعمون على القبائل ، وما ابتذوه من القصور دوات الرياش الغالية ، فقد بنى جعفر قصرا بلغت تكاليفه عشرين مليون درهم ، هذا الى جانب الضياع ، وكانوا فوق ذلك يرون انهم يتفضلون على الخليفة اذ أراحوه ووفروا عليه وقته [2] .

وقد ناقش ابن خلدون نكبة البرامكة ، ورأى انها ناشئة عن استبدادهم على الدولة ، واحتجابهم اموال الجباية ، حتى كان الرشيد يطلب القليل من المال ، فلا يصل اليه ، فغلبوه على امره وشاركوه في سلطانه ، ولم يكن له معهم تصرف في امور الدولة ، فعظمت آثارهم ، وبعد

---

(١) ابن قتيبة : المعارف ، ص ١٦٦ .

(٢) عبدالحليم عباس : البرامكة في التاريخ ص ٢٠٦ .

ميتهم ، وعمروا مراتب الدولة بالرؤساء من ولدهم وصنعائهم ، واجتازوها عمن سواهم من وزارة وكتابة وحجابة وسيف وقلم ، فعظمت الدالة منهم، وانبسط الجاه عندهم ، وانصرفت نحوهم الوجوه ، وخضعت لهم الرقاب ، وقصرت عليهم (١).

وهكذا جنى استبداد البرامكة للسلطة عليهم ، وأدى الى نكبتهم من قبل الرشيد لانه رأى من قوتهم مصدر خطر على الدولة ،فلقدكان من المحتمل ان يسيطروا على الدولة ويوجهونها الوجهة التي يرغبونها طالما هم الآمرون والناهون ، لذلك فقد كانت نكبتهم في الوقت المناسب التي اعطت الدولة العربية دفعة قوية من الحكم.

ظاهر بن الحسين (٢) :-

فارسي الاصل ، برز خلال الازمة الخطيرة التي قامت بين الامين والمأمون على ولاية العهد ، وكانت في مضمونها حلقة جديدة في سلسلة الصراع على النفوذ بين القوتين العربية والفارسية في العصر العباسي.

بدأ الامر عندما عزل الامين اخاه المأمون عن ولاية العهد وولى ابنه موسى ، وتطور الوضع بينهما الى نزاع مسلح ، وكان ظاهر بن الحسين احد المقربين للمأمون في خراسان ، فعهد اليه بقيادة الجيش الذى اعده لمقابلة الجيش الذى ارسله الامين بقيادة علي بن عيسى.

---

(١) ابن خلدون : المقدمة ص ١١ ، ١٢.

(٢) الطبرى : تاريخ ج ٨، ص ٤١٢ - ٤٩٧، اليعقوبي : تاريخ ، ج ٢ ، ص ٤٣٧ - ٤٤٠ ، الديتورى : الاخبار الطوال، ص ٣٩٧ - ٤٠٠، المسعودى : مروج الذهب ج ٢ص ٤٠٩ - ٤٢٠.

اشتبك الجيشان في معركة عنيفة عند الري انتهت بانتصار الجيش الفارسي بقيادة طاهر بن الحسين ، الذى استمر في زحفه الى العراق ومعه هرثمة بن أعين أحد قادة الحملة ، فوصل بغداد وحاصرها ، ولما استسلمت له قام بقتل الخليفة الأمين ٠

اضطربت اثر ذلك الأحوال في الجزيرة والشام ، فقام بتأديب اهلها وأحكم السيف في اهلها ، ثم استدعاه المأمون فعينه على ولاية خرسان ، فقام بالمحافظة على الهدوء والنظام ، ونازعته نفسه الاس الاستقلال في تلك البلاد النائية فحكمها حكما يكاد يكون مستقلا ، ولكن حنكته جنّبتهُ غضب الخليفة ، فأبقى ذلك الخيط الرفيع الذى يربطه بالسلطة المركزية في بغداد ، ولم يفكر المأمون بالقيام بأى اجراء ضده طالما يعترف بسلطته (١) .

وهكذا كان للطاهر دور فاعل في تحقيق النصر للجيش الفارسي على الجيش العربي ، وحاول أن يستقل وبقيت علاقته مع الخلافة في بغداد اسمية ٠

الفضل بن سهل :-

منذ عهد الرشيد أخذ يخطط ويدبر ليضمن للمأمون مستقبلا في الخلافة ، ولولاه لما كانت للمأمون دولة ، فدولة المأمون منحه قدمها له الفضل بن سهل " (٢) ، وأول لبنه وضعها كانت في حياة الرشيد

---

(١) الطبرى :تاريخ ج ٨،ص ٤١٢-٤٩٧،اليعقوبي :تاريخ،ج ٢،ص ٤٣٧-٤٤٠٠ الدينورى : الاخبار الطوال،ص ٣٩٧-٤٠٠، المسعودى :مروج الذهب ج٣ص ٤٠٩ - ٤٢٠٠

(٢) احمد شلبي : التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية ج ٣، ص ٣١٣٠

فعندما قامت ثورة رافع بن ليث بن نصر بن سيار ، توجّه اليها الرشيد للقضاء عليها ، وأبقى ولي عهده الأمين والى جانبه المأمون ، فأشار الفضل على المأمون بالالحاح على والده لمرافقته ، حتى لا يتعرض للضغط في حالة وفاة والده الرشيد . فقبل الرشيد مرافقة المأمون بعد امتناع [(١)] .

وفي الطريق استفحل المرض بالرشيد ، فتخلف في طوس ، وما لبث ان مات ، بينما واصل المأمون بالجند الى خرسان ومعه الفضل . وأخذ يتقرب الى الناس فحط عن الناس ربع الخراج وأكرم القواد والرؤساء [(٢)] ، وذلك بتوجيه من الفضل ، ليحبه الناس ، وليجعله مقبولا لديهم ، فأحبه أهل خرسان ، وأقبلوا عليه وقالوا : " ابن اختنا " ولما رأى رافع بن ليث سيرة المأمون ، انقاد له ودخل في طاعته سنة ١٩٤ هـ فصار اليه وأكرمه وخص به [(٣)] .

ولما اشتد الخلاف بين الأمين والمأمون ، شجع الفضل بن سهل المأمون على الامتناع ، وأكد له ضمان الخلافة وقال : " هي في عهدتي " [(٤)]

ولما تحقق النصر للمأمون أعدق المأمون على الفضل بن سهل ومناه ولقبه ذا الرياستين : برياسة الحرب ورياسة التدبير وولى الحسن بن سهل (شقيقه) ديوان الخراج [(٥)] .

---

(١) الجهشياري : الوزراء والكتاب ص ٢٦٦ ، ابن الاثير : الكامل ، ج ٦ ، ص ٦٨ .

(٢) الجهشياري : الوزراء والكتاب ، ص ٢٧٨ - ٢٧٩ .

(٣) المصدر السابق : ص ٢٧٩ .

(٤) ابن طباطبا : الفخري ص ١٨٩ .

(٥) الجهشياري : الوزراء والكتاب ، ص ٣٠٥ - ٣٠٦ .

ولكن الفضل لم يحتفظ بهذه المكانة ، فقد أخذ يتآمر على القائدين طاهر بن الحسين وهرثمة بن أعين فسعى لدى المأمون للايقاع بهما ٠

أدرك هرثمة ما يحاك ضده وحاول ان يوضح للخليفة ٠ لم يقبل لكلامه وأمر به الخليفة فضرب أنفه وسحب بين يديه وسجن ، ثم دس له الفضل من قتله (١) .

ثم أمر الفضل بن سهل الجنود بطرح السواد شعار العباسيين ولبس الثياب الخضر شعار العلويين ، وكتب بذلك الى الاقطار كافة (٢) ، وحسّن للمأمون أن يجعل من بعده علي بن موسى العلوى ، ولي عهد المسلمين والخليفة من بعده ٠٠ وقصد بذلك تحويل الخلافة من العباسيين الى العلويين مما جعل الناس في بغداد يخلعون المأمون ويبايعون ابراهيم بن المهدى ، وتبع أهل بغداد السواد والكوفة والمدائن (٣) ، ولما علم المأمون بذلك قرر التوجه الى بغداد وفي الطريق دبر من فتك بالفضل بن سهل بالحمام ، في شعبان سنة ٢٠٢ هـ ، ثم استأنف السفر فمات علي بن موسى الرضي فجأة أخر صفر سنة ٢٠٣هـ٠

أرسل الخليفة المأمون الى قائده المبعد طاهر بن الحسين في الرقة فسار بجيش عظيم وفي النهروان التقى المأمون مع قائده وأعيان أهل بيته ، وتوجهوا الى بغداد ، حيث توارى ابراهيم بن المهدى ، وجدد الناس البيعة الى المأمون سنة ٢٠٤ هـ، وأعاد المأمون للخلافة سطوتها ولم يبق من الماضي اى أثر فأعاد السواد ثانية (٤).

---

(١) ابن الاثير : الكامل ج ٦، ص ١٠٧، ابن خلدون : تاريخ ج ٣، ص ٢٤٠
(٢) ابن الاثير : الكامل ج ٦ ، ص ١١١٠
(٣) ابن الاثير : المصدر نفسه ص ١١٦ ، ابن خلدون (تاريخ) ج ٣، ص ٢٤٧٠
(٤) ابن الاثير : الكامل ج ٦ ، ص ١١٨، ابن خلدون : تاريخ ج ٣، ص ٢٤٩٠

سيطرة العناصر التركية : (٢٣٢ـ٣٣٤هـ)

ادرك المأمون شدة وطأة الفرس في الدولة ، وغضب العرب عليهم لتقديمهم عليهم ، واحسّ بما يتهدد البيت العباسي من خطر بسبب الاضطرابات الداخلية ،فرأى ضرورة الحد من نفوذ كل من العرب والفرس بتقديم عنصر أخر هو عنصر الأتراك ٠

لقد اختار المأمون لهذا العصر هو ايجاد نوع من التوازن بين قوى العرى الغاضبة ، لانهم مالوا مع أخيه الامين ، وبالتالي تعرضوا للاهانة والظلم ، واستغل الفرس الموقف للسيطرة على الدولة والخليفة معا ٠

وقد بدأ تسلل الاتراك في عهد المعتصم عندما كان في خرسان ، وقد استقدمهم المعتصم من بلاد ما وراء النهر ، امّا عن طريق النخاسة ، واما على سبيل الجزية التي كان على امراء هذه البلاد ان يؤدوها ، فأسند لهم بادئ الامر سلامته الشخصية ، فجعل منهم حرسه الخاص ، ثم ادخله في جيشه المحارب ٠

وهم بصفة عامة عنصر مغامر غير مستقر يشبه الاغراب في بداوتهم [١] ، وقد تعهد الخلفاء الاتراك بالتربية الحربية والدينية ، فأباحوا لهم القيام بتمريناتهم في الفروسة وفي فنون الحرب بمدينة بغداد ، وقل وصل بعض هولاء الاتراك الى المراكز القيادية في الجيش او الرئاسة في القصر كالافشين في عهد المعتصم ٠ وقد أدرك الاتراك

---

(١) محمد حلمي احمد : الخلافة والدولة في العصر العباسي ص ٧٧٠

اهميتهم ، فأخذوا يعتدون على الناس في بغداد ، فتعددت الشكاية منهم ، فبنى لهم المعتصم مدينة (السامراء) ، سر من رأى وشدد رقابته عليهم وعاملهم بحزم ونكل بالخارجي عن رؤسائهم ٠

ان شخصية المعتصم لم تترك فرصة للطغيان ، وكذلك في عهد ابنه الواثق فلم يستبدوا بالأمر ، ولكنهم بعد الواثق أخذوا يزحفون بسرعة الى السلطة ، فكان لهم نصيب في عهد المتوكل ثم اكتمل سلطانهم في عهد المنتصر (١) ٠

واهم القادة الاتراك الذين لمعت اسماؤهم في عهد المعتصم الافشين (حيدر بن كلوس) ، وكان لهم سهم بارز في الانتصارات التي شهدها عهد المعتصم ضد الزط ، وبابك الخرمي والروم ، ولكن اتهم بالردة وبمحاولة الاستقلال ببلادة أشروسنة ، وقامت الأدلة على ذلك ، فقبض عليه المعتصم ، وسجنه وظل بالسجن حتى مات ، ومن زعماء الاتراك كذلك ايتاخ وأشناس وبغا الكبير ٠

وكان من نتائج منح المعتصم الثقة للاتراك ان دبر العرب ثورة ضد الخليفة وضد الافشين ، وكانت هذه الثورة ترمي الى قتل المعتصم وقائده وتنصيب العباس بن المأمون خليفة ، وقاد هذه الثورة عجيف بن عنبسة مدبر هذه الثورة ليثأر للعرب ، وانكشفت هذه الثورة فأوقع الخليفة بمدبريها ٠

وصل القواد الاتراك الى مكانة مرموقة بعد المعتصم ، اى في عهد

---

(١) احمد شلبي : التاريخ الاسلامي والحضارات الاسلامية ص ١٢٢٠

الواثق ، ولقب الواثق قائد الأتراك اشناس بلقب " السلطان " وهو بذلك يعترف له بحقوق تعدو نطاق المهام العسكرية الخالصة ، وعندما توفي الواثق تولى من بعده ابنه محمدا وكان دون سن الرشد وهنا امسى أشناس في قوة ومنزلة ، بحيث يستطيع ان يتحكم في الحكم ، فاستبدل الخليفة الطفل وعين عمه جعفرا المتوكل على الله ، وحاول المتوكل ان يتخلص من قادة الاتراك ، فقضى على ايتاخ ، وتوفقت محاولته الاصلاحية ودفع ثمنها حياته ، وعين بعده ابنه المنتصر ٠٠٠ وبالمنتصر بدأ عصر ضعف الخلافة العباسية [1] والذي استمر ما يزيد على مائة سنة (٢٣٢ - ٣٣٤) ، وحكم فيه بدءا من المعتصم حتى المستكفي تسعة عشر خليفة ، وتعرف هذه الفترة من تاريخ الدولة العباسية بالعهد التركي وانطبعت الحياة السياسية في الدولة العباسية بالطابع الجديد لتصبح الصورة المميزة للعصر ٠

بدأت مرحلة الانتقال منذ خلافة كل من الواثق بن المعتصم وخليفة المتوكل ، فقد ازداد نفوذ الاتراك في عهد الواثق واخذ التوازن يميل لصالح القواد الأتراك ، ولم يستطع الخليفة استعادة سلطاته القديمة ، فلما جاء المتوكل احتدم الصراع بين الخلافة والجيش ، وأخذ كل منهما يعمل على القضاء على الطرف الاخر ، وكان انتصار الجيش يعني ظهور مرحلة خطيرة للمستقبل السياسي في الدولة العباسية ، وكانت محاولة المتوكل في غاية الصعوبة لنفوذ الاتراك الراسخ ، مما أدى الى قتله على يد احد القواد الاتراك ، وانحدرت الخلافة الى الحضيض ، واستسلم

---

(١) بركلمان : تاريخ الشعوب الاسلامية ، ص ١٠ ، ص ٥٢ - ٥٤ ٠

خلفاؤه الى الجنود الأتراك ، فاستبدوا بهم ، ودامت فترة الانحطاط مدة عشر سنوات (٢٤٧هـ ـ ٢٥٦هـ) وحكم خلالها أربع خلفاء (المنتصر، المستعين ، المعتز ، المهتدى) ٠ وقد كان هؤلاء الخلفاء تحت رحمة القواد الاتراك ان شاءوا ابقوه او خلعوه اوقتلوه ٠

وحاول اخرهم الخليفة المهتدى ان يتصدى بشجاعة للقواد الأتراك ، ويقوم بالتخلص من القادة الاتراك ، بضرب زعمائهم ببعضهم ، واثارة الجند باستمالتهم بالمال ،لكن محاولته فشلت فقاتل بمن انضم معه ، فهزم بعد ان تخاذل أعوانه فسقط امام الاتراك ٠

ومهما قيل عن محاولة المهتدى ، فقد أدت الى الايقاع بالقادة من ناحية واثارت عليهم الفئات الاخرى ، وهذا ادى الى خروج الدولة من هذه المحنة وهي اكثر قدرة على الاستمرار وأشد صلابة واقوى مركزا (١) ، ثم مرت الخلافة بفترة هدوء واستقرار خلال حكم الخليفة : المعتصم والمكتفي (٢٥٦ ـ ٢٩٥هـ ـ ٨٧٠ ـ ٩٠٨م) ، فعادت للخلافة بعضا من أهميتها ونفوذها القديمين ٠

ويعود الفضل في صنع الاستقرار الى احمد الموفق شقيق الخليفة المعتمد ، الذى بقوة شخصيته ومواهبه الادارية والعسكرية ، ان يهيمن على مراكز السلطة دون ان ينافسه سوى زعيم الاتراك موسى بن بغاء ،الذى قبل سيطرة الموفق دون اعتراض ، وبذلك استعاد العباسيون السلطة عندما اصبح قائد الجند منهم ٠

ولعل من العوامل المساعدة في نجاح الموفق ، الظروف السياسية

---

(١) الطبرى :تاريخ ج ٩، ص ٤٥٦، اليعقوبي : تاريخ ، ج ٢ ، ص ٤٧٩ ـ ٥٠٧ ٠
ابن مسكويه : تجارب الامم ، ص ٥٢٧ ، ٥٤٣ ٠

التي احاطت بالدولة ، وبخاصة حركات العصيان التي قام بها الزنج والخوارج والصفارية التي انهكت الأتراك ، وانتشرت بينهم الفوضى فقام بجمعهم تحت لوائه ، وقضى على المحاولات الاستقلالية التي بدأت بقصف الدولة ، وبعمله هذا انقذ الخلافة وأعاد اليها هيبتها ونفوذها ٠

ولما توفي الموفق (٢٧٨ / ٨٩١هـ) خلفه ابنه ابو العباس ، وتولى السلطة ، وكان اكثر طموحا من والده ، فلم يقبل بولاية العهد ، انما اراد ان تكون الخلافة له ، وضغط على الخليفة على خلع ابنه ، وعينه بدلا منه ، ولم تمض سوى شهور قليلة حتى اصبح خليفة ٠

سمي ابو العباس بالخليفة المعتضد ، وقد قام بأعمال كثيرة تجعله في مصاف الخلفاء العظام ، فقد تصدى للقرامطة في سواد الكوفة والشام والبحرين ، واهتم كثيرا بأوضاع المزارعين ومساعدتهم ، فرفع عنهم الظلم والضرائب ، وقد أدت هذه الانجازات الى توثيق العلاقة بينه وبين الشعب فأعطى حكمه قوة ٠ وهكذا اثبت المعتضد انه قائد شجاع وسياسي بارع واداري ناجح (١) .

وتولى الخلافة " المكتفي " بعد ابيه المعتضد (٢٨٩هـ / ٩٠٢م) ، واقتدى بأبيه ، لكنه لم يكن بحزمه وشدة ، فعادت الأزمات السياسية من جديد ، ونشطت حركة القرامطة ، فأخضعها وعني بأمر الولايات التي كان لاصحابها رغبة في الاستقلال فوّثق علاقته معها وأخضاعها لسلطانه ٠

---

(١) سهيل زكار : تاريخ العرب والاسلام ، ص ٢٩٠

شارك القواد الاتراك الخليفة في انتصاراته ما عزّز موقفهم ، برزوا بصورة واضحة عندما مات ، ولم يترك وصيته بولاية العهد، فأفسح المجال مرة ثانية امام الاتراك للتدخل في الشؤون السياسية في اختيار الخليفة ، وبذلك عادوا الى مراكز السلطة [1] .

وقد اتضح للاتراك ان مصالحهم تتناقض مع وجود خلفاء أقوياء ، ولذلك وقع اختيارهم على اخ الخليفة المتوفي : جعفر بن المعتضد وكان لا تجاوز الثالثة عشرة من عمره فلقب بالمقتدر وكان زعيم الاتراك مؤنس الذى اصبح سيد الموقف ، ولعل من مهازل القدر ان تحدثه نفسه ان يرسل جنوده الى قصر الخليفة فينهبوه ، ثم طلبوا منه ان يوقع ورقة يشهد فيها بخلع نفسه ويعترف بعجزه عن الاستمرار بالحكم، (٣١٧هـ / ٩٢٩م) ، ثم عيم " مؤنسا " اخاه محمد بن المعتضد ولقب بالقاهر ، ولكن الجند ثاروا وأعادوا المقتدر الى الخلافة ثانية ،ولكن الصدام كان لا بد منه بين الخليفة والقائد ، وعلى الرغم من ان الخليفة حاول ان يقوم بما قام به المهتدى اى بضرب قادة الاتراك ، لكنه لم ينجح ، وتمكن القائد مؤنس بقتل الخليفة المقتدر سنة (٣٢٠هـ / ٩٣٢م) .

وبموت المقتدر وصلت الخلافة العباسية الى أحط درك من الفوضى والفساد ، فأصبحت عاجزة نهائيا عن النهوض في ظل القادة الحاكمين من

---

(١) الطبرى : تاريخ ، ج ٩ ص ٤٣٨ ، ج ١٠ ، ص ٧ ـ ١٣٩ .

اليعقوبي : تاريخ ج ٢ ، ص ٥٠٧ ـ ٥١١ .

الطقطقي : الفخرى ، ص ٢٠١ ـ ٢١١ .

الاتـــراك [1] .

عيـــن مؤنـــس ثانيـــة القاهـــر ، وأخـذ عليـه المواثيـق والعهـود واشـــترط عليـه توفيـر الأمـوال اللازمـة للجنـد ، لكـن القاهـر كـان يكـره مؤنـس والقـادة الاتـراك ، ولكـن القاهـر لم يسلـم فقـد دبـر لـه (ابن مقلة) الوزيـر المخلـوع مؤامـرة ، فهاجـم الخليفـة في مقـره ، ولمـا ألقـى عليـه ، خلعـه ، وسمـل عينيـه سنـة ٣٢٢هـ / ٩٣٤م وبويـع بعـده للراضـي ، وفي عهـده ظهـر منصـب أميـر الأمـراء ، الـذى اصبـح طاغيـا على كـل المؤسسـات الاداريـة والعسكريـة في الدولـة [1] .

وبويـع المتقـي (٣٢٩هـ/ ٩٤٠م) بعـد مـوت الراضي ، واستجابـة لرغبـة اميـر الامـراء الـذى رفض تنفيـذ وصيـة الراضي ٠

وشهـدت ايـام المتقـي احداثـا جسامـا ففي سنـة (٣٣٠هـ/٩٤٢م)، تعرضت بغـداد لأزمـة اقتصاديـة شديـدة ، وخـرج على الدولـة ابو عبدالله البريـدى الـذى كـان احـد الطامعيـن بامـارة الاجـراء ، فهـزم الخليفـة ، ودخـل جنـود بغـداد ونهبـوا بيوتهـا بمـا فيهـا قصـر الخليفـة ، ولم ينقـذ الدولة الّا سيـف الذولـة الحمدانـي الـذى أرسـل أخـاه ناصـر الدولـة على رأس جيش فأوقـع الهزيمـة بالبريـدى بالقـرب من المدائـن ٠ ولم يكـد يستقـر الخليفة حـتى خـرج عليـه القائـد توزون ، فهـرب الى الرقـة ، وعرض عليـه الاخشيـد حاكـم مصـر ، الاقامـة في مصـر الا انـه فضـل العـودة الى بغـداد والتفاهـم مع توزون، ولكـن هـذا مـا أسـرع ان خلـع الخليفة وسمل عينيه سنة (٣٣٣هـ/٩٤٤م) ٠

---

(١) الطبرى : تاريخ ج ١١، ص ١٣٩-١٥١ ٠ المسعودى : درج الذهب ج ٤، ص ٢٩٣-٣١١ ٠

(٢) سهيل زكار : تاريخ العرب والاسلام ، ص ٢٩٣ ٠

وبويع المستكفي سنة ٣٣٤هـ / ٩٤٤م) ، وهو أخر خلفاء هذه المرحلة ، وفي عهده ظلت السيطرة لامير الامراء ،لكن حصل تحول جذري ، فبعد وفاة تـوزون التركي ،كان الاتراك قد وصلوا الى حد كبير من التفكك والانهيار ،مما ادى ضعفهم وعجزهم على الاستمرار ، وفي نفس الوقت كانت هناك قوة جديدة في طريقها الى الظهور نحو المسرح السياسي في بغداد مستغلة سوء الاوضاع في بغداد لتبدأ مرحلة جديدة تفي تاريخ الدولة العباسية الا وهي الاسرة البويهية (١).

---

(١) الطقطقي : الفخري في الاداب السلطانية ،ص ٢٢٥ ـ ٢٣٣.

١ـ سيطرة العناصر البويهية :ـ

ينتسب البويهيون الى ابي شجاع بويه الذى ينتهي نسبه الى يزدجرد من آل ساسان ملوك الفرس ، وقد سكنت هذه الاسرة في الديلم في الجنوب الغربي من بحر قزوين وكان جد هذه الأسر فقيرا مدقعا ، يعيش على صيد السمك هو وأولاده وعلى جمع الحطب حتى يؤمنوا لانفسهم طعامهم [(١)] .

وقد اشتهر من أولاد بويه ثلاثة أولاد هم : أبو الحسن علي ، وأبو علي الحسن ، وأبو الحسين أحمد [(٢)] .

انضم بنوبويه الى مرداويج بن زيار ، فقلد أبا الحسن علي ، على الكرج سنة ٣١٨هـ/ ٩٣٠م ثم هاجم أصبهان واحتلها سنة ٣٢١هـ / ٩٣٣م ، ثم استولى على أرجان ، ثم أخذ أبو الحسن يوجه اخوته لاحتلال المقاطعات المجاورة فاستولوا على كازرون ، وسجتان وشيراز ، وبذلك سيطر بنو بويه على بلاد فارس ، فأرسل أبو الحسن علي الى الخليفة الراضي بالله بالطاعة والمقاطعة على ما بيده من البلاد على مليون درهم فاستجاب الخليفة له [(٣)] .

اغتاظ مرداويج من المكانة التي وصل اليها بنوبويه ، فأخذ يخطط للقضاء عليهم الا ان الأجل عاجله سنة ٣٢٣هـ / د٩٣م ، ولم يحقق هدفه ، فاستولى بنوبويه على ما كان تحت يده [(٤)] .

---

(١) ابن حجر الهيتمي :كتاب تاريخ اخوان الصفا (مخطوط) ص٩٢٠

(٢) العيني : عقد الجمان (مخطوط) ص ٣٨٣٠

(٣) ابن طباطبا : الفخرى ص ٢٧٩٠

(٤) الصولي : أخبار الراضي بالله والمتقي لله ص ٢٠٠

وأخيرا استطاع أبو الحسين أحمد من السيطرة على بغداد سنة ٣٣٤هـ/ ٩٤٥م فخلع عليه الخليفة المستكفي بالله ولقبه معز الدولة، ولقب أخاه ابا الحسن عليا عماد الدولة، وأخاه أبا علي الحسن ركن الدولة وكتب القابهم على الدراهم٠

كان بنو بويه يدينون بالمذهب الشيعي، فأصبح الخليفة العباسي في خطر منهم لانهم كانوا يؤمنون ان العباسيين مغتصبين للخلافة من أصحابها الشرعيين العلويين، وفكر معز الدولة بنقل الخلافة من العباسيين والعلويين، لكنه غير رأيه خوفا من وقوع الفتن ضده، وانقلاب المسلمين في الاقطار الاسلامية ضده (١) ٠ لذلك رأى معز الدولة أن يبقي الخلفاء العباسيون رمزا، ويحكم البلاد الاسلامية بشرعية منهم ٠ سيطر معز الدولة على الخليفة العباسي وعلى الحكم في بغداد نيابة عن أخيه عماد الدولة الذى كانت عاصمته شيراز٠

لقد كان عضد الدولة أعظم شخصية في بني بويه، فقد ورث ملك عمه معز الدولة، وملك أبيه ركن الدولة الذى توفي سنة ٣٦٦هـ / ٩٧٦م، وملك عمه عماد الدولة الذى توفي سنة ٣٣٨هـ / ٩٥٠م، ووحد المملكة البويهية تحت سلطانه وبلغت في عهده اوج عظمتها، وتزوج ابنة الخليفة الطائع، (٢) لكن الدولة البويهية اصابها الضعف بعد وفاة عضد الدولة بسبب الفتن والخلافات التي حصلت بين ابنائها، حتى كانت نهايتها على يد طغربك السلجوقي الذى احتل بغداد

---

(١) ابن كثير : البداية والنهاية ج ١١، ص ٢١٢٠

(٢) السيوطي : بغية الوعاة ج ٢، ص ٢٤٨٠

سنة ٤٤٧هـ / ١٠٥٥م [(١)].

لقد سيطر البويهيون على البلاد الاسلامية بشرعية من الخلفاء العباسيين على مقاليد السياسة قرنا من الزمان ، وكانوا يخلفون الخلفاء وينصبونهم وفق رغباتهم ، وكانت لهم في بغداد قصور عظيمة اطلق عليها دار المملكة ، ووسعت دولتهم معظم املاك الخلافة العباسية .

وقد حاول البويهيون أن يرثوا الخلافة العباسية فتزوج الخليفة الطائع ابنة عضد الدولة وكان الهدف من ذلك ان يكون لذريتهم حق في الخلافة [(٢)].

واهم المباني التي خلفها البويهيون المشهد المقام على قبر علي بن ابي طالب ، والمستشفى العضدى الشهير في بغداد الذى رتب له عضد الدولة أربعة وعشرين طبيبا يعالجون المرضى ، كما جعله مدرسة لتعليم فنون الطب [(٣)] .

وفي عهد شرف الدولة بن عضد الدولة اقيم مرصد للأبحاث الفلكية ، وانشئت في بغداد اكاديمية للبحوث العلمية على يد سابور بن اردشير الفارسي وزير بهاء الدولة ، والحقت بها مكتبة عدد مجلداتها عشرة الاف .

وفي عهد الدولة البويهية ظهر الخوارزمي والفارابي والمتنبي وابن سينا الحسين عبدالله وغيرهم من اقطاب الادب والعلم.

---

(١) المارديني : تاريخ ماردين (مخطوط) ص ٥٢.

(٢) ابن حجر الهيتمي : كتاب اخوان الصفا (مخطوط) ص ١٠١.

(٣) احمد فاعور : الدولة الحمدانية في حلب ص ٣٤٤.

سيطرة العناصر السلجوقية :ـ

ينتسب السلاجقة الى سلجوق بن تقاق أحد رؤساء التركمان ، وموطنه الآصلي بلاد ما وراء النهر [1] .

وقد غزا طغرلبك بن سلجوق خراسان ، واستولى على معظم مناطقها من نواب مسعود الغزنوى سنة ٤٢٩هـ وبذلك قامت الدولة السلجوقية التي اتخذت مرو عاصمة لها ٠ ثم وسع طغرلبك حذود دولته فاستولى على همدان ثم استولى على اجزاء كبيرة من أرمينية وبذلك اصبح طغرلبك يحكم معظم شرق الدولة العباسية ٠

كانت الخلافة العباسية في بغداد وعلى رأسها الخليفة القائم ، يسودها الفوضى والفساد لضعف البويهيين ، واصبحبت بغداد مهددة من الدولة الفاطمية الشيعية ، فأسرع الخليفة القائم واستنجد بالسلاجقة السنيين لحمايته من آعدائه الفاطمين ، وأمر الخطباء في المساجد بالخطبة لطغرلبك في الثاني والعشرين من رمضان سنة ٤٤٧هـ٠

لقد اصبحت بغداد ممهدة لدخول طغرلبك فسار اليها ، ودخلها بالحفاوة والتكريم والاستقبال الكبير من الخليفة ورجال الدولة يوم الاثنين في الخامس والعشرين من شهر رمضان سنة ٤٤٧هـ ، وبدخوله بغداد سقطت الدولة البويهية [2] .

---

(١) المقريزى : كتاب السلوك ودول الملوك ج ١ ، ص ١٥٠

(٢) الماردينى : تاريخ ماردين (مخطوط) ص ٥٢٠

وقد توثقت العلاقة بين العباسيين والسلاجقة ، لان السلاجقة كانوا يعتنقون المذهب السني ، وقدتجلت هذه العلاقة بزواج الخليفة القائم من خديجة ابنة ادود أخي السلطان اطغرلبك في شهر شعبان سنة ٤٤٨هـ .

ثم تزوج طغرلبك من السيدة ابنة الخليفة القائم في شهر صفر من سنة ٣٥٥هـ ولكن طغرلبك لم يعمر بعد زواجه هذا اكثر من ستة أشهر فتوفي يوم الجمعة الثامن من شهر رمضان سنة ٣٥٥هـ [١] من بلاد الشام التي كانت تحت سيطرة الفاطميين .

وفي عهد ألب ارسلان الذى اصبحت حدود دولته تمتد الى حدود الامبراطورية البيزنطية أصبح الاحتكاك معها لا بد منه ، فهاجم امبراطور البيزنطيين ديوجينس (Diogenes) بجيش يقرب مائتي الف الثغور الاسلامية فتقابل مع الجيش السلجوقي الذى كان لا يزيد عن خمسة عشر الف فارس في ملاذكرد في ربيع سنة ٤٦٣ هـ / ١٠٧١ م ، وعلى الرغم من كثرة الجيش البيزنطي الا ان النصر كان من نصيب السلاجقة ، وفيها اسر الامبراطور ، وقتل من الروم عددا كبيرا [٢] .

وهنا تتجلى الروح الاسلامية في ألب ارسلان ، فعامل أسيره الامبراطور معاملة حسنة وقبل الفداء عنه بمليون ونصف دينار وأطلق معه جماعة من البطارقة وشيعه وأرسل معه جندا يحفظونه الى

---

(١) ابن الاثير : الكامل في التاريخ ج ٨ ، ص ٠٩٢

(٢) المقريزى : كتاب السلوك المعرفة دول الملوك ج ١ ، ص ٠٥٣

بلاده ومعهم راية مكتوب عليها (**لا اله الا الله محمد رسول الله**) .

لقد كانت معركة ملاذكرد ضربة قوية للامبراطورية البيزنطية قصمت ظهرها ولو أن ألب أرسلان سار في طريقه بعد هذه المعركة لقوض أركان الامبراطورية البيزنطية .

ومن أهمية هذه المعركة أن تأسست دولة الروم السلجوقية في اسيا الصغرى التي اصبحت في حوزة المسلمين بزعامة سليمان بن قتلمش ابن عم ألب أرسلان ، وبقيت هذه الدولة اكثر من قرنين حتى قضي عليها المغول سنة ٦٥٥ هـ / ١٢٥٧م .

وبعد وفاة ألب أرسلان تولى الحكم ابنه ملك شاه (٤٦٥ - ٤٨٥هـ) ، وفي عهده حدث نزاع بينه وبين عمه قاورت سلطان كرمان فهزمه وضم كرمان الى نفوذه .

واستولى على ما تبقى من بلاد الشام تحت حكم الفاطميين وترك شؤنها لـ (تتش) وجعل حكمها وراثيا في بيته وقامت بذلك دولة السلجوقيين في بلاد الشام (١) .

وقد ظل السلجوقيون يحكمون معظم أملاك الخلافة الاسلامية في آسيا اكثر من قرنين ثم امتد نفوذهم الى جبال الاناضول .

وقد سقطت سلجوقيات خراسان وكرمان وفارس على أيدى شاهات خوارزم الذين كانوا ولاة من قبل سلاطين السلاجقة ، وظلوا يحكمون تلك البلاد حتى قضي عليهم المغول .

---

(١) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ج٥ ص١٤٥ .

وعلى الرغم من بلوغ سلاطين السلاجقة من جاه اوعز الآ انهم كانوا يعتبرون الخليفة العباسي المرجع الأعلى في شئون الدين ، وكانوا يتسلمون منه التقليد ويأخذون منه البيعة بالسلطينة وكل ما يقترن بهذا من الخلع وغيرها ، وكانوا يقبلون الارض بين يدى الخليفة ويلتمسون منه الصفح اذا اعتدوا على مقامه بما لا يليق · لقد أعاد السلاجقة مجد أهل السنة ، وخلصوا العالم الاسلامي من الشيعة الذين حكموا العالم الاسلامي كالبويهيين وما جروه على الخلافة من الفتن ،كما اعادوا للخليفة العباسي بعض سلطاته السياسية التي سلبها البويهيون ·

وقد اهتم سلاطين السلاجقة وخاصة ملك شاه بالفلك بأمر ببناء مرصد ، واشتهر من الفلكيين في عهده عمر بن ابراهيم الخيامي ، وأبو المظفر الاسفزارى وميمون بن النجيب الواسطي ·

كما اهتم سلاطين السلاجقة بالادب ، وكان الوزير نظام الملك نفسه أديبا ، فقد ترك مؤلفا قيما عن الحكومة والحكم واسمه (سياسة تامة) وقد عاش في كنف السلاجقة عمر الخيام الشاعر الفلكي الذى اشترك في تنقيح التقويم الفارسي برعاية نظام الملك (١) ·

ومن اعظم المفاخر التي يذكرها التاريخ لنظام الملك تلك الاكاديمية العلمية التي اسسها في بغداد وهي المدرسة النظامية ومن اساتذتها فيلسوف الاسلام الغزالي ·

---

(١) الخضرى · تاريخ الامم الاسلامية ص ٤٢٦ ·

وقد تميز الفن الاسلامي في العصر السلجوقي بمميزات خاصة تختلف عن الطرز الاسلامية الاخرى في البناء والزخرفة والكتابة والتصوير والصناعة المعدنية والحفر على الخشب وصناعة الخزف والمنسوجات الحريرية والزجاج وكافة المناحي الفنية الاخرى ٠

الفصل السابع

الحركات الداخلية ونشوء الدويلات

الحركة الشعوبية

حركة القرامطة

ثالثا : **الحركة الشعوبية :-**

تمثل الشعوبية اجتماع الجهد لفئات مختلفة لزعزعة السلطان العربي ، بتركيز الوعي السياسي والديني بين صفوف اصحابها ، بعد اضعاف الاسلام ، بنسف تراثه من الداخل [1] .

وقد بدأت دعوتهم في العهد الاموى في اطار الاسلام ، تحت شعارات براقة ، حين دعت الى مساواة الشعوب الاخرى بالعرب في الادارة والمجتمع [2] ولكن اهدافها سرعان ما ظهرت - على الرغم - من الحذر الشديد بمهاجمة العرب والتنفيس عن احقادهم .

ويعتبر عدد من الباحثين ان مقتل عمر بن الخطاب كانت اولى طعنة شعوبية في الاسلام [3] ، نفذت على يدى المولى أبي لؤلؤة الفارسي [4] .

ومما لا شك فية ان الفتح الاسلامي قد اثر في نفسيات عدد ممن فتحت بلادهم ، وشحنتها بالكراهية والحقد ، ومن العوامل التي زادت في ذلك لديهم ، نظام العرب القبلي في الزواج المبني على الانساب والاعتداد بالقبيلة والجنس [5] ، والذى يحبذ زواج العربية من افراد عائلتها وقبيلتها ، ليس على سبيل الترفع او الاحتقار كما راوا في ذلك

---

(١) عبدالعزيز الدورى : الجذور التاريخية ، ص ١٢ . زاهية قدورة : الشعوبية واثرها السياسي والاجتماعي ص ١٠ . احمد امين : ضحى الاسلام ، ج ١ ، ص ٥٥ . جبور عبدالنور : المعجم الادبي ، ص ١٥٢ . دار العلم للملايين بيروت سنة ١٩٧٩ .

(٢) الدورى : الحذور التاريخية ، ص ٥ .

(٣) زاهية قدورة : الشعوبية ص ٤١ . انور الجندى : الاسلام وحركة التاريخ ، ص ١٠٦ . محمد حجاب : الصراع الادبي بين العرب والعجم ، ص ٢٦ .

(٤) التقي الهرمزان وجفينة وابو لؤلؤة ، واتفقوا على ذلك .

(٥) المبرد : الكامل ج ١ ، ص ٢٠٥ . " ارغم عبدالملك الحجاج على طلاق ابنة عبدالله بن جعفر

الشعوبيين من الموالي ٠

وكذلك نظام القتال في المعارك حيث كان العرب يمتطون الجياد بينما غيرهم مترجلين (١) ٠

زادت تصرفات الحجاج اثناء ولايته للعراق في تضخم الكراهية وتذمر الموالي (٢) ٠ مما جعلهم يشتركون في الثورات المناوئة للدولة (٣) ،

وعلى الرغم من ان الدولة الاموية استطاعت القضاء على هذه الثورات ، فانهم كانوا كالسوس ينخرون في عظامها (٤) ٠

ومن العوامل المساعدة التي ايقظت الامل في نفوس الشعوبيين واثارت طموحهم للثأر ، مساواة المختار الثقفي للموالي بالعرب واجزال العطاء لهم (٥) ، وكذلك ابن الاشعث الذى رفع من مكانتهم اثناء ثورته لاعتمادة عليهم (٦) ٠

---

(١) المبرد : الكامل ،ج ١،ص ٢٧٤٠ " قال المختار لابراهيم بن الاشتر يوم مقتل ابن زياد " احمل العرب على متون الخيل وارجل الحمراء أمامهم

(٢) الدورى : الحدور التاريخية ،ص ١٥ " لقد فرض الخراج على العرب انفسهم بالرغم من مخالفة العرب والاسلام " ٠ " نقش على ايدى الموالي اسماء بلادهم،ولم يرفع الجزية عمن اسلم ، ولم يساوهم بالعرب في العطاء " ٠

(٣) البياسي : الاعلام بالحروب الواقعة في صدر الاسلام،ج ٢،ص ١٠٧ مخطوط٠

الثورات :ثورات الخوارج ،ثورة المختار، ثورة ابن الاشعث ، ثورة الحارث بن سريج ٠

(٤) محمد حجاب : الصراع الادبي،ص ٣٣٠ الدورى :الحذور التاريخية ص ١٤٠

(٥) البياسي :الاعلام بالحروب ج ٢،ص ١٠٧ مخطوط٠الدنيورى : الاخبار الطوال، ص ٢٨٨ (استجاب له من العجم في الكوفة زهاء ٢٠ الفا) ٠ فهوزن :الخوارج والشيعة ، ص ٢٢٨ ٠ زاهية قدورة : الشعوبية ص ٥٩٠

(٥) الطبرى :تاريخ الطبرى ج ٢٦،ص ٣٤٧ (كان معه مئة الف من الموالي) حوادث عام ٨٠ ، ٨١ ، ٨٢هـ ٠

اعتمد الشعوبيون في حركتهم على طائفة من العلماء والشعراء لطلاء آرائهم بلون يصعب اكتشاف سمومها ومفاسدها ضد العرب [1] .

وقد ظهرت الشعوبية بادئ الأمر على شكل مساجلات أدبية اصطبغت بالجرأة في كثير من الأحيان ٠

ولعل من أولى الاصوات الصاخبة التي ارتفعت ضد العرب ، وقست قسوة كبيرة عليهم كان صوت شعراء الموالي السود [2] الذين كانوا من رواد الشعوبية [3] ولكن أصوات هؤلاء السود كانت واهنة

---

(١) ابراهيم العدوى :المجتمع العربي ومناهضته للشعوبية،ص ١٤٠

(٢) أشهر شعراء الزنوج : أ ـ رباح بن سنج الزنجي ، مولى بني ناحية ٠ المبرد : الكامل ، ج ٢،ص ٨٠ الطبرى ج ٨،ص ٣٥٠ رد على قول جرير :

لا تطلبن خؤولة في تغلب فالزنج اكرم منهم اخوالاً

فقال رباح في قصيدة ١٦ بيتا هاجم فيها العرب ٠ رسائل الجاحظ ص ٦١ طبعة الساسي ٠

والزنج لو لاقيتهم في صفهم لاقيت ثم جحا جحا ابطالا

سل ابن جيفر حين رام بلادنا فرأى بغزوتهم عليه خيالا

ب ـ حكيم الحبشي رد على حكيم بني عياش الكلبي لقوله :

لا تغفرن بخلل من بني أسد فان اكرم منها الزنج والنوب

فافتخر بليلة الفيل والنجاشي وابرهة منها ٠ رسائل الجاحظ ، ص ٦٦٠

وليلة الفيل اذا طارت قلوبهم وكلهم هارب موف على قتب

منا النجاشي وذا الخفضين مهركم وجد ابرهة الحامي ابي طلب

ج ـ الحيقطان رد على جرير لقوله :

كأنه لما بدا للناس اير حمار لف في قرطاس

فهجا العرب في ١٧ بيتا ٠

تأبى الجلندى وابن كسرى وحارث وهوذة والقبطي والشيخ قيصر

غزاكم أبو يكسوم في ام داركم وانتم كقبض الرجل او هو اكثر

رسائل الجاحظ ، ص ٥٦ ، ٥٧ ز ٥٨ (طبعة ساسي) ٠

(٣) عبده بدوى : السود في الحضارة العربية ،ص ١٩٨،مجلة الدوحة السنة الثانية ، العدد ، ١٨ ، ص ٧٢٠

ضعيفة لعدم وضوح دورهم في المجتمع الجديد في العهد الاموى ولا ن الفتوجات لم توجه اليهم ٠

بيد ان الحركة الشعوبية ظهرت بين الفرس والمنتسبين لهم ، لتوفرالدوافع الجذرية التي ميزت موقفهم عن غيرهم من الموالي والاعاجم٠

لقد تضافرت الاسباب لطائفة من شعراء الموالي ، عندما وجدوا بعض شعراء العرب (١) يتخذ من الموالي امثلة تحط من مقامهم، مما دفعهم الى الأخذ ، باظهار احاسيسهم بماضيهم الزائل ، واخذوا يبرزون حضارتهم وماضيهم بصورة افتخار وتطور الى تعصب شديدكما

---

(١) من شعراء العرب الذين شبهوا الموالي بما يحطمن مكانتهم :ـ

أـ جرير الذى قال في بني العنبر :

قالوا اشتروا جزرا منا فقلت لهم بيعوا الموالي واستحيوا من العرب

ديوان جرير ، ص ٤٩ ، المبرد : الكامل ، ج ١ ، ص ٢٧٢ ٠

ب ـ الفرزدق : هجا المهلب معرضا بـه :ـ

تبين انه نبطي بحر وان له من اللئيم من الديار

وقال في يزيد بن المهلب :

لو انهم عرب او كان قائدهم مديرا ما غزا العبان بالرحم

جـ ـ محمد بن البشير ، عاقب والي المدينة احد الموالي بفسخ خطبتة من خطيبتة من بني سلسم ، ثمجلده مشتي سوط ، وحلق رأسه ٠ فقال :

فاي الحق انصف للموالي من اصهار العبيد الى العبيد

وقال :

اذا افتقر الموالي سعى له جاهدا لترضى وان ينال عنك القنا ادبرا

الاغاني ، ج ١٦ ، ص ١٠٦ ، ١٠٧ ٠

كما هو واضح لدى اسماعيل بنن يسار ٠

انما سمي الفوارس بالفرس   مضاهة رفعة الانساب (١)

ويصف أسلوب شعراء الموالي في تحقير العرب فيتخذون من الرمز والكناية طريقا ، فاخذوا يرمزون للعرب بهند وسامي وامامة (٢) ، ثم يبتكر الشعوبيون مطاعن عيرها ، فاخذوا يكبرون ويضخمون مثالب العرب

(١) الاغاني ، ج ٤ ، ص ٤١١٠

وفي مثل بين يدى هشام بن عبدالملك فافتخر بشعوبيته يرد مدح الخليفة حيث قال :

اصلي كريم ومجدى لا يقاس به   ولي لسان كحد السيف مسموم

من مثل كسرى وسابور والجنود معا   والهرمزان او فخرا لتعظيم

الاغاني ، ج ٤ ، ص ٤٢٣٠

وهناك ابنه ابراهيم ، انظر الاغاني ، ج ٤ ، ص ٤٢٧٠

ويزيد بن ضبة ، الاغاني ، ج ٧ ، ص ٩٦٠ القائل :

ولينا الناس ازمانا طوالا   وسسناهم ودسناهم وقدنا

وموسى شهوان ٠ انظر الاغاني ، ج ٣ ، ص ٣٥٩ ، القائل :

فقلت لهم سمرقند وبلخ   وما بالصين من نعم وشاء

وابن مبارك ٠ انظر الاغاني ، ج ٢ ، ص ٢٦١ القائل :

انا ابن سلمى وجدى ظالم   وامي حصان اخلصتها الاعاجم

وفي ص ٣٢٣ ٠

هنا الملك الا ان شيئا يعكر   قريش وان شئنا لفت رقابها

وان غضبت من ذا قريش فقل لها   معاذ اللة ان اكون اهابها

(٢) الاغاني ، ج ٤ ، ص ٤١٤ ، ج ٧ ، ص ٩٥ ٠ ج ٦ ، ص ١١ ، ج ٣ ، ص ٣٥٩ ، ج ٢ ، ص ٢٦١ ٠

بما ينطقون للرواة بما لا يعرفون ، ولعل الجارية العامرية ، وما نطقت به من شعر في ذم القبائل العربية كافة وبلا استثناء واضح في ذلك (١) ٠

واستمرارا للخطة واستكمالا لها ، يختلق الشعوبيون القصص للنيل من شرف العرب كما هي الحال في قصة وضاح اليمن (٢) ٠

ويسير الشعوبيون في الخطة المضادة ، برفع شأن الفرس بالاكثار من رواية الشعر الجاهلي في مدح الفرس (٣) ، وذلك لاعطاء صورتين متعاكستين ، تبين احداهما هوان العرب وثانيهما مكانة وعزة الفرس ٠

ويستمر حرص الشعوبيين في اسلوبهم بالمخالطة وتزييف التاريخ بوضع القصائد ونسبتها الى غير أصحابها لنيل شرف الرواية (٤) مما أحدث اضطرابا عند التأريخ للأدب العربي ٠

ويقوم الشعوبيون بصبغ الاسلام بصبغتهم ، ثم نسف التراث الديني بنشر الاباطيل والاراجيف ، فتسللوا الى الفرق الدينية ، فقد تمكن ميمون بن خالد ابن عمران من الدخول الى الخوارج الازارقة ، وأباح لاتباعه الزواج من بنات البنات ، وبنات البنين ، مخالفا مبادئ الاسلام وسائداً حسب ما تقتضية التعاليم المجوسية (٥) ٠ ويتمرد المولي

---

(١) المسعودى : مروج الذهب ، ج ٣ ، ص ٢٨٦ - ٢٩٣ ٠

(٢) الاغاني ، ج ٦ ، ص ٢٢٤ ٠

(٣) انظر ديوان الاعشى ، وديوان عدى بن زيد ، ولقيط بن يعمر ٠

(٤) الاغاني ، جـ ٦ ، ص ٢٨٩ ، ص ٩٠ ، ٩٢ ٠ ابن سلام : طبقات الشعراء ، ص ٢٤ ٠
البغدادى : خزانة الادب ، ج ٤ ، ص ١٢٩ ٠

(٥) البغدادى : الفرق بين الفرق ، ص ٩٦ ٠ الشهرستاني : الطل والنحل ج ١ ، ص ١٢٩ ٠

عبد ربه الكبير على قطري بن الفجاءة ، مما بعثر جيشه ، فتبعت غالبية الجيش المتمرد ، لانهم كانوا من غير العرب مثله ، ثم وضع أحدهم حدا لنهاية قطرى بالغدربة (١) .

ونادى كيسان بتناسخ الأرواح ، وهي احدى صور النظريات القديمة (٢) .

وأخيرا يتخذ الشعوبيون ظاهرة الزندقة والالحاد والتهتك والخلاعة (٣) أسلوبا ضد الدين لمحاربتة .

---

(١) الطبرى : تاريخ ، ج ٦ ، ص ٣٠٩ (حوادث عام ٧٧هـ) .

قتل احد الموالي قطرى بن الفجاءة ، ص ٣١٠ .

(٢) الاشعرى : مقالات الاسلامية ، ج ١ ، ص ٥٠ ، ٥١ . البغدادى : الفرق بين الفرق ، ص ٣٩

الشهرستاني : الملل والنحل ، ج ١ ، ص ١٤٧ .

(٣) وأشهرهم : أ - جعد بن درهم مبتدع مثال أعدمه هشام بن عبدالملك .

الذهبي : ميزان الاعتدال ، ج ١ ، ص ٣٩٩ .

ب - حماد الراوية ، حماد عمرو .

انظر المرتضي : أمال المرتضي ، ج ١ ، ص ١٢٧ .

جـ - منصور العجلي : الاشعرى : مقالات الاسلاميين ، ج ١ ، ص ٧٤ .

الشهرستاني : الملل والنحل ، ج ١ ، ص ١٧٩ .

البغدادى : الفرق بين الفرق ، ص ٢٤٣ .

دعا لانتهال المحرمات فقتله يوسف بن عمر الثقفي .

د - بيان بن سمعان : قال ان الله على صورة انسان .

الشهرستاني : الملل والنحل ، ج ١ ، ص ١٥٢ ، ١٥٣ . الاشعرى : مقالات الاسلاميين ، ج ١ ، ص ٦٦ . البغدادى : الفرق بين الفرق ، ص ٤٠ .

ويفلسف المولى جهم بن صفوان المرجئي الايمان ، فينادى بأن الايمان في القلب ، ولا ضير في التظاهر بأن يعكس غير ما يبطن (1) .

وقد ادت هذه الدعوة الى تحامل الناس من الفرائض ، وأباحت لغير المسلمين ادعاء الاسلام .

وهكذا كانت المساجلات الادبية ، والتحامل على المثل العربية ، والاستهانة بالثقافة العربية الاسلامية ، بخلق المثالب ، واختلاق القصص ، ونشر الاباطيل للنيل من شرف العرب ومكانتهم ، قد كشف الخيوط ورسم لنا خطوط الجذور لشعوبية الموالي في العهد الاموى .

وفي العصر العباسي اتخذت الشعوبية صورة واضحة ، فقد شعر الشعوبيون بأهميتهم ومكانتهم لدورهم الفعال في القضاء على الدولة الاموية - وقيام الدولة العباسية ، ولاستلام عدد من الشخصيات الفارسية مراكز هامة في الدولة الجديدة .

فمن الناحية الادبية ، ظهرت الشعوبية سافرة لا يسترها حجاب ، لشعور الفرس بدورهم في نشر الدعوة العباسية ، ومساهمتهم بنصيب كبير في قيام دولة بني العباس ، ما جعل خلفاء بني العباس يقربونهم

---

(1) هو مولى بني راسب ، توفي سنة ١٢٨هـ .

الاشعرى : مقالات الاسلاميين ، ج ١ ، ص ١٩٧ .

البغدادى : الفرق بين الفرق ، ص ٢١١ . الشهرستاني :الملل والنحل ج ١ ، ص ٨٨ .
الذهبي :ميزان الاعتدال ، ج ١ ص ١٩٧ - الزركلي :الاعلام ج ٢ ، ص ١٤١ .

ويولونهم أعلى المناصب ، بحيث أصبح العنصر الفارسي اكثر العناصر امتيازا وتفوقّا ، وفي جو التسامح استطاع الاعاجم ان يجهروا بعدائهم للعرب ، وان يفخروا عليهم ويحقروا من شأنهم ، فكانت المساجلات الادبية الطويلة والمناظرات التي دارت بين الفريقين ٠

وكانت الحركة الادبية في بداية الامر اعلانا لمبدأ المساواة بين العرب وغيرهم من الشعوب المسلمة ، ثم اتخذت الخطوة اكثر جرأة ، وأبعد تطاولا وهي تفضيل الفرس على العرب ، ولما كان الخلفاء عربا ، فلم يكن باستطاعة الاعاجم ان يجهروا دفعة واحدة باحتقارهم للجنس العربي ٠

ان ما دفع الشعوبية لالحاق الرذيلة بالعرب والاسراف بالذم انما هو نتيجة الحسد (١) ٠ ولعل اخظر أولئك " الذين حملوا لواء الشعوبية هم السفلة والحشوة من العجم " (٢) ٠ وهذه الفئة كانت تدين بدين الشعوبية الذين حملوا العصبية من اهل العلم والادب والسياسة وهم قلة (٣) .

وقد وضح الشعوبيون قاعدة عامة في تفاضل الناس فيما بينهم ، ليس بآبائهم ولا بأحسابهم ، ولكن بأفعالهم وأخلاقهم ، ولم يقفوا عند هذا الحد بل اتبعوا منهجا للطعن في انساب العرب فوضعوا كتب

---

(١) ابن قتيبة : الرد على الشعوبية / رسائل البلغاء / ص ٢٦٩٠

(٢) المصدر نفسه ص ٢٧٠٠

(٣) زاهية قدورة : الشعوبية وأثرها الاجتماعي والسياسي ص ٨٧٠

المثالب [1]، والتي من شأنها أن تظهر العيوب ونقاط العار في تاريخ نسب القبائل، وقد اشترك في ذلك اللغويون والنسابون الفرس ليقووا زعمهم وحججهم ضد العرب [2]، وقد اخترع العجم لانفسهم نسبا اوصلوه الى نسب اسحق بن ابراهيم من سارة، وارجعوا نسب العرب الى هاجر وهي أُمَة، واطلقوا عليها اللخناء، وهم بذلك ابناء الاحرار والعرب ابناء اللخناء [3].

وقد ادى هذا التلاعب بالانساب الى تحول بعض اتقياء العرب ومعتدليهم على الشعوبيين، لان القرآن الكريم ينهى من تغيير النسب [4].

وطعن الشعوبيون في مفخرة العرب وهي اللغة، فأخذوا يزعمون أن لغتهم، اغنى وأسمى، وأعلى من اللغة العربية، وقد بدأوا بارجاع بعض الكلمات الى اصولها الفارسية، فكتب احدهم : سعيد بن حميد كتاب : انتصاف العجم من العرب .

ومما عابه الشعوبيون على العرب اوضاعا معينة في الخطابة [5]،

---

(1) انظر ابن النديم : الفهرست، ص ١٥٣-١٥٤، فهناك عدد من المؤلفين وأسماء كتبهم الذين كتبوا في هذا الموضوع مثل : البحترى، الهيثم بن عدى، علان الشعوبي

(2) انظر : ابن عبد ربة العقد الفريد، ج ٢، ص ٢٦٠ (وقول الشعوبين في زواج العرب قبل الاسلام) .

(3) ابن قتيبة : الرد على الشعوبية، ص ٢٧٥ (رسائل البلغاء) .

(4) انظر : الجاحظ : البيان والتبين، ج ١، ص ٣٥٩، ج ٣، ص ١٣ .

(5) المصدر والصفحة نفسها .

والاسماء وافتخروا بالصفات الخلقية (الصبر، وحسن النية، والطاعة، والاخلاص، والولاء) [1]، ورد العرب عليهم مزاعمهم.

وتجلت الشعوبية في المناظرات والمساجلات، وما اكثر ما كانت تعقد في ذلك العصر، وقد حمل لوائها شعراء ممتازون، كان لسانهم سلاحا مسلولا، وكانوا يجهرون احيانا بالعداء، ويستترون وراء اقنعة اللغة مثل : بشار بن برد، الذى كان كثير الحنين الى اصلة الفارسي ونزعته القومية، كما كان يدين بالرجعة ويصور رأى ابليس في تقديس النار على الطين، وهذا من عقائد المجوس [2]. وهناك ابونواس الذى كان متعصبا للفرس، كثير الهجاء للعرب [3]، هذا الى جانب تهتكة وفجوره حتى رماه الناس بالزندقة [4].

اما علان الشعوبي وهو راوية بالانساب والمثالب والمنافرات، وينسب اليه كتاب " المثالب " الذى هتك فيه العرب، والكتاب يحتوى على مثالب العرب قبيلة قبيلة بدءاً من قريش وانتهاء بزهرة بن كلاب، حتى قبائل اليمن ومسائل الخصومة بأنساب القبائل العربية [5].

---

(١) الجاحظ : رسالة الفتح بن خاقان، ص ١٣، ١٤، (مجموعة رسائل الجاحظ).

(٢) الاصفهاني : الاغاني، ج ٣، ص ٢٤. يقول :

الارض مظلمة والنار مشرقة | والنار معبودة مذكانت النار

(٣) انظر ديوان ابي نواس : ص ٢٩٥، ٢٨٤.

(٤) زاهية قدورة : الشعوبية وأثرها الاجتماعي والسياسي، ص ١١٤.

(٥) حسين عطولة : الزندقة والشعوبية، ص ١٥٨ - ١٦٥.

كما ألّف الجيهاني كتابا سب فيه العرب و تناول اعراضهم ، وحط من قدرهم ، فانبرى له التوحيدي في الرد عليه .

وأشتهر أبوعبيدة بالكذب والدس [1] ، وكان همة ان يجرد العرب من مآثر حضارتهم ، ويرجعها الى عناصر اجنبية ، فلم يترك شعرا اونثرا ، ولا شيئا من مفاخر العرب الا ونسبه الى الاعاجم حتى القصص الخرافية ، التي يتناقلها العرب [2] ، ولما كان عالما بالانساب والمثالب والانساب ، فقد استغلها في الاساءة الى العرب . [3]

ولم يترك علماء العرب الشعوبيين يسرحون ويمرحون كما يشاؤون ولكن كانوا يردون عليهم ويفحمونهم ، ولذلك ادت حركة الشعوبية الادبية الى اثراء الفكر العربي ، فبرز لدينا عدد من الكتاب الاكفاء كالجاحظ وابن قتيبة والتوحيدي والغزالي وغيرهم .

وروّج الشعوبيون منذ بداية العصر العباسي الاول الى العقيدة الباطنية ، مما جعل العقيدة الاسلامية امتحانا لقلوب المسلمين من الفرس ، وهذا دفع الخليفة المهدى لانشاء ديوان خاص للبحث عن الزنادقة ، اصحاب مذهب الباطنية ، والتفتيش عنهم ، ومحاكمتهم ، وأطلق على المسؤول : " صاحب الزنادقة [4] " ، وأمر بوضع الكتب للرد عليهم

---

(١) ابن قتيبة : عيون الاخبار ،ج ٢ ،ص ١٣٠ .

(٢) زاهية قدورة : الشعوبية وأثرها الاجتماعي والسياسي، ص ١٢٥ .

(٣) السيوطي : بغية الوعاة ص ٣٩٥ .

(٤) الجهشيارى : الوزراء والكتاب ص ١٥٦، الاصفهاني : الاغاني، ج ٣، ص ٧٣ .

ومناظرتهم فان لم تجد هذه الوسائل نفعا كان يلجأ الى العنف [1]، وتابع هذه السياسة ابنة الهادى من بعده .

وألف الفرس حياة الشرق وكان الاكاسرة معروفين بميلهم الى اللهو والسرور ، والافراط في شرب النبيذ نتيجة الديانة الزردشتية ، ونقل الاعاجم هذه التقاليد الى المترفين العرب ، فأقبلوا على الملذات [2] لا سيما والسبل اليها ميسرة ، فكان لهذا الاثر السلوكي في فتّ عضد الدولة ، لا سيما وهو طريق سلمي محبب الى النفوس البشرية التي تميل الى الاستكانة وتبتعد عن العنف [3] ، وعمل الاعاجم على نشر مجالس اللهو والمجون والخلاعة وأشهرهم الحمادون الثلاثة [4] ، ومطيع ابن اياس، وصالح بن عبدالقدوس ، ووالبه بن الحباب وعمارة بن حمزة بن ميمون وغيرهم كثير من العرب والفرس [5] ، وأخذ المسؤولون حتى الخلفاء يحتفلون بأعياد الفرس القومية كعيدى النيروز والمرجان ، فكانوا يتقبلون (الخلفاء) الهدايا ويهدون اتباعهم [6] .

لقد مهدّت الافكار المتعددة التي طرحها الاعاجم في المجتمع ، وفيها من مضامين تحمل في خفاياها الطعن والتشكيك والاتهام للنفوس الحاقدة من الاعاجم الى احياء المشاعر القومية والدينية الفارسية ، وكأن

---

(١) المسعودى :مروج الذهب ج ٣، ص ٢٣٦.

(٢) خيرالله طلفاح : الشعوبية عدو العرب الاول ، ص ١٣٩.

(٣) زاهية قدورة : الشعوبية وأثرها الاجتماعي والسياسي، ص ١٨٧.

(٤) الاصفهاني : الاغاني ج ١٣ ، ص ١٣.

(٥) المصدر نفسه ج ١٢، ص ٩٠-٨٩. المرتضي :أمال المرتضي ص ٨٧-٨٨، ٩٨-١٠٠.

(٦) زاهية قدورة : الشعوبية ، ص ١٨٩.

المساجلات وما تبعها من هجوم على العرب وانكار لحضارتهم قد عبأ نفوس الاعاجم من الحاقدين الى تحويل الحركات الفكرية الى حركات معادية مسلحة تحاول اعادة قيام الدولة الفارسية القديمة ٠

وأول هذه الحركا : حركة الراوندية (١)، التي قامت في زمن الخليفة ابي جعفر المنصور ،وقد نادى الراونديون بالتبرئة من ابي بكر وعمر ، وغالوا في تعاليمهم ، فقالوا بالاباحية ، وألوهية بعض المخلوقات عن طريق تناسخ الأرواح ، وهتفوا بألوهية ابي جعفر المنصور وانبثق عن هذه الفرقة فرقتين : الرازمية والأبومسلمية (٢)، وقد حاربهم أبو جعفر نفسه٠

ولم تكد تنته هذه الحركة الا وقامت حركة مناوئة اخرى في خراسان بقيادة سنتاذ ، وادعى هذا النبوة ليجذب طاعة عامة الناس اليه، وقد وجدت دعوته اذانا صاغية ، واستجاب له نحو ثلاثمائة الف (٣)، لكن ما أسرع ان قضت عليها الدولة ٠

وفي عهد الخليفة المهدى قامت حركة المقنع في خراسان ، وهي استمرار للحركة الراوندية (٤) ولذلك نادى بتناسخ الارواح ، وأبطل الصلاة والصوم والفرائض وأباح الاموال والنساء ، وشرع للناس جميع ما اتى به مزدك، ونادى أخيرا بالألوهية لنفسة، فكان اتباعه يسجدون لة ويطلبون منة العون (٥) وقد

---

(١) الطبرى :تاريخ ج ٧ص ٥٠٥، ٥٠٨، الاشعرى :مقالات الاسلاميين ج ١، ص ٢١٠

(٢) الطبرى : تاريخ ،ج ٧ ص ٤٩٥، ابن الاثير : الكامل، ج ٥، ص ٢٨٠

(٣) انظر :عاطف شكرى أبو عوض الزنذقة والزنادقة ص ١٢٥، ١٢٦، ابن الاثير :الكامل ج ٥ ص ١٨

(٤) البغدادى :الفرق بين الفرق ،ص ٢٤٢٠ انظر عاطف شكرى أبو عوض : الزندقة والزنادقة ص ١٢٧٠-١٢٨٠

(٥) ابن الطقطيقي : الفخرى في الاداب السلطانية ص ١٣٢٠

كان لديه من الحيل والمخارق ما بهر به اهل زمانه باعماله وبكلامه ، وكثر اتباعه حتى بلغوا حوالي اثنين وثلاثين الفا في مدة ثلاثة اعوام، ولما اشتدت شوكته ،خرج على الدولة سنة ١٥٩هـ فسيّر اليه الخليفة المهدى " أبا عون " فقضى على حركته ، ولما احسّ بأنه هالك ألقى بنفسه في النار فأحترق [١] .

ثم قامت حركة رستاق بأردبيل [٢] ،وكانت حركته ترمي الى محو الدين الاسلامي ، وازالة الحكم العربي ، وتقول الحركة بالرجعة وتبديل الجسم " أي التناسخ " ، وهم يعظمون أبا مسلم ويلعنون أبا جعفر المنصور، ويتبركون بالخمور والاشربة ، وأصل دينهم يقول بالنور والظلمة [٣] ، وزعماؤها يصرون على الانفصال عن الدولة ، وقد قامت هذه الحركة في اواخر عهد المهدى سنة ١٦٣ هـ واستمرت حتى عهد الرشيد فقضى عليها ٠

وفي عهد المأمون قامت حركة بابك [٤] الخرمي سنة ٢٠١ هـ في أذربيجان ، وقامت بحركة انفصالية و ادعى صاحبها الألوهية ، وقال بالحلول والتناسخ والرجعة [٥] ، وامتد نفوذه فاستولى على أذربيجان، وهمدان ، وأصفهان وماسبدان وغيرها [٦] ، وانضم اليه خلق كثير ،

---

(١) البغدادى : الفرق بين الفرق ص ٢٤٤٠

(٢) دائرة المعارف الاسلامية، مادة (خرمية) ٠

(٣) المسعوذى : التنبيه والاشراف ص ٢٠٦ ٠البغدادى :الفرق بين الفرق ص ٢٥١-٢٥٢٠

(٤) انظر ابو عوض : الزندقة والزنادقة ، ص ١٢٩ ، ١٣٠٠

(٥) المقدسي :البدء والتاريخ ج٦ ص١١٤٠ابن الاثير : الكامل ج٥، ص١٨٤٠

(٦) الطبرى : تاريخ ، ج١٠ ، ص ٣٠٥٠

ومات المأمون قبل أن يقضي على هذه الحركة ،فاوصى اخاه المعتصم بالقضاء عليها ،الذى كلف قائده الافشين الذى قصى عليها بصعوبة سنة ٢٢٣ هـ ٠ وقد ظل اتباعه يكيدون ويتآمرون على الدولة سنين طويلة ويعتقدون بعقائد الفرس القديمة (١) .

وتبع بابك المازيار الذى كان واليا في عهد الخليفة المأمون على طبرستان ، وبدأت حركتة بأن قطع ما كان يرسلة من الخراج ، ثم أكره الناس على البيعة له ، فلما تم له ما ازاد امر بتخريب مدينة آمل ومدينة طميس واستباح أهلها ،ففر اهلها الى نيسابور فقام بهدم بجرجان (٢) ٠

كتب الخليفة المتعصم الى وزيرة عبد اللة بن طاهر بن الحسين ، فأرسل جيشا تحت قيادة محمد بن ابزاهيم بن مصعب ، فأوقع المازيار أسيرا ٠

وتعد هذه الحركة من أخطر حركات الزناذقة والشعوبية ، فقد قام بها معترفا بسلطة الخليفة ومتمتعا بثقتة ، فأستغل ذلك ، وأخذ بنشر دعوتة الخبيثة وهو آمن من بطش الدولة ، وكشفت هذه الحركة عن مؤامرة صاحبها الشعوبي الذى كان يهدف الى محو الديمن الاسلامي من البلاد الفارسية واعادة الدين الفارسي القديم (٣).

---

(١) زاهية قدورة : الشعوبية ص ١٤٦٠

(٢) الطبرى :تاريخ ج ١٠ص ٣٤٩-٣٥٢٠البغدادى : الفرق بين الفرق ص ٢٥١-٢٥٢٠

(٣) الطبرى : تاريخ ج ٩،ص ٣٤٢٠

(٤) زاهية قدورة : الشعوبية واثرها الاجتماعي والسياسي ص ١٤٧٠

مما تقدم اتضح لنا خطط الشعوبية الهدامة وصراعها الطويل مع العروبة والاسلام ، وذلك لهدم وتشويه، ومسخ رسالة الاسلام الانسانية، ومسفهين عقيدة الاسلام وحضارته ، ولم يكتفوا عند حد الطعن والتشنيع بل أخذوا يحيكون الخطط ويضعون التصاميم لبث الفرقة والشقاق بين العرب ليسهل فيما بعد عليهم امر الوثوب الى السلطة، فكانوا القلب النابض والرأس المفكر لكل ثورة قامت ضد دولة العرب [1] فحركة الشعوبية حركة عدائية عدوانية مضادة ذات طبيعة تعصبية عمياء ومقاصد تخريبية هدامة ، وتقوم في جوهرها على ناهضة العرب امة وشعبا ووطنا ودولة وحضارة ، ومحاربتهم محاربة شعواء لا هوادة فيها وتأليب الخصوم والاعداء والتواطؤ كليا لتمزيق العرب والمسلمين وتقويضهم ، والقضاء عليهم بكل الوسائل والادوات المتاحة [2].

مما سبق يمكن ان تلخص دور الشعوبية فى الامور التالية :ـ

١ـ بدأت الشعوبية على شكل مساجلات ادبية ، قام بها شعراء الموالي، وبخاصة من كان ينتمي لأُصلٍ فارسي ، بدأت بالاعتزاز بماضيهم وملوكهم وانتهت بتحقير العرب .

٢ـ دس الشعوبيين المثالب على العرب ، وأنطلقوا بها الرواة ، واختلقوا القصص للنيل من العرب .

---

(١) خيزالله طلفاح : الشعوبية عدو العرب الاول ،ص ١٧٠ـ ١٧١ .

(٢) اسماعيل العرفي : في الشعوبية ص ١٥ .

٣- اكثر رواة الشعوبيين من روايات الشعر الجاهلي التي تمدح ملوك الفرس لاعطاء صورة تبين مكانة العرب والفرس ٠

٤- تسلل الشعوبيون للفرق الدينية ، وأدخلوا بعض الاراء المجوسية البعيدة عن مبادئ الاسلام ٠

٥- اتخذ الشعوبيون من البدع ، وسيلة لهدم تراث الاسلام ٠

٦- نقل الشعوبيون تقاليد الفرس القائمة على الترف واللهو والافراط في الشرب والملذات للمترفين العرب لافسادهم من الناحية السلوكية ، وكذلك الاعياد القومية الفارسية ٠

٧- قام الشعوبيون بحركات معادية مسلحة ترمي الى تأسيس دول لاعادة الدولة الفارسية القادمة ، وتحمل في مضمونها هدم الدولة العربية الاسلامية ٠

القرامطـــة :ـ

لغــة مشتقــة من الفعــل قرمــط وتعني المتقــارب الخــط ، او المقاربــة بيـــن الشيئيــن [١] • ويقــول لويــس دى ســاسي تعني الغضــب ، العبس ، بينمـــــــا يــرى انسطــاس الكرملي مشتقــة من النبطي وتعني المدلس المكار [٢] •

تمهيـــد :

كانــت العــراق (الكوفــة والبصــرة خاصــة) في مستهــل القــرن الثانـــي للهجــرة ، مركــز التفاعــل الحضــارى ، ففيــه تفاعلــت الحضــارة والثقافـــة اليونانيــة (الافلاطونيــة الحديثــة) ، مع الثقافــة اليونانيــة مع الثقافـــة الاسلاميــة ، وهكــذا لم يلبــث الاســلام ان اصبــح خليطــا لمذاهــب وتخــل شــتى اثــر اتصالــه بالديانــات والعقائــد السائــدة كالصابئــة [٣] ، والمانويــة [٤] ، والزردشتيــة [٥] ، فــلا عجــب اذا وجــد مذهــب تناســخ الارواح [٦] ، ومذهــب الوصايــة [٧] ، نظريــة الحــق الالهــي في الحكــم [٨] ، وأخــذت هـــــده

---

(١) ابن منظور : لسان العرب مادة قرمط •

(٢) اسماعيل الصيرعلي : القرامطة ص ١٣٦ ، انظر اتعاظ الحنفا باخبار الائمة الفاطميين الخلفاء ، ص ٣٢٦ (من كتاب اطيار القرامطة تحقيق د• زكار) •

(٣) الصابئة : عبدة النجوم والكواكب •

(٤) المانوية : اتباع مذهب مالي وهو صاحب دين انتشر في بلاد فارس قبل الاسلام •

(٥) الزردشتية : اتباع مدهب زردشت وهو صاحب دين انتشر في بلاد فارس قبل الاسلام

(٦) تناسخ الارواح : وهو انتقال الروح من جسد الى اخر واول من قال بها عبدالله بن سبئا •

(٧) مذهب الوصابة : وهو ان الخلافة ليست من حق البشر ، ولكنها الهام من اللـــه تتم من الخليفة لمن بعده ومن دريته ، وهذه مقتبسة عن اليهودية

(٨) وهي نظرية فارسية في الحكم ، وهي أن الحاكم مفوّض من اللة وله الحق في حكم الناس •

المذاهب تنتشر بالرغم من مخالفتها جوهر العقيدة الاسلامية ٠

ومن هنا لا عجب ادا قامت مجموعة من الحركات السياسية والدينية متأثرة بالافكار التي كانت سائدة في المجتمع العباسي ٠

ولعل من أوائل الحركات المتأثرة بدلك :ـ

حركة الراوندية :ـ

الذين اخذوا ينادون بالخليفة أبي جعفر الهاً ، فقاومهم بشدة ورأى فيهم اعداء للدولة يحاولون القضاء عليها ، ولكن هؤلاء عادوا بالظهور ثانية بادعاء المقنع الخرساني الالوهية ، ثم ظهرت ثالثة ، في حركة بابك الخزمي في اواخر عهد المأمون وبداية عهد المعتصم ٠

البداية :ـ

ويهمنا في هذا المقام مذهب الوصاية الذى اخذ به الشيعة ، ومنهم الاسماعيلية ، وتشير المصادر التاريخية بوجود علاقات ما بين القرامطة والاسماعيلية من ناحية العقيدة الدينية ، وكذلك من الناحية السياسية والحربية ، فقد وجدت العلاقة بين الاسماعيلية وقرامطة العراق وبادية الشام (١) ٠

ويشير الرأى السائد ان القرامطة كانوا جزءا من الحركة الاسماعيلية حتى وفاة اسماعيل بن جعفر الصادق ، فنقلوا الامامة الى ابنة محمد، وتوقفوا عنده بعد مماته ، وانتظروا رجعتة باعتباره مهديا منتظرا ،

---

(١) سهيل زكار : اخبار القرامطة ، ص٣٦٠. فاروق عمر : التاريخ الاسلامي وفكر القرن العشرين ، ص ٢٦٧٠

وقد استطاع احد الدعاة الاسماعيلية • عبدالله بن ميمون القداح ان يكسب حمدان بن الاشعث الملقب بقرمط من أهالي احدى القرى المجاورة للكوفة الى الدعوة [1].

تدهورت العلاقة بين القرامطة والاسماعيلية حوالي النصف الاول من القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى)، بسبب وفاة الداعية الاسماعيلي في (السلمية)، وحصل الخلاف مع خلفة، بسبب النبرة الجديدة الموجهة في رسائلة الى حمدان، بتنكرة لفكرة مهدية محمد بن اسماعيل، وانما كانت مجرد شعار، والحقيقة ان الائمة هم من نسل عبدالله بن ميمون القداح، فجعل قرامطة العراق لم يعترفوا بذلك، وتبعهم بذلك، وتبعهم بذلك ابو سعيد الجنابي رئيس قرامطة البحرين، وبذلك انشق قرامطة العراق، والبحرين وأختلفوا مع الحركة الاسماعيلية عقائديا وسياسيا، فالعلاقة بينهما كانت علاقة مصالح وليست علاقة عقائد [2].

الحركة القرمطية في العراق :-

بشر حمدان قرمط بشعارات الخلاص وانقاذ المحرومين من وضعهم السيّ واغتصاب ثروة الاسياد والاغنياء وتوزيعها على اتباعه القرامطة، والتظاهر بالتشيع العلوى، وقد رفع القرامطة شعار : " ونريد ان نمن

---

(١) ثابت بن سنان : تاريخ اخبار القرامطة ص٩ (جمع وتحقيق د • سهيل زكار) من كتاب اطيار القرامطة •

(٢) فاروق عمر : التاريخ الاسلامي وفكر القرن العشرين، ص ٢٦٨•

على الذين استضعفوا في الارض ، ونجعلهم ائمة ونجعلهم الوارثين "[1].

وقد اعتبر الامام الغزالي هذه التعاليم جزء من تعاليم الاسماعيلية الباطنية ،من اجل اقامة قاعدة محصنة في سواد العراق[2] . والشعار الذى رفعة القرامطة رفعتة حركات عديدة سبقتهم ،لكن القرامطة لم يتوقفوا عند هذا الحد بل ان أحد دعاتهم صرح قائلا : أمرت أن ادعو اهل هذه القرية من الجهل الى العلم ، ومن الضلال الى الهدى ،ومن الشقاوة الى السعادة ، واستنقاذهم من ورطان الذول والفقر ، وأملكهم مالا يستغنون بة من التعب والكد[3].

لقد استجاب العديد من فلاحي السواد لحمدان قرمط ، ولكنة لم يحصل على عضد قوى من البدو والاعراب في الصحراء الغربية للعراق ، ونجحت الحركة في البداية ، ففرض حمدان ضريبة مقدارها ٢٠٪ على دخل الفرد وطبق بحذافيرة من قبل حمدان وادارته ، وسمي نظام الجباية " نظام الالفة " ولم يقدر لقرامطة العراق ان يعيشوا طويلا لكي يضعوا مبادئهم موضع التنفيذ[4].

فلم تستمر الحركة اكثر من عشر سنوات (٢٧٧-٢٨٨هـ/ ١٨٩٠-٩٠١م) ، فلقد نظرت اليه السلطة المركزية في بغداد باستهانة ، ولكنها عندما

---

(١) سورة القصص، اية ٥ .

(٢) الغزالي : فضائح الباطنية، ص ١٧٢ (تحقيق د. عبدالرحمن بدوى . القاهرة الدار القومية ١٩٦٤ .

(٣) ابن الجوزى : المنتظم ج٥، ص ١١٣ .

(٤) فاروق عمر : التاريخ الاسلامي، ص ٢٦٩ .

شعرت بخطورتها دعمت احمد الطائي الذى اقطع الارض ـ فسحق هذه الحركة دون مشقة كبيرة حيث انتهى أثر قرامطة العراق[1] ٠

قرامطة سوريا :-

غادر زكرويه السواد في العراق لاختلافه فكريا ، وبقي يتنقل متخفيا مدة عامين بين القبائل العربية في سوريا (٢٨٦ ـ ٢٨٨هـ) وقام بحيى بن زكروية ، والقاسم بن احمد بالدعوة الى الثورة التي تقوم على اساس السيادة والحرية والشورى ، فلاقت استجابة لدى معتنقي الافكار الاسماعيلية في القرى والمدن والبوادى ، وساروا في ركابه لفتح البلدان والامصار ٠

لم يخف ما جرى في سوريا على : شبل الديملي مولى المعتضد العباسي وعامله في سوريا ، فألف جيشا جرارا سنة ٢٨٩ هـ ، وقصد محاربة القرامطة ، ولكن القرامطة فاجؤوه وتمكنوا من هزيمة الجيش العباسي من الجولة الاولى ، فتوجهوا الى الشام يقتلون كل ما يعترضهم ، ويفتحون القرى والبلدان حتى وصلوا الى اطراف دمشق ، فخرج واليها (دمشق) طغج بن جف من قبل هارون بن خمارويه ، وحاول ردهم ، ولكنهم هزموه[2] ، فالتجأ الى قلعة دمشق وبقى محصورا نحو سبعة اشهر ٠

والجدير بالذكر ان بن زكروية كان يقاتل من على الناقة ، فسمي صاحب الناقة ٠، وقد قتل هذا في معركة طاحنة عندما أرسل هارون

---

(١) الطبرى : تاريخ الطبرى ، ج ١٠ ، ز ص ٢٣٢٠

(٢) ثابت بن سنان : اخبار القرامطة ج ١٧ (تحقيق د٠ زكار) بغية الطلب في تاريخ حلب ، ص ٢٩٠٠ اتعاظ الحنفا باخبار الائمة الفاطميين الخلفاء ص ٣٤٥ (من كتاب اخبار القرامطة تحقيق سهيل زكار) ٠

بن بدر الحمامي غلام ابن طولان الذى انضم اليه طغج بن جف والي دمشق .

بايع قرامطة سوريا الحسن بن زكروية " صاحب الشامة " فنظموا انفسهم من جديد في مناطق العشائر السورية ، واتجهوا نحو الجزيرة الفراتية ، ففتحوا الرقة ومنها الى حلب ، وحماة وحمص [1] ، ثم توجهوا نحو دمشق ، فالتقى بهم ابو الانصر السلمي من قبل الخليفة العباسي المكتفي ولكنه هزم ، فخطب للحسن بنزكروية على منابر المعرّة وحماة ودمشق حيث استقر فيها ولكن اهالي دمشق ارتفعت اصواتهم بالاجماع ، وارسلت الرسائل الى الخليفة العباسي المكتفي مما اصاب الناس على يد القرامطة ، فأرسل الخليفة جيشا بقيادة محمد بن سليمان سنة ٢٩١ هـ ، فهزم القرامطة هزيمة قاسية ، وهرب الحسن مع غلام رومي الى الكوفة حيث القى علية القبض وصُلب [2] .

قرامطة البحرين :-

ظهرت الحركة القرامطية في البحرين بزعامة أبي سعيد الجنابي [3] ، وعلى الرغم من ان الجنابي لم يكن عربيا ، فقد ولد في بلاد فارس الا انه كان عربيا في بيئتة وثقلفتعة ، فقد تمكن ان ينظم القبائل العربية والبدو شرقي جزيرة العرب على شكل جيش منسق ، وأسس قاعدة حربية في هجر والاحساء هددت سلطة الخلافة العباسية في البصرة وجنوب العراق ، مما يدل على انة كان يتمتع بقدرات عسكرية وتنظيمية فاقت

---

(١) بغية الطلب في تاريخ حلب ص ٢٧٥ (تحقيق د ،زكار) من كتاب اخبار القرامطة .

(٢) ثابت بن سنان : تاريخ اخبار القرامطة ، ص ٢٣ ،

(٣) بندلي الجوزى :من تاريخ الحركات الفكرية في الاسلام ،ص ١٥٩ فاروق عمر :التاريخ الاسلامي ص ٢٧٠ .

قدرات حمدان ، رغم من قلة ثقافتة عنة، [1] واستجابة لنداءات ولاة العباسيين في الخليج العربي ارسل الخليفة المعتضد سنة ٢٧٨هـ / ٨٩١م حملة من (٢٠٠٠) مقاتل دحروا أبا سعيد الجنابي ومن معه بسهولة [2] .

ثم مر على الحركة القرمطية في البحرين عقدين من الهدوء والسكينة الا انه في هذ الفترة حصل تغير في القيادة ، فقد قتل الزعيم حسن الجنابي سنة ٣٠١هـ / ٩٠٣ وتولى من بعده ابنة سعيد الا ان هذا اقصي عن الحكم وحل محلة اخوة الاصغر سليمان الذى استطاع ان يعطي الحركة القرمطية حياة جديدة من الفعالية والنشاط رغم انه لم يتجاوز السابعة عشرة من عمره .

جهز سليمان جيشا قوامه (١٧٠٠) رجلا فزحف نحو البصرة وأحتلها ، ومنها الى الاحساء فاحتلها ايضا ، ٠ ثم هاجم قافلة الحجيج في طريق عودتها الى بغداد فنهبها وأسر بعض رجالاتها [3] ، وازدادت قوتة ومكانتة بحيث انة في سنة ٣١٥هـ/٩٢٧ اخذ يهدد بغداد .

وفي سنة ٣١٧/٣١٦هـ رحل بجيشة الى مكة ، فنهب الحجر الاسود الى الكوفة ، وهاجم سنة ٣٣٠ بغداد ولكنه لم يتمكن منها [4] ، ولما بلغ الخليفة الفاطمي المهدى عبدالله انكر فعله ولامة ولعنة وأمره

---

(١) بندلي الجوزى : من تاريخ الحركات الفكرية في الاسلام ، ص ١٥٩ .

فاروق عمر : التاريخ الاسلامي ص ٢٧٠ .

(٢) ثابت المصدر نفسه ص ١٦ .

(٣) مسكوية : تجارب الامم ج ١ ، ص ١٢٠ ، ١٢١ .

(٤) ثابت بن سنان : اخبار القرامطة ص ٥٣ (من كتاب اخبار القرامطة تحقيق د . زكار)

برد الحجر الاسود والاكان بينهما السيف ، فرده .

ولعل عملية نهب الحجر الاسور لم تكن مدفوعة بدوافع دينية بل بدافع مصلحية واقتصادية ، فهي احتجاج القرامطة بكل وضوع على استغلال موسم الحج من قبل التجار والموسرين لغرض التجارة التي كانت تدر عليهم أرباحا طائلة وكان القرامطة محرومين منها ، وبمعنى آخر قرر القرامطة نهب الججر الاسود وايقاف الحج ومهاجمة قوافله حتى تتوصل السلطة في بغداد الى تفاهم معهم من اجل اشراكهم في ارباح تجارة موسم الحج وفي المنافع المتأتية منه [1] .

ومهما كانت الدوافع والاسباب ، فهي لا تجوز بأي حال من الاحوال لانهم بعملهم ارتكبوا عدة محرمات ، فهم حالوا بين الناس وبين احد اركان الاسلام وهو الحج ، وازهقوا ارواحا بريئة ، وهدموا جزءا من الكعبة واخرجوا الحجر الاسود ، وسرقوه ، وكل واحدة من هذه الافعال كافية لان تخرجهم من دائرة الايمان وتتهمهم بالزندقة الدينية .

ولم تكن خطة قرامطة البحرين في تحقيق مكاسب مادية مقتصرة على قوافل الحج ، ولكنها امتدت فشملت تجارة الخليج العربي والقوافل السائرة عبر طريق بادية الشام والجزيرة العربية ، واستطاعوا احتلال عمان ، وسيطروا على الساحل الغربي للخليج ، وبدأوا بمحاولة تأسيس قواعد لهم على الساحل الشرقي للخليج ، وما هجماتهم على البصرة الاّ لصرف تجارتها الى موانئ الخليج التي تحتت سيطرتهم+ .

---

(1) فاروق عمر : التاريخ الاسلامي ، ص ٢٧٢ ، ٢٧٣ .

القرامطة في اليمن :-

أرسل احد دعاة القرامطة المعروف باسم " ابو الفوارس " وهو من كبار الدعاة في الكوفة ابنه الى اليمن ٠ وسار الصناديقي القرمطي الى اليمن ايضا فدخل من اثر ذلك في الحركة القرمطية خلق كثير (١) ، فقام الصناديقي ففتح الاقاليم حتى تمكن من اجلاء السلطان ، وقاتل " القاسم بن احمد بن يحي الهادى ، وأزالة عن صعده ، وبينما كان الجيش القرمطي يتوسع ويقوم باتمام مهمته ، أصيب معظم الجيش بالبرد والثلج فهلك معظمه ، ومات اكثرة ومنهم زعيمهم الصناديقي بعد ان احتل قرى ومدنا كثيرة (١) فسلم ابنة شؤون الدعوة ولكنه هلك أخيرا ٠

وجاء الى الكوفة من قرامطة الكوفة علي بن زكروية " صاحب الخال " الذى جمع صفوف القرامظة ولكنه توفي قبل ان يستطيع اتمام رسالتة كاملة ٠

واليمن بسبب بعدها عن بغداد ، لم تجمعها الوحدة السياسية في دلك الوقت ، وذلك عائد للمنافسات الداخلية والاختلافات المذهبية، فكانت الولايات شبة مستقلة عن الدولة العباسية اداريا وسياسيا ، ولكنها لم تستطع الاستقلال عنة دينيا ، لان الولاة كانوا لا يستغنون عن بيعة الخليفة لتثبيت سلطاتهم ٠ ففي سنة ٢٦٨ هكان في البلاد

---

(١) عارف تامر : القرامطة ص ١٣٩٠

(٢) اتعاظ الحنفا بأخبار الائمة الفاطميين الخلفاء: ص ٣٤٠ تحقيق د ٠سهيل زكار (من كتاب اخبار القرامطة) ٠

اربع ولايات : الدولة الزيادية في زبيد ، ودولة بني الرس في صعدة، ودولة الاسماعيلية تحت قيادة منصور اليمن ودولة بن يعفر في صنعاء وقد ادى هذا الاضطراب السياسي الى نزاع بين الولايات بل بين زعماء كل ولاية ٠

وقد أدى هذا الاضطراب السياسي الى نزاع بين الولايات مما مهد لقيام دولة سنة ٢٦٨ على يد منصور اليمن وزميله علي بن الفضل وكان علي بن الفضل قد وصل مكة من الكوفة لاداء فريضة الحج ، فاستلمه دعاة الفاطميين واستمالوه الى دعوتهم ، وهو الذى تولى ارسال الداعيين منصور وعلي ، واخذ عليهما المواثيق والعقود وزودوهما بالارشادات ، ومن وصاياه الاستتار والاعتماد على التأويل والفلسفة ، واوصاه بعلي بن الفضل بقوله : " ان هذا الرجل الذى بعثته معك بحر علم، فأنظر كيف تصحبه " ٠

وبعد عامين من وصول الداعيين الى اليمن ، أصبح لكل منهما جماعة كبيرة تخلص له اشد الاخلاص ، وقد هم كل منهما الحصول على الاموال لتنفيذ الاغراض وللدفاع عن اتباعه ، فأصدر منصور اليمن أوامره حسب الطريقة المتبعة ، وطبق الاشتراكية بين الجماعات المنتسبة الى الدعوة ، وكذلك فعل ابن الفضل (١) ٠

وتمكنا من الاستيلاء على تهامة وزبيد وصنعاء والاقاليم التي تحيط بهما ٠

وحصل سوء فهم بين الصديقين فبعد ان كانا معا ويسيران معا

---

(١) عارف تامر : القرامطة ، ص ١٤٢ ٠

بتوجيه من الفاطميين ، أعلن أبو الفضل الاستقلال والتنكر للفاطميين بعد ان وجد الامام عبيد الله المهدى يوثر زميله المنصور ويقدمه ويخصه بالاوامر والرسائل ، وبخاصة انه اصبح صاحب الفتوحات الكبيرة ، وكان على اتصال بقرامطة البحرين بقيادة ابي سعيد الجنابي ، فطلب من صديقه ورفيق دربه الانضواء تحت لواء دعوته والاّ بادره بالحرب ، فكان لا بد من القتال بينهما سنة ٢٩٩هـ ، وأخيرا وبصعوبة تغلب ابن الفضل بعد ثمانية اشهر ، ولكن ابن الفضل قتل مسموما سنة ٣٠٣هـ نتيجة اتفاق بين الامير اسعد بن ابي يعفر مع احد الاطباء ، وبعد وفاة علي بن الفضل اجتاح الامير اسعد منطقة القرامطة ، بعد ان قضى على اولاده ودعاة القرامطة فقتلهم في صنعاء (١) .

الحركة الرمطية في فارس والسند :

وتأخذ الحركة القرمطية في هذين المصريين طابعا مخالفا لما مرّ ذكره ، فقد اتسمت في كليهما بالصفة الثقافية .

ففي بلاد فارس ، انتشرت دعوة القرامطة في عامة البقاع ، ولكنها لم تكن منتشرة بحيث يصبح اصحابها الاغلبية ، ولكنهم بقوا اقلية وسط اكثرية سنية ولكن وجدنا لها انصار عديدون ، وعلماء اجلاء وفلاسفة امجاد لعبوا دورا في الفكر الاسلامي امثال : ابو حاتم الرازى ، وأبو يعقوب السجستاني وغيرهم الذين اعتمدوا على الفلسفة وسيلة الاقناع ،

---

(١) عارف تامر : القرامطة ، ص ١٤٢ .

(٢) عارف تامر : القرامطة ، ص ١٥٠ .

فكان لهم مع علماء السنة مناقشات جادة .

وقد حاول هؤلاء العلماء أن يجذبوا اهل السلطة لجانبهم ، فنرى الداعي النسفي يجذب الى دعوته نصر بن احمد السامانى (٣٠٢ هـ - ٣٢٩هـ) وكذلك مرداويخ الديلمي امير طبرطستان ، ويوسف بن ابي الساج امير اذربيجان ، قد ارسل الاموال والمساعدات الى السلمية، وبذلك تحول قرامطة فارس من الدفاع عن الدعوة بالعلم واللسان ، مما ادى الى النهوض بالفكر الاسلامي (١) .

أما السند :-

فيبدوا ان دخول القرامطة قد بدأ حوالي سنة ٢٧٠ هـ ، حينما أرسل منصور اليمن ابن اخيه الهيثم داعية فاستقر في ملتان ، وقام بتنظيم الحركة بعد ان بذر مبادئها . وتولى شؤون الحركة بعد الهيثم " جلم بن شيبان " الذى بقي على علاقة جيدة مع الفاطميين ودعاتهم ، وفي عهده وفد الداعي المقدسي (سنة ٢٧٥ هـ) واقام في ملتان فنظم شؤون الدعوة واكتسب عطف الجماهير ، ويبدو ان المقدسي قد عاد الى مصر ، فسلم شؤون الدعوة العامة الى :
حميد بن جلم الشيباني ، ثن تسلم من بعده ابنه أبو الفتوح الذى قبض علية محمود بن سبكتكين الغزنوي ، وسجنة حتى مات ، وبذلك تعرضت الحركة القرمطية الى عهد التقوقع (٢) .

---

(١) عارف تامر : القرامطة ، ص ١٥٠ .

(٢) عارف تامر : القرامطة ، ص ١٥٢ .

تقويم الحركة :ـ

انقسم الباحثون حول الحركة ، فمنهم من تحمس للحركة كثيرا ورأى فيها انها تجسيد للمقهورين والمضطهدون المعوزين [1] وأنها جاءت لهدم المجتمعات الفاسدة واقامة المجتمعات الافضل [2] وبالتالي لاحتضان الجماهير الفقيرة المحرومة والمطرودة [3] ، وقد اتبعت في ذلك اساليب متنوعة حتى الوسائل الشيطانية والتقوى حينا والاستهتار حينا اخر لتحقيق اهدافها [4] ، فقضوا على سنن الاديان القديمة وجاهروا بأنهم أعلى من ان ينقادوا لهذه الطبقات السفلى [5] .

والملاحظ ان بعضاً من الانحراف قد ألم ببعض الكتابات ، فقد أراد بعض الكتاب تشبيه حركة القرامطة ببعض الحركات في عصرنا ، وأعطى من الافكار والمضامين المعاصرة وألبست للحركة وحملها اكثر من طاقتها .

وأن أبسط قواعد البحث التاريخي يتطلب من الباحث الالتزام بالتعليل التاريخي حسب معطيات عصر الحادثة ، وليست حسب رغبة الكاتب ، والاّ أين الموضوعية ، كما يتطلب ايضا التقصي في العمل بالتفتيش عن المصادر المهملة لتقديم رؤى جديدة تطابق الواقع

---

(١) مصطفى غالب : القرامطة بين المد والجزر ص ٧٢٦؛

(٢) عارف تامر : القرامطة ص ١٦٠ .

(٣) اسماعيل المير علي : القرامطة ، ص ٥٢ .

(٤) دى خوية : القرامطة ، ص ١١ ـ ١٢ .

(٥) بندلي الجوزى : الحركات الفكرية في الاسلام ، ص ٢١٠ .

آنئـد لمعرفـة الماضـي بشكـل دقيـق ٠

وحسبنـا قـول الباحـث الدكتـور فاروق عمـر قولـه : لـم يكـن القرامطـة في سياستهـم مثاليين كمـا يحـاول البعـض تصويرهـم ،فقـد اعتمـدوا علـى التهديـد والنهـب ، وشجعـوا المشاعـر الاقليميـة ، وانتهكـوا حرمـات تعتبرهـا الجماعـة الاسلاميـة مقدسـة ،كقتـل الحجـاج والقائهـم فـي زمـزم [1] .

---

(١) فاروق عمر : التاريخ الاسلامي وفكر القرن العشرين ، ص ٢٨٣ ٠

الفصل الثامن

إنقسام وحدة الخلافة ونشوء الدويلات

- الدولة الأموية في الأندلس
- الدولة الفاطمية
- دولة الاغالبة في المغرب
- الطولونيون في مصر

الامويون في الاندلس :-(١٣٨هـ-٤١٨هـ / ٧٥٦-١٠٢٧م)

انفصلت الاندلس عن العالم الاسلامي الذى خضع لسلطان العباسيين منذ قيام الدولة العباسية سنة ١٣٢ هـ، ولكن هذه البلاد ظلت تعاني من الاضطرابات الداخلية بين القبائل اليمنية والمعرية حتى استطاع عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبدالملك دخولها ويعيد لها الامن والاستقرار واسس فيها الدولة الاموية التي اصبحت مركز اشعاع للحضارة العربية الاسلامية في اوروبا .

عبدالرحمن الداخل :-(١٣٨ - ١٧٢ هـ/ ٧٥٦ - ٧٨٨م) :

حكم عبد الرحمن مدة ثلاث وثلاثين سنة قضاها في كفاح مستمر ضد العناصر والاحزاب المناوئة لحكمه، وقد قامت خطته ضدهم بملاقاة خصومه منفردين مما اتاح لة الانتصار عليهم.

وكان من المعارضين لامارتة اصحاب السلطان القديم في الاندلس امثال : يوسف الفهرى والصميل بن حاتم ، ففي سنة ١٤٢ هـ / ٧٥٩ م اعلن الفهرى بايعاز من ابن حاتم العصيان وفر من قرطبة الى ماردة حيث جمع جيشا كبيرا من البربر لغزو قرطبة فاعتقل عبدالرحمن الصميل بتهمة التآمر ، وانتهى الصراع بهزيمة يوسف وفراره ثم مقتله بيد احد اعوانة ، ثم تخلص من الصميل بن حاتم بان دس له من خنقه في سجنه . وبذلك قضي عبد الرحمن على خصمية لتنعم البلاد ولكن الخلافة العباسية في بغداد لم تترك عبدالرحمن وشعب الاندلس

ينعم بهذا الهدوء طويلا اذ كتب الخليفة ابو جعفر المنصور الى زعيم باجة في غرب الاندلس العلاء بن المغيث الجذامي بامرة الاندلس اذا انتصر على عبدالرحمن ٠ اخذ العلاء يدعوا الناس سرا الى طاعة المنصور ، واستطاع ان يضم اليه الهيبة الذين خاب ظنهم في الوصول الى السلطان ٠

وقام العلاء بثورة في باجة سنة ١٤٧ هـ ولكن عبدالرحمن استطاع القضاء على ثورتة وقتل العلاء وارسل الى المنصور ، فقال (الحمد لله الذى جعل بيني وبين هذا الشيطان بحرا) ٠ (١)

وكان لهذه الحادثة الاثر الكبير على المنصور ، مما جعله لا يفكر بمحاولة اخرى واطلق المنصور على عبدالرحمن الداخل صقر قريش (٢) .

ثم ما لبث ان ثار سلمان بن يقظان الكلبي في برشلونة ، والحسين بن يحيى الانصارى في سرقسطة وتحالفا مع شارلمان سنة ١٦١ هـ / ٧٧٨ م الدى قام بحملة عسكرية ضد امارة الاندلس ، ولما وصل الى سرقسطة وجد المدينة مغلقة الابواب وان الانصارى قد عزل ، وتولى ولديه بدلا منه (٣) وانسحب شارلمان اثر ورود اخبار تمرد بلاده (٤) .

لكن المتآمرين اشتبكا مع بعض فسقط الكلبي قتيلا بتدبير من الانصارى الدى توجه اليه الامير الاموى في سرقاة حيث عضى علية ١٦٦هـ / ٧٨٢م (٥) .

---

(١) ابن عدارى : بيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب ج ٣ ، ص ٥٣ـ٥٥٠

(٢) ابن عبد ربه : العقد الفريد ج ٣ ص ٢٠١ ـ ٢٠٢٠

(٣) عنان : دولة الاسلام في الاندلس ج ١ ص ١٧٦٠

(٤) ذوزى : تاريخ مسلمي الاندلس ص ٢٣٠٠

(٥) دوزى : تاريخ مسلمي الاندلس ص ٢٣١

وهكذا قدر لهذا الامير الاموى ان يحقق طموحه الكبير فانتصر على العقبات وتربع فوق السلطة ٠

حضارة الاندلس في عهده:ـ

قضى عبدالرحمن الداخل على التفكك السياسي ووحد البلاد وخلق دولة موحدة تتمتع باجهزة مدنية لاول مرة في تاريخ اسبانيا العربية ٠

جعل الامير قرطبة مركزا لجهاز الادارة ، وقسم البلاد الى مقاطعات جعل لكل مقاطعة حاكما يحكم باسمه (١) .

وقد سقطت قرطبة في عهد الداخل لاهتمامه بها ، ولعل اهم النواحي المعمارية بناء جامع قرطبة الذى بدأ في بنائة سنة ١٦٩ هـ / ٧٨٥ م ، ويلاحظ فيه الموثرات الشامية المقتبسة من المسجد الاموى بدمشق كالعقود المزدوجة وان كانت عقود قرطبة اكثر جودة وروعة ، ولا يزال المسجد من اعظم مساجد العالم (٢) . وقصر الرصافة الذى بناه على سفح جبل قرطبة ، مقلدا جدة هشام بن عبدالملك الذى بني قصرا الرصافة خارج دمشق ٠

هذا بالاضافة الى قصر الذى بناة مجاورا للمسجد الكبير على ضفة الوادى الكبير ثم امر عبد الرحمن باحضار اشجار النخيل وزرع بعضها في حديقة قصره ٠

---

(١) ابراهيم بيضون : الدولة العربية في اسبانيا ص ٢١٤٠

(٢) احمد العبادى : تاريخ المغرب والاندلس ص ١١٣٠

هشام الاول :ـ(١٧٢ ـ ١٨٠هـ / ٧٨٨ـ٧٩٦م) :

حرص عبد الرحمن الداخل على ان يكون خليفته اكفأ ابنائه لكثرة اعدائه المتربصين للدولة فاختار متخطيا ابنه الاكبر سليمان بعد ان دربه على فنون السياسة والحرب اثناء حياته فوضعه اميرا على ماردة .

كان هشام حاكما ورعا تقيا محبا للحق والعدالة لصالح امته ، فقضى مدة حكمه في الصلاح والتقوى والجهاد في سبيل الله ، وقد اتخذ الخليفة عمر بن عبدالعزيز نموذجا له فقد اوى المضطهدين وارسل الوعاظ والدعاة للامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فلقب بالرضا [(١)] .

وتسامح هشام مع اهل الذمة ، فاذن لهم بإنشاء المدارس والمعابد واستعمل عددا منهم في وظائف الدولة .

حروبه :ـ

لقد اخمد هشام ثورتين يمنيتين قامتا في نواحي سرقطة وبرشلونة وكانت الاولى بزعامة سعيد بن الحسين بن يحيى الانصارى والثانية بقيادة مطروح بن سليمان بن يقطان .

ثم اندفع بعد ذلك الى محاربة المسيحيين في الشمال فحارب الاسبان في ولاية اشتوريش شمال غرب اسبانيا ، كما ارسل حملة الى جنوب فرنسا

---

(١) Lane pole: The Arab in Spain , P . 61,62

فحقق انتصارات باهرة عادت علية بغنائم كثيرة [1] صرفها في توسيع مجد قرطبة ، واعاد بناء الجسر القديم الممتد على الوادى الكبير الذى يربط العاصمة باراضيها الجنوبية ٠

عبدالرحمن الناصر : (٣٠٠-٣٥٠هـ/ ٩١٢-٩٦١م)

يعتبر عبدالرحمن الناصر المؤسس الثاني للدولة الاموية في الاندلس، فهو باني عظمتها الحقيقية والمساهم الرئيسي في ابراز شخصيتها المستقلة وقد بدأ حكمة باصدار منشور عام للثوار يعدهم فية بالوعود الطيبة من مال وسلطان اذا عادوا الى الجماعة والطاعة ، وهدد من لم يستجب بالحرب والتشريد [2] فقضى علي جميع الثورات وعلى المتآمرين والمتمردين فسلم له البربر والعرب ولم يبق امامه سوى اقلية صغيرة تتمثل في بني حفصون وقرر الامير القضاء علية وأخيرا حينما ادرك ابن حفصون ان لا سبيل للمقاومة اعلن ولاءة وطاعتة للامير وقام بزيارة قرطبة سنة ٣٠٣هـ / ٩٠٦م٠

وكان ؤي امس الحاجة لرفع مكانته الدينية والسياسية ، فكان يرى في لقب الخلافة حق لبني امية ، وترك هذا اللقب حق اضعناه اسما وثابتا اسقطناه فلقب نفسه خليفة للمسلمين [3] .

---

(١) ابن الاثير : حوادث سنة ١٧٩م٠

(٢) المقرى : نفح الطيب ج ١ ص ١٦٦٠

(٣) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ج ٤ ص ١٢٢٠

سياسته الخارجية :-

الخطر الفاطمي :

شعر الناصر بالخطر الحقيقي لقوة الفاطميين حينما قاموا بهجوم مفاجئ على قاعدة الاسطول الاموى في الاندلس محدثة فيه اضرار جسيمة (١) فانشأ الناصر اسطولا قويا واستطاع ان يحقق الانتصارات على الاسطول الفاطمي ويبسط نفوذه على سواحل افريقية الغربية " (سبتة وطنجة) وظل هذا الساحل منفردا بولائه للاندلس (٢) .

الدويلات المسيحية :-

تجمعت فلول القوط في اقليم جليقيا في اقصى الشمال الغربي من اسبانيا بعد سقوطها بايدى العرب المسلمين منذ الفتح ، ومن هذه المنطقة انطلقت فكرة القضاء على الحكم العربي الاسلامي في الاندلس .

بدأت الحرب بين الاسبان والمسلمين باغارة اردون الثاني على الاندلس وقد حققت تقدما في البداية مما اثار الحماسة في نفس ملكي ليون ونافار فسيرا جيوشهما نحو **طليطلة** ، فقابلهم الناصر بجيش تحت قيادته سنة ٣٠٨ هـ فحقق انتصاراً باهرا وانتهت المعركة بهزيمة شانجة ملك شافار وموت اردون ، ملك ليون ، الا ان الحملات من

---

(١) ابراهيم بيضون : الدولة العربية في اسبانيا ص ٣٠٤ .

(٢) ابن غداري : البيان المغرب ج ٢ ص ٣٠٧ - ٣١٧ .

هزم من قبل راميرو الثاني سنة ٣٢٧هـ / ٩٢٩م٠ في معركة الخندق ،الا ان الحملات من جانب الناصر كانت كافية لردع اية محاولة توسعية من قبل الاسبان واستطاع الناصر بعد وفاة راميرو من فتح صفحة جديدة من العلاقات الودية ٠

الخطر النورماندى :-

استطاع الاسطول الاندلسي ان يرد الاعتداءات التي قام بها النورمانديون سنة ٢٤٥هـ و ٢٤٧هـ بعد تكبيدهم خسائر فادحة ويعود الفضل لهذا الاسطول والمستوى الحربي الذى وصل اليه الى جمع كبير هزم النورمانديين وأوقفهم عند حدهم (١).

العلاقات الدبلوماسية مع ملوك اوروبا :-

لقد استطاع الناصر ان يجعل من قرطبة جوهرة العصر يؤمها طلاب العلم وتتنافس الدول نحوها واصبح الناصر موضع اعجاب وتقدير الشخصيات المعاصرة التي سعت الى صداقته واقامة علاقات ودية معه (٢).

لم تقتصر علاقات الناصر الدبلوماسية على ملوك شمال اسبانيا بل تعداهم الى ملوك اوروبا فتبادل معهم الهدايا ومن بينهم قسطنطين السابع (٩٠٥ - ٩٠٩) واوتو الكبير امبراطور الدولة الرومانية

---

(١) ابن العبادي : تاريخ المغرب والاندلس ص ٢١٤٠

(٢) بيضون : تاريخ الدولة العربية في اسبانية ص ٣٠٧٠

المقدسة [1] .

الحضارة في عهده :-

١- بناء مدينة الزهراء على بعد ثماني كيلومترات شمال غرب قرطبة على سفح جبل العروس وقد شرع في بنائها سنة ٣٢٥هـ تحت اشراف ولي عهده الحكم وقد استنفذت ابراد سبعة عشرة عاما ولم يتم بناءها الا بعد اربعين سنة .

٢- بناء مدينة سالم شمال مدريد بنحو ١٥٣ كم على طريق بين مدريد وسرقسطة .

٣- اقامة صومعة (مئذنة) في مسجد قرطبة سنة ٣٤٠ هـ وكان ارتفاع الصومعة اربعين ذراعا [2]

٤- غصت مكتبات الاندلس بألاف المخطوطات النفيسة والقيمة والمترجمة وعجت اروقة مساجدها وقصورها بنخبة من العلماء والشعراء والمثقفين .

---

(١) المقرى : نفح الطيب ج ١، ص ٢٢٤ .

(٢) العبادى : تاريخ المغرب والاندلس ص ٢٣٢٣ .

الحكم الثاني : (٣٥٠-٣٦٦/ ٩٦١-٩٧٦م) :-

اهتم والد الناصر بتنشئتة ليؤهله لقيادة البلاد ، فوكل تعليمه الى احد مشاهير عصره وهو أبو علي القالي وأشركه معه اثناء حياته في حروبة وادارة الدولة ٠

تولى الحكم والبلاد في حالة استقرار ، فلم يجرؤ احد التمرد عليه ، سوى المسيحيين في الشمال الذين ظهر عليهم النكث بالعهود ، ولكن سرعان ما اخضعهم فاستسلموا له، وسلمو الحصون المنيعة (١) .

كان الحاكم شغوفا بالعلم ، محبا للقراءة ، واسع الاطلاع ، فجمع كثيرا من الكتب حتى امتلأت خزائنه بالكتب القيمة التي زاد عددها على أربعمائة ألف كتاب ، وأقام للعلم والعلماء سوقا جلب اليه بضائعه من كل قطر (٢) .

وبلغ من اهتمامه انة كان اذا ظهر كتاب جديد بعث الى صاحبه ، ويحدثنا ابن خلدون : ان الحاكم اول من اشترى كتاب الاغاني بألف دينار ذهب قبل أن يعرف بالعراق (٣) .

هشام الثاني : (٣٦٦-٣٩٩/ ٩٧٦-١٠٠٩م) :

توفي والده وهو في العاشرة من عمره ، فقام الحاجب المنصور محمد

(١) المقرى : نفح الطيب ج ١ ص ١٨٨ ٠

(٢) المقرى : نفح الطيب ج ١ ص ١٨٢ ٠

(٣) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ج ٤ ص ١٤٤ ٠

بن عبدالله بن أبي عامر القحطاني بالوصاية عليه الى جانب امه (صبح) والوزير جعفر المصحفي وقائد الجيش غالب بن عبدالرحمن ٠

كان محمد بن أبي عامر طموحا ذكيا عالي الهمة مما اهله ان يصبح صاحب النفوذ والسلطة ، وقد تم ذلك بعد ان كسب ثقة الجيش بمقدرته ومهارته العسكرية ، فقد قاد الحملات ضد نصارى الشمال بنفسه ، فحبب الجنود به وساعدوه في تحقيق اهدافه بالتخلص من مناوئيه الوزير وقائد الجيش ، فأوقع بينهما ، ثم اتهم المصحفي بالخيانة والسرقة ، فسجنة حتى مات ٠

أما غالب بن عبد الرحمن فقد استعان بقائد البربر جعفر بن احمد بن حمدون فاستطاع أن يتخلص منهما ٠ وبذلك دانت له كل الامور، ونفذت الكتب والاوامر باسمه ، وأمر بالدعاء له على المنابر بعد الدعاء للخليفة ، وتسمى بالحاجب المنصور سنة ٣٧١هـ/ ٩٨١م٠

قام الحاجب بكل اعباء الدولة فلم يكن للخليفة الا اللقب ، وبنى قصرا أسماه الزاهرة على ضفة الوادي الكبير ، وأوجد سبل الماء العديد لسقاية الناس ، ونقش اسمه على العملة ٠

ويمتاز الحاجب بحبه للعلوم والاداب ، فخصص يوما في كل اسبوع يجتمع فيه العلماء للمناظرة في حضرته (١) وتوفي الحاجب المنصور سنة ٣٩٣ هـ ، وخلفه في الحجابة ابنه عبدالملك مدة سبع سنين ولما مات تولى اخوه عبدالرحمن الذى لم يكن بمستواهما ٠

---

(١) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسي ج ٣ ص ١٨١٠

وأصبح خلفاء بني أمية دمى تحركها القوى المضطربة فنشأ حكم الاسر والطوائف • وتعتبر هذه الفترة فترة فوضى وهزائم وانحلال وتفكك للدولة ، وأصبحت الاندلس تحكم من قبل حوالي عشرين اسرة تتصارع على الحكم ، ويلجأون للنصارى في الشمال طلبا للعون للقضاء على بعضهم وكان ملك النصارى (الفونسو السادس) يمد لبعضهم الحبال من اجل شنق اخوانهم وهو بدوره يتوسع ويستولي على القلاع والحصون •

حضارة العرب في الاندلس :-

ازدهرت الحضارة العربية الاسلامية في الاندلس ،وقد وصلت الى ارفع الدرجات ، وهي وان اختلفت عن حضارة المشرق تبعا لاختلاف الاقليم والسكان وطبيعة البلاد ، الا ان جذور الحضارة فيها قامت على مجموعة للعرب والمفكرين الذين نزحوا الى البلاد بتشجيع من افراد الاندلس ، هذا بالاضافة الى علماء الاندلس الذين كانوا نتيجة المصاهرة والامتزاج مع الشعب الاسباني ، مما اعطى عقلية جديدة تملك مميزات خاصة اضافة صفات العرب المبدعين •

وقد شملت الحضارة العربية في الاندلس جيمع انواع المعارف نلخصها بما يلي :-

الحياة السياسية :

كان للمسلمين خلافة واحدة في العهد الراشدي والاموي ، وكذلك في العهد العباسي حتى ضعف الخلفاء وأصبحوا العوبة في ايدي القادة •

قامت الخلافة لاول مرة في بلاد الاندلس في عهد عبدالرحمن الثالث (٣٠٠ - ٣٥٠هـ) حيث لقب نفسة امير المؤمنين الناصر ، بينما كان اسلافة يتسمون بالامراء .

كانت الخلافة الاموية في الاندلس تستمد قوتها من الخليفة وهو مصدر السلطات .

الحاجب :-

وهو رئيس الوزراء يستعين به الخليفة لادارة شؤون الدولة ، وهو واسطة بين الوزراء والخليفة (١) .

الوزير :-

اطلق هذا اللقب على من يرأس دوائر الدولة المختلفة ويستشاورون من قبل الخليفة او الحاجب وينفذون اوامرهما .

الكتاب :-

كان صاحبها يلي الحاجب احيانا في التربية ، وكان معظمهم من رجال الادب ، وكانت تقسم الى : كتابة الرسائل ويسمى صاحبها الكاتب والمشرف على شؤون الذمة يسمى صاحبها الذمام اما الذى كان يشرف على فرض الضرائب والنفقات وقبض الدخل يسمى صاحب الاشغال .

القضاء :-

كان الامير او الخليفة هو الرئيس الاعلى للقضاء ، وهو الذى يعين قاضي

---

(١) ابن خلدون : المقدمة ص ٥٨٧ .

القضاة (قاضي الجماعة) ، وكان يفترض فيه ان يكون فقيها مستقيما •

وكان القاضي يستمد احكامه من القرآن الكريم والسنة ، والقضاة منفصلين عن السلطة التنفيذية ، ولذلك فالولاة هم الذين ينفذون الاحكام •

ويضاف الى عمل القاضي سجلات الفتاوى ، والاشراف على الصلاة في الاعياد وأيام الجمع والدعاء في الصلاة •

والجدير بالذكر ان الاندلس كان على مذهب الامام مالك بن انس •

المحتسب : (١)

ومهمته النظر فيما يتعلق بالنظام العام والجنايات التي تستدعي الفصل بها بسرعة ، وعمله يقوم على الشدة والسرعة في الفصل من اجل مراعاة احكام الشرع •

ويشرف المحتسب ايضا على الاسواق وما يوجد فيها من سلع والموازين والمكاييل تجنبا للتلاعب بالاسعار او الغش فيوقع بهم القصاص •

صاحب الشرطة :

وتقوم وظيفته على مراقبة الامن والبت في القضايا الاجرامية •

الجيش :-

أ - **البرى**

كان يتألف من وحدات حسب القبائل ، فكان لكل قبيلة قائدها

---

(١) الماوردى : الاحكام السلطانية ص ٦٣ - ٨١•

وكان الجيش ايضا يتألف من الفرسان والمشاة ، وسلاحهم السيوف والرماح والنبال ، ويلبسون الخوذ والدروع الحديدية وقد دخل البربر في الجيش ثم تم استبدالهم بالصقالبة ، وكان راتب الجندي يتراوح ما بين (٥-١٠) .

ب- اسس الاسطول عبدالرحمن الثاني لرد غارات النورمانديين على اشبيلية ، وقد قوى كثيرا في عهد عبدالرحمن الناصر بحيث سيطر على الاسطول الفاطمي ، وحرم على الاسطول النورماندي الاقتراب من السواحل .

الحياة الاجتماعية :-

طبقات المجتمع :

كان السكان في الاندلس يتألفون من عدة اجناس وكذلك عدة طبقات :-

العرب :

وهم ارفع الطبقات والذين قاموا بدور هام في تاريخ البلاد على الرغم من انقسامهم بين الحين والاخر الى قيسيين ويمنيين ، وكان منهم الاشراف .

البربر :

وأصلهم من افريقيا ، ودخلوا مع العرب الفاتحين ، ولم يتساوا مع العرب الفاتحين ، ولم يتساوا مع العرب في المراكز ، مما ادى الى حصول التنافس بينهم .

المولدون :

وهم نسل سكان البلاد الاصليين الذين اعتنقوا الاسلام وكانوا يؤلفون اغلبية

السكان .

الذميون :

وهم سكان البلاد الاصليين الذين حافظوا على دينهم من نصارى ويهود ، واقتبسوا العادات العربية ، وكان لهم قضاتهم وقوانينهم ..

الرقيق :

وكان الصقالبة من اهم عناصرهم وكانوا يجلبون من اسرى الحروب ، وقد زاد عددهم في عهد عبدالرحمن الناصر .

الموسيقى :-

عرفت الالات الموسيقية الشرقية في الاندلس من طبل وصناج ، وعود وطنبور ومزمار ودف وناى والرباب والجنك وغيرها .

ولعل وصول زرياب من بغداد الى قرطبة كان له اكبر الاثر في ذلك ، فقد كان عميقا في الموسيقى والغناء واليه ينسب اضافة الوتر الخامس في العود .

الملابس :

لم يقتصر تأثر زرياب في الموسيقى ، ولكنه ابتكر ازياء الفصول ، فالملابس البيضاء صيفا ، والملابس الحريرية والالوان الزاهية في الربيع ، والفراء والثقبلة في الشتاء .

ومن مآثره انه فتح معهدا للتجميل وعلم اهل الاندلس تصفيف الشعر هذا بالاضافة الى فن الطبخ .

المـــرأة :ـ

تمتعـت المـــرأة العربيـــة بنصيـب كبيـــر من الحريـــة ، وحـظ وافـــر من الاغنيـــاء ٠

كثـــر زواج المسلميـــن بالمسيحيـــات ، وغـــدا المسلمـــون يفضلونهـــن علـــى العربيـــات ، وقامـــت الجوارى بدور هـــام في حيـــاة الخلفاء والأمراء ٠

ويحدثنـــا المقري عن علاقـــة عبدالرحمـن الأوســط وجاريتـــه طروب ، وكانت هـــذه الجاريـــة ذات تأثيـــر كبيـــر على الأميـــر بحيث لا يـــرد لهـــا طلبـــا (١) ٠

كانـــت الجوارى علـى جانـــب من الثقافـــة ، فكانـــت الواحـدة منهـــن أديبة ، وراويـــة للشعـــر ، وحافظـــة للاخبـــار جيدة الحـظ (٢) ٠

الطعـــام :

ابتدع زريـــاب أنواعـــا جديـــدة من الطعـــام ، فأدخـــل بقلـــة الهليـــون ، وزاد في الأطعمة لونـــا أطلقـــوا عليـــه النقايـــا يصنـــع من الكزبرة الرطبـــة ، والكباب ٠

ويعـــود فضـل زريـــاب في اسلوب تقديم الطعـام وذلـــك بالبدء بالحســـاء ثم اللحـوم والطيـور ثم الحلـوى ٠

الحالـــة الاقتصاديـــة :

الزراعـــة :

أقـــام الامويـــون على الانهـــار ، وشقـــوا الجداول لاستخدامهـــا في الزراعـــة ،

---

(١) المقرى : نفح الطيب ج ١ ، ص ١٦٤ ـ ١٦٥ ٠

(٢) المقرى : نفح الطيب ج ١ ص ١٦٥ ٠

كما وضعوا تقويما لزراعة النباتات عرف بالتقويم القرطبي ، واشتهرت الاندلس بزراعة الحبوب والفواكه، وزرعوا الارز وقصب السكر والزيتون ، والقطن ، والكتان والتوت لتربية دودة القز لصناعة الملابس ،كما اهتموا بتربية المواشي ٠

الصناعة :

عرف في الاندلس صناعة المنسوجات القطنية والكتانية والحريرية والصوفية ٠كانت قرطبة مركز هام لصناعة الجلود ، والصناعات النباتية كاستخراج زيت الزيتون ، وصناعة النبيذ من الكروم واستخراج العقاقير الطبية من النباتات (١) .

بالاضافة الى صناعة الحرب كصناعة السفن والترس والسروج والدورع ٠

واستخرج الاندلسيون المعادن كالذهب من المناجم الواقعة على نهر تاجة ، والفضة والرصاص قرب قرطبة ، والحديد والنحاس من جبال طليسطة ٠

كما كان الاندلس مقاطع للرخام بأنواعه الأبيض والخمرى والأحمر والجزع والاستفادة منه في البناء (٢) .

التجارة :

كانت اشبيلية ومالطة من أشهر موانئ اسبانيا فكان يصدر منها القطن والزيتون والزيت والسجاجيد والفراء والأواني الفخارية والورق ٠

---

(١) المقرى : نفح الطيب ج ١ ص ٩٥ ـ ٩٦ ٠

(٢) المقرى : نفح الطيب ج ١ ص ٩٥ ـ ٩٦ ٠

كما كانت القوافل البرية تجوب أوروبا محملة بمنتوجات الاندلس ، ومما ساعد على ازدهار التجارة وجود الموانئ وانتشار الأمن ، وتنظيم البريد ، وسك النقود ، فسك الدينار من الذهب والدرهم من الفضة والفلس من النحاس ٠

الحياة الثقافية :

العلوم الشرعية االنقلية :-

احتضنت الاندلس مذهب مالك بينما كانت بغداد تسير عاى مذهب أبي حنيفة ، وقد قام نشر هذا المذهب زياد بن عبد الرحمن اللخمي ثم شبته يحيى بن يحيى الليثي الذى أبى على نفسه الوظائف بينما كان يثبت أتباعه ومريديه في اجهزة الدولة حتى سيطر عليها في عهد هشام بن عبدالرحمن (١) ومن أشهر الفقهاء ابو بكر القوطية الذى اشتهر بالفقه والتاريخ هذا بالاضافة الى ابن رشد الفيلسوف ومنذر بن سعيد قاضي القضاة زمن عبدالرحمن الناصر ٠

ونبغ في الحديث ابن وضاح وابن عبدالبر ، وأبو الوليد بن رشد وابن عاصم مؤلف التحفة ومن علماء الاندلس في الدراسات الاسلامية ابن حزم على بن أحمد مؤلف الاحكام في أصول الاحكام و الفضل في الملل والأهواء والنحل ٠

اللغة العربية وأدبها :-

كانت اللغة العربية وسيلة وغاية ، وسيلة انتشرت بها العلوم والمعارف فأقبل عليها الاندلسيون مسلمون وغير مسلمين يتعلمونها

---

(١) الحميدى : حذوة المقتبس ص ١٣٢ ٠

ويجيدونها ، وكانت غاية لان اداَبها الرفيعة كانت متعة ولذّة تهز النفوس وتخلط بالوجدان (1).

وقد بلغ في اللغة العربية وعلومها كثير من أهل الاندلس تركوا لنا كتبا لا تزال تنال اهتمام المختصين ومن اشهرهم : ابن سيدة (ت ٤٥٨هـ) ، صاحب كتاب المختصر والمحكم ، وابن الحاج الذى برع في لسان العرب وفي العروض ، وأبوعلي القالي (٢٢٨ ـ ٣٥٦هـ) صاحب كتاب الامالي في اللغة والادب ، والصاحب اسماعيل بن عباد (٣٢٦ ـ ٣٨٥هـ) الذى ألف كتاب المحيط في سبع مجلدات وابن فارس (ت ٣٩٥هـ) صاحب كتاب المجمل ، وأبومنصور الأزهرى (٢٨٢ ـ ٣٧٠هـ) صاحب كتاب التهذيب وغيرهم (2).

أما الكتاب والشعراء الاندلسيون فهم كثيرون وأشهرهم ابن عبدربه مؤلف العقد الفريد وابن بسام مؤلف الذخيرة في محاسن الجزيرة ، والحميدى مؤلف جذوة المقتبس في ذكر ولاة الاندلس ، وابن الخطيب صاحب الاحاطة في اخبار غرناطة .

ومن الشعراء ابن هانئ وابن الخطيب ، وابن زيدون ، وابن حمديس ، وابن خفاجة ، والمعتمد بن عباد وغيرهم .

وقد أبدع لنا الاندلسيون الوانا جديدة كالموشحات والازجال التي تميزت بالسحر والجمال وتركت لنا طابع على الايام.

التاريخ :ـ

اشتهر عدد من المؤرخين الذين تناولوا تاريخ العرب والمسلمين

---

(١) احمد شلبي : التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية ج ٤ ص ١٣٢ .

(٢)

في الاندلس وأشهرهم :

ابن القوطية وكتابه تاريخ فتح الاندلس ، وابن خلدون صاحب المقدمة المشهورة ، وابن الخطيب وله كتاب الاحاطة في اخبار غرناطة ، والحميدى وغيرهم ٠

الجغرافيا :

ظهر في الاندلس اعظم علماء الجغرافيا منهم :-

الادريس صاحب كتاب نزهة المشتاق في اختراق الافاق ، وقد صنع للملك ووجر اول كرة ارضية من فضة بين عليها الاقطار التي زارها ، وكان يؤمن بكروية الارض ، وقد استفاد كولمبس من علمه كثيرا ٠ ابن جبير وهو الرحالة الذى قام برحلتين اولاهما الى مكة ثم مصر والعراق وسوريا وصقلية بينما الثانية الى الاسكندرية حيث توفي ١٢١٧م٠

ابن بطوطة وهو الرحالة الذى زار العالم الاسلامي وتجاوز سيلان ووصل الى الصين ودون كل ذلك في كتابه (رحلة ابن بطوطة) ٠

العلوم العقلية :-

الفلسفة :

اعتبرها اهل الاندلس لونا من ألوان الفكر الراقي ، وكثيرا ما كان الفلاسفة يلاقون المعارضة من رجال الدين ومن اشهرهم فلاسفتهم :-

ابن رشد الذى ترك من الكتب الفلسفية : فلسفة ارسطو ، وتهافت التهافت الذى رد فيه على الامام الغزالي في كتابه تهافت الفلاسفة ٠

ابن طفيل : وله كتاب في بن يقظان ، وابن العربي صاحب كتاب الفتوحات المكية والعواصم من القواصم ٠ وابن باجة الذى يعتبر من اساطين الفلاسفة ٠

الطب :ـ

تقدم الطب كثيرا بحيث عرفت عائلات بذلك كأسرة بني زهرة [1] (اشبيلية) الذين توارثوا الطب جيلا بعد جيل ولعل أشهرهم أبو مروان بن زهر ٠

كما عرفت النساء بمزاولة الطب ومن أشهرهن : أم الحسن بنت القاضي أبي جعفر وكانت ابرز مَنْ مارسة [2] وكذلك اخت الحفيد بن زهر وابنتها اللتان كانتا عالمتان بصناعة الطب واعداده [3] .

هذا بالاضافة الى معجزة الجراحة في زمانه (أبو القاسم الزهراوى (ت ٤٠٤هـ) الذى ألف كتابه : التصريف لمن عجز عن التأليف في ثلاثين جزءا ، وهو يشمل على قسم طبي وأخر صيدلي وأخر في الجراحة ٠

علم النبات :ـ

وقد كان الهدف من ذلك لتحسين الانتاج ومعرفة البيئة ينسابها من النباتات ، ولعل ابن العوام أبو زكريا بن محمد بن العوام صاحب كتاب الفلاحة قد بحث بالتفصيل ٠

وهناك ابن البيطار ابو محمد عبدالله بن احمد ضياء الدين ٥٧٥ـ٦٤٦هـ قد تعرف على نباتات الاندلس وشمال افريقيا وبلاد الشام وألف كتابه الجامع لمفردات الادوية والاغدية ٠

---

(١) ابن أبي أصيبعة : عيون الاطباء في طبقات الاطباء ص ٥١٩ـ ٥٢١٠

(٢) لسان الدين الخطيب : الاحاطة ج ١ ص ٢٦٥ـ ٢٦٦٠

(٣) ابن ابي اصيبعة : عيون الاطباء ص ٥٢٤٠

الفلك والرياضيات :-

ظهر المجريطي في الاندلس الذى قام بنقل مؤلفات اخوان الصفا الى الاندلس والخوارزمي فأصلح أزياجه (الجداول الفلكية) ، وهناك الزرقالي الذى صحح أغلاط اليونان في تقدير طول البحر المتوسط.

العمارة :-

لقد خلف العرب المسلمون في اسبانيا أروع العمارات التي تنطق بالروعة والتفوق ، وهذا واضح في المفاخر العمرانية التي شيدوها ، فالقصور والمساجد والقلاع تنطق بذلك .

فقد شيد عبد الرحمن الداخل قصر الرصافة ثم توالت القصور مثل الكامل والمجدد والروضة والزاهد والمعشوق والمبارك والسرور والتاج والبديع وقد حاكى أمويوا الاندلس الامويين في دمشق .

ولعل من أجمل وأروع مساجد العالم مسجد قرطبة الذى بدأه الداخل وأتمه ابنه هشام وتعهده الامراء من بعدهم .

أما ضاحية الزهراء التي بناها عبدالرحمن الناصر فقد كانت تمثل اعظم ما وصلته فن العمارة ، ولا تقل غرناطة عن قرطبة في عظمة العمارة العربية الاسلامية وقصر الحمراء خير شاهد على ذلك . وفي كل مدينة وقرية وترك العرب آثارا تنطق بما وصلوه من مكانة في المدنية .

الفاطميـــون :ـ

ظهـر الفاطميـون في شمال افريقية سنة ٢٩٧هـ بزعامة عبيد اللـه المهدى بن محمد الحبيب بن جعفر الصادق ، وهم من الشيعة الاسماعيلية، فقضى على دولة الاغالبة والادارسة وسيطر على المغرب العربي ، وأسس مدينة المهدية ، وحكم من بعده اولاده الذين شمل نفوذهم المغرب العربي كله (١) .

ومن اشهر حكام الفاطميين المعز لدين اللـه بن المنصور بن القائم بن عبيد الله المهدى الذى أرسل قائده جوهر الصقلي لفتح مصر على رأس مائة ألف رجل وزوده بالمال والعدة حتى وصل الاسكندرية فدخلها وأمن أهلها ومنها زحف الى الفسطاط ودخلها سنة ٩٦٦/٣٥٨م، وأسس مدينة القاهرة المعزية وبنى قصرا للمعز وفي سنة ٣٦١هـ/٩٧١ م، شرع في عمارة الجامع الأزهر . (٢)

كما استولى جوهر الصقلي قائد المعز على دمشق سنة ٣٥٨هـ/٩٦٨م وبذلك اصبحت الدولة الفاطمية تشمل شمال افريقية والجزء الجنوبي من بلاد الشام (٣) .

ثم تولى الحكم بعد المعز لدين اللـه العزيز والحاكم بأمر اللـه وفي عهدهما تمت السيطرة على بلاد الشام والحجاز (٤) .

---

(١) المقرى : الجمان في اخبار الزمان (مخطوط) ص ١٩٨ .

(٢) ابن عذارى المراكشي : البيان المغرب في اخبار المغرب ج ١ ص ٣٢٦ .

(٣) ابن الاثير : الكامل في التاريخ ج ٧ ص ٣٢ .

(٤) احمد السيد : مفتاح الذهب ملوك الاسلام وخلفاء العرب ص ٩٧ .

واستمــر تحكــم الفاطميــن حتى سنــة ٥٦٧هـ / ١١٧١م حينمــا قضـــى

عليهــا صــلاح الديــن الايوبــي ودعــا على منابــر مصــر للخليفـة العباســي

المستضــيء (١) .

مظاهــر الحضارة في الدولة الفاطمية :-

وللعمـارة الاسلاميـة في العصـر الفاطمـي اهميـة خاصـة ، فالفاطميـون هـم

الذيــن بنــوا لقاهــرة في الشمــال الشرقــي من الفسطــاط والقطائــع ، وبنـــوا

ايضــا الجامــع الازهـــــر .

ومن اهم الابنيــة الفاطميــة جامع الحاكــم :

ومن آثــار الفاطمييــن الهامــة الاســوار والابــواب العظيمـة التي اقامهــا بـــدر

الجمالــي ٤٨٥ هـ / ١٠٩٢م .

ومن مفاخــــر العصــر الفاطمــي في العمــارةوا لفن تلــك الزخــارف التي تدعـو

الى الدهشــة والاعجــاب وأبــرز شــيًء في عناصرهـــا الكتابــة الكوفيــة الـــتي

تتخــذ شكــلا زخرفيــا .

الاغالبـــة : ١٨٤ - ٢٩٦هـ/ ٨٠٠ - ٩٠٩م : (٢)

قامــت هــذه الدولــة في تونــس بزعامـة ابراهيــم بن الاغلــب (١٨٤-١٩٦هـ)

اثــر زيــادة نفــوذ الادارســة بعــد وفــاة الوالــي العباســي القديــر يزيــد بن حاتـم

المهلبي سنــة ١٧٠هـ . (٣)

وقــد استطــاع ابراهيــم ان يعيــد للعباسيين سلطانهــم بعــد ان اتفـــق

(١) احمد فاعور : الدولة الحمدانية في حلب ص ٢٣٢ .

(٢)

(٣) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ج٤ ص ١٩٣ .

مع هارون الرشيد أن يدفع له أربعين ألفا بدلا من مائة الف فضبط امور البلاد ، وبنى مدينة جديدة سنة ١٨٥ هـ على ثلاثة أميال من القيروان اسماها العباسية ، وانتقل اليها ، فازدهرت هذه المدينة ، وظهرت فيها المباني الشاهقة واصبحت مركز النشاط العلمي والاقتصادى (١) .

وقد تم الاتفاق على ان تكون هذه الولاية وراثية في ابناء ابراهيم ، فحكم من بعده عشرة ولاة وللاغالبة فضل كبير في انتقال افريقيا الى المحيط الاسلامي ونشر اللغة العربية ، هذا بالاضافة الى الاستقرار الذى تم اثر القضاء على الفتن والقلاقل ، والامتزاج الذى حصل بين العرب وسكان البلاد الاصليين ، وبناء المدن مثل رقادة ، والعباسية ، وادخال فنون العمارة التي كانت معروفة في دمشق وبغداد والقاهرة الى شمال افريقيا ، هذا فضلا عن سيطرتهم على البحر المتوسط ، وفتح صقلية التي استمرت تحت الحكم العربي الاسلامي اكثر من مائتي وسبعين عاما (٢١٢ - ٤٨٣ هـ / ٨٢٧ - ١٠٩٠ م) حيث نشرت ألوان الثقافة والفن الاسلامي الى جانب التقدم الاقتصادى خاصة الزراعة ، فقد قام العرب بنقل القطن وقصب السكر والفستق وغيرها الى الجزيرة (٢) .

وقد استمرة حضارة المسلمين في الجزيرة بعد أن استولى عليها النورمانديون حتى ان روجر ملكهم شمل العلوم العربية برعايته ، فقرب الفلاسفة ، واحتفظ بنظام الادارة الاسلامية مما أهل الجزيرة أن تكون مركز اشعاع للفكر العربي الاسلامي الى الغرب ٠

---

(١) المسعودى : مروج الذهب ج ٢ ، ص ٢٣٨٠

(٢) احمد شلبي : التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية ص ٣١٥٠

الطولونيـــون :ـ

مؤســس هـذ ه الأ ســرة احمـد بن طولــون ، وكـا ن طولــون مملوكـا تركيـــــا أهـدا ه نـوح بن سامـا ن عامـل بخاري الى المأمون سنــة ٢٠٠هـ[١] .

تزوجـت ام احمـد بن طولــون من باكبــاك والى مصــر والشــام ، فأرســل أحمـد بن طولــون ليتولـى باسمــه مصـر فدخلهــا سنـــة ٢٥٤ هـ / ٨٦٨م ، وعندمــا قتــل باكبــاك أقــر ابن طولــون على مصــر[٢] .

وقـد حكـم اولا د احمـد بن طولــون بـعده مصـر والشـام (خمارويـة ، وشيبـا ن) واستمـر حكمهــم حتى سنــة ٢٩٣ هـ حينمــا قضى على حكـم هـذ ه الأ ســرة الخليفــة العباسي المكتفي[٣] .

ومن اثـار الطولونيين في مصر :ـ

١. نشطـــت في الـعهـد الطولوني صناعــة الخـزف واتقـن الصنـاع الحفـر علـى الخشب وعمل النقوش الجصيــة .

٢. جامع ابن طولون الذى بدأ في بنائــه سنـــة ٢٦٣ هـ وفرغ منــه سنـــــة ٢٦٥ م وبلـغــت النفقــة عليه مائة وعشرين الف دينار[٤] .

٣. اضاف رحبـة ابي ايوب الـى جامع عمرو بن العاص من الناحية الشمالية سنـــــــة ٢٥٨ هـ / ٨٧١م .

٤. بنى ابن طولون القناطــر المعروفـة باسمه للسقايـــة .

٥. بنى ابن طولون الحصن المشهور بجزيرة الروضة .

وقـد تمتع المصريون في عهـد الطولونيين بالا ستقلال في الحكم والا دارة وانتـعشـت كل مرافق البلا د .

---

(١) ابن خلكان :وفيات الاعيان ج ١ص ١٥٥ . (٢) ابو المحاسن :النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٦ .
(٣) القرماني :كتاب اخبار الدول واثار الا ول ص ٢٦٣ . (٤) ابن خلكان :وفيات الا عيان ج ١ ص ١٥٥

المصـــادر والمراجـــــع :ـ

١ ـ المخطوطـــات الـعربيـــة :ـ

ابـن بلـيك : احمد بـن بيليك المحسني . (ت ٧٥٣) .

١ ـ الجوهر الثمين في سيرة الامين ـمعـهـد المخطوطات الـعربية القاهـرة (رقم ٢٠٩) .

ابـن الشحنـــة : محب الـديـن محمد بـن الـشحنـــة الـحلبي (المتوفى في منتصف القرن التاسع الـهجرى) .

٢ ـ الـدر المنتخب في تاريخ حلب ـ ادر الكتب المصريـة (تاريخ رقـــــــم ١٩٦١) .

ابـن ظافـــر : جال الـديـن بـن ظافـــر الازدى (ت ٦٢٣ هـ) .

٣ ـ كتاب الـدول المنـقطـعة ـ دار الكتب المصريـــة (رقم ٨٩٠ تاريخ) .

الـعينـي : ابـو محمد بدر الـديـن محمود بـن احمد الـحنـفي (ت ٨٥٥ هـ) .

٤ ـ عقد الجمان في تاريخ اهل الزمان ـ او تاريخ الـعينـي . دار الكتب المصرية (تاريخ ١٥٨٤) .

الماردينـي : عبدالـسلام بـن عمر بـن محمد (ت ١٢٥٩هـ) .

٥ ـ تاريخ ماردين ـ دار الكتب المصرية (تاريخ ٨١٣) .

الـهيتمي : الامام احمد بـن محمد المعروف بابـن حجر الـهيتمي (ت ٩٧٤هـ) .

٦ ـ كتاب اخوان الـصفا بنـبذ اخبار الخلفا . دار الكتب المصرية (تاريخ ٢٧٦) .

٢ـ المراجع العربية القديمة :ـ

ابن الاثير : عز الدين ابو الحسين علي بن ابي الكرم الشيباني (ت ٦٣٠هـ) ٠

١ ـ الكامل في التاريخ ـ ادر الكتاب العربي ـ بيروت ١٣٨٧هـ /١٩٦٧م٠

٢ ـ اللباب في تهذيب الانساب ـ دار صادر بيروت ٠

٣ ـ اسد الغابة في معرفة الصحابة ـ تحقيق محمد البنا ومحمد عاشور فايد القاهرة ـ ١٩٧٠م٠

ابن ادم : يحيى بن ادم القرشي (ت ٢٠٣هـ) ٠

٤ ـ الخراج ـ تحقيق احمد محمد شاكر ـ بيروت دار المعرفة ١٩٧٩م٠

الازرقي : ابو الوليد محمد بن عبدالله بن احمد (ت ٢٤٤هـ) ٠

٥ ـ اخبار مكة ـ تحقيق رشدى الصالح ملحس ـ بيروت دار الاندلس ـ ١٩٦٤م٠

ابن اسحق : ابو عبد الله محمد بن يسار المطلبي (ت ١٥١ هـ) ٠

٦ ـ سيرة النبي ـ هذبها ابن هشام بن ايوب الحميرى ـ تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد ـ د ر الاتحاد العر ي للطبعة ٠

الاشعرى : الامام ابو الحسن علي بن اسماعيل (ت ٣٣٠ هـ)٠

٧ ـ مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين ـ تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد ٠

النهضة المصرية ـ القاهرة ١٣٦٩ هـ / ١٩٥٠م٠

الاصبهاني : علي بن الحسين ابو الفرج (ت ٣٥٦)٠

٨ ـ الاغاني ـ عن طبعة بولاق الاصلية ـ دار الفكر للجميع ـ ١١٩٠هـ/١٧٧٠م

٩ ـ مقاتل الطالبيين ـ تحقيق السيد احمد صقر ـ القاهرة ـ دار احياء الكتب لعربية ٠

ابن ابي اصيبعة : ابو العباس احمد بن القاسم الخزرجي (ت ٦٦٨ هـ)٠

١٠ـ عيون الانباء في طبقات الاطباء ـ تحقيق نزار رمـا ٠

منشورات مكتبة الحياة ـ بيروت ١٩٦٥م٠

البخاري : ابو عبدالله محمد بن اسماعيل ٠

١١ـ التاريخ الصغير ـ تحقيق محمود زايد ـ حلب ـ دار الوعي ٠

القاهرة ـ دار التراث ١٩٧٧م٠

ابن بطوطة : ابو عبدالله محمد بن عبدالله بن محمد الطنجي٠

١٢ـ رحلة ابن بطوطة ـ بيروت ـ دار التراث ١٩٦٣م٠

البغدادي : عبد القادر عمر البغدادي (ت ١٠٩٣ هـ)٠

١٣ـ خزانة الادب ولب لباب لسان العرب ـ بيروت دار صادر ٠

البغدادي : عبدالقاهر بن طاهر بن محمد التميمي ـ (ت ٤٢٩ هـ)٠

١٤ـ الفرق بين الفرق ـ تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ـ بيروت دار المعرفة٠

البلاذري : أحمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩ هـ)٠

١٥ـ فتوح البلدان ـ تحقيق عبدالله وعمر الطباع ـ دار النشر للجامعيين ١٩٥٧م٠

١٦ـ أنساب الاشراف ـ تحقيق ماكس ـ كلوسنجز ـ القدس ١٩٣٨م٠

ابن تيمية : تقي الدين بن تيمية ٠

١٨ـ السياسة الشرعية في صلاح الراعي والرعية ـ القاهرة ـ مؤسسة دار الكتب العربي ١٩٦٩م٠

الثعالبي : ابو منصور عبد الملك بن محمذ بن اسماعيل الثعالبي النيسابوري (ت ٤٢٩ هـ)٠

١٩ـ يتيمة الدهر ـ تحقيق محيي الدين عبدالحميد ـ المكتبة التجارية الكبرى القاهرة ـ ١٩٥٦م٠

٢٠ـ تحفة الوزراء ـ تحقيق حبيب علي الراوى ، وابتسام الصفار مطبعة العاني ـ بغداد ١٩٧٧م٠

الجاحظ : عمر بن بحر (ت ٢٥٥ هـ)٠

٢١ـ البيان والتبيين ـ بيروت دار الفكر للجميع ١٩٥٤م٠

٢٢ـ التاج في اخلاق الملوك ـ تحقيق فوزى عطيوى ـ بيروت الشركة الصناعية ١٩٧٠م٠

٢٣ـ الحيوان ـ تحقيق فوزى عطيوى ـ بيروت مكتبة الطلاب والكتاب ١٩٦٨م

٢٤ـ التبصرة بالتجارة ـ القاهرة مكتبة الخانجي ١٩٣٥م٠

الجهشيارى : محمد بن عبدوس الكوفي (ت ٣٣١ هـ)٠

٢٥ـ كتاب الوزراء والكتاب ـ تحقيق مصطفى السقا ابراهيم الابيارى وعبد الحفيظ الشلبي ـ القاهرة ـ مكتبة مصطفى البابي الحلبي ١٩٣٨م٠

ابن الجوزى : ابو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت ٥٩٧ هـ)٠

٢٦ـ المنتظم في تاريخ الملوك والامم ـ مطبعة دار المعارف العثمانية ـ حيدر اباد الدكن ـ الهند ١٣٥٨هـ٠

٢٧ـ صفوة الصفوة ـ تحقيق محمود الفاخورى ـ حلب ـ دار الوعي ١٩٧٣م٠

ابن حزم : ابو محمد علي بن سعيد بن حزم الاندلسي (ت ٤٥٦ هـ)٠

٢٨ـ جمهرة أنساب العرب ـ تحقيق عبد السلام محمد هارون ـ دار المعارف بمصر ١٣٩١ هـ / ١٩٧١م٠

حمزة الاصفهاني :

٢٩ـ تاريخ سني ملوك الارض والانبياء ـ بيروت ـ دار الحياة ١٩٦١م٠
الحميدى : ابو عبدالله محمد بن معز الازدى (ت ٤٨٨ هـ)٠
٣٠ـ جذوة المقتبس في ذكر ولاة الاندلس ٠ القاهرة ـ الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٩٦٦م٠
الحموى : شهاب الدين ياقوت الرومي الحموى (ت ٦٢٦ هـ)٠
٣١ـ معجم البلدان ـ دار صادر ـ بيروت ـ دار بيروت ١٣٠٦ هـ / ١٩٥٧م٠
٣٢ـ معجم الادباء ـ طبع دار المأمون ٠
ابن خالويه : ابو عبدالله الحسين بن خالويه (ت ٣٧٠ هـ)٠
٣٣ـ شرح ديوان أبي فراس الحمداني ـ تحقيق سامي الدهان ـ بيروت٠
الخطيب البغدادى : ابو بكر احمد بن علي (ت ٤٦٣ هـ)٠
٣٤ـ تاريخ بغداد ـ مطبعة السعادة بمصر ١٢٤٩ هـ / ١٩٣١م٠
٣٥ـ الفقيه والمتفقه ـ تصحيح وتعليق اسماعيل الانصارى ٠
ابن خلدون : عبدالرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي المغربي (ت ٨٠٨ هـ)٠
٣٦ـ تاريخ العبر وديوان المبتدأ والخبر ـ مؤسسة الأعلمي ـ بيروت ١٩٧١م
٣٧ـ المقدمة ـ دار الشهب ٠
ابن خلكان : شمس الدين ابو العباس احمد بن خلكان الشافعي (ت ٦٨١ هـ)٠
٣٨ـ وفيات الاعيان وأبناء الزمان ـ تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد مكتبة النهضة المصرية٠
الدميرى : كمال الدين الدميرى ٠
٣٩ـ حياة الحيوان الكبرى ـ القاهرة المكتبة الاسلامية٠
الدينورى : ابو حنيفة احمد بن داوود الدينورى (ت ٢٨٢ هـ)٠
٤٠ـ الاخبار الطوال ـ تحقيق عبدالمنعم عامر ـ القاهرة وزارة الثقافة

والارشاد القومي ١٩٦٠م٠

الذهبي : شمس الدين ابو عبدالله محمذ بن احمد بن عثمان (ت ٧٤٨ هـ)٠

٤١ـ دول الاسلام ـ تحقيق فهمي شلتوت ومحمد مصطفى ابراهيم القاهرة ـ الهيئة المصرية العامة ١٩٧٤م٠

٤٢ـ العبر في خبر من عبر ـ تحقيق فواز السيد ـ المطبوعات والنشر ـ الكويت ١٩٦١م٠

٤٣ـ سير أعلام النبلاء ـ تحقيق شعيب الارنوذ ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ١٤٠١ هـ/ ١٩٨١م٠

الزمخشري : ابو القاسم محمود بن عمر محمد بن احمد (ت ٥٣٨ هـ)٠

٤٤ـ كتاب الامكنة والمياه والجبال ـ تحقيق ابراهيم السامرائي ـ مطبعة السعدون بغداد ٠

السبكي :

٤٥ـ طبقات الشافعية الكبرى ـ القاهرة٠

ابن سعد : محمد بن سعد (ت ٢٣٠ هـ)٠

٤٦ـ الطبقات الكبرى ـ دار صادر ـ بيروت ـ دار بيروت ١٧٧ هـ/١٩٥٨م٠

السويدى : ابو الفوز محمد امين البغدادى (ت ١٢٩٩ هـ)٠

٤٧ـ سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب ـ المكتبة التجارية الكبرى بمصر ١٩٧٥م٠

السيوطي : جلال الدين عبدالرحمن السيوطي الشافعي (ت ٩١١ هـ)٠

٤٨ـ بغية الوعاه في طبقات اللغويين والنحاة ـ تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم مطبعة عيسى البابي الحلبي ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م٠

٤٩ـ تاريخ الخلفاء ـ تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد ـ المكتبة الكبرى٠

ابن شداد : عز الدين ابي عبدالله محمد بن علي الحلبي (ت ٦٨٤ هـ)٠

٥٠- الاعلاق الخطيرة في دكر امراء الشام والجزيرة - تحقيق سامـــــي الدهان - دمشق المعهد الفرنسي ١٩٦٢م٠

ابو شامة : شهاب الدين ابو محمد عبدالرحمن المقدسي

٥١- كتاب الروضتين في اخبار الدولتين - القاهرة ١٢٨٧ هـ

الشهرستاني : محمذ بن عبدالكريم بن ابي بكع (ت ٥٨٤ هـ)

٥٢- الملل والنحل - تحقيق محمد رشيد الكيلاني - بيروت - دار المعرفة ١٩٧٥م٠

الصابي : ابو الحسن هلال بن المحسن (ت ٤٤٨ هـ)

٥٣- الوزراء أو تحفة الامراء - تحقيق عبدالستار احمد فراج - دار احيـــاء الكتاب العربي - عيسى البابي الحلبي ١٩٥٨م٠

٥٤- رسوم دار الخلافة - تحقيق ميخائيل عواد - مطبعة العاني بغـــداد ١٣٨٢ هـ٠

الصفدى : صلاح الدين خليل أيبك (ت ٧٦٤ هـ)

٥٥- الوافي بالوفيات - مطبعة وزارة المعارف ١٩٤٩م٠

ابن الصلاح : ابو بكر محمد بن جرير (ت ٥٦٣ هـ)

٥٦- علوم الحديث - تحقيق نور الدين عتر - المدينة المنورة المكتبـــة العلمية ١٩٧٢م٠

الصولي : ابو بكر محمد بن يحيى (ت ٣٣٥ هـ)٠

٥٧- اخبار الراضي بالله والمتقي لله - دار المسيرة - بيروت ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩م٠

الطبرى : ابو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠ هـ)

٥٨- تاريخ الرسل والملوك - تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم - دار المعارف بمصر ·

ابن طباطبا : صفي الدين محمد بن علي (ت ٦٦٠ هـ)

٥٩- الفخرى في الاداب السلطانية والدول الاسلامية دار صادر - بيروت ١٣٨٦ هـ/ ١٩٦٦م·

ابن عبدربه : ابو عمر بن محمد بن عبدالله الاندلسي (ت ٣٢٨ هـ)·

٦٠- العقد الفريد - شرح وضبط احمد امين وزملاءه لجنة الترجمة والتأليف - القاهرة ١٣٧٢ هـ/ ١٩٥٢م·

ابن العبرى : العلامة غريغورى الملطي (ت ٦٨٥ هـ)·

٦١- تاريخ مختصر الدول - بيروت المطبعة الكاثوليكية ١٩٥٨م·

ابو عبيد : الامام ابو عبدالقاسم بن سلام (ت ١٢٤ هـ)·

٦٢- الأموال - تحقيق محمد خليل هريس - مكتبة الكليات الازهرية ١٣٨٨ هـ/ ١٩٦٨م·

ابن العديم : الصاحب كمال الدين ابي القاسم عمر بن احمد هبة الله (ت ٦٦١هـ)

٦٣- زبدة الحلب من تاريخ حلب - تحقيق سامي الدهان - دمشق·

ابن عذارى المراكشي : ابو عبدالله محمد بن عذارى المراكشي (نبغ في اواخر القرن السابع الهجرى)·

٦٤- البيان المغرب في اخبار المغرب - دار صادر - بيروت ١٩٥٠م

ابن العربي : ابو بكر بن العربي (ت ٥٤٣ هـ)·

٦٥- العواصم من القواصم في تحقيق الصحابة·

تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد - المطبعة السلفية القاهرة ١٣٧٥ هـ·

ابن العماد : ابو الفلاح عبدالحي بن العماد الحنبلي (ت ١٠٨٩ هـ)

٦٦- شذرات الذهب في اخبار من ذهب - مكتبة القدس ١٣٥٠ هـ

ابن ابي العز : صدر الدين محمد بن علاء الدين الحنفي (ت ٧٩٢ هـ)

٦٧- شرح العقيدة الطحاوية - المكتب الاسلامي - بيروت ١٤٠٠هـ

عماد الدين الاصفهاني :

٦٨- تاريخ دولة السلخوق - القاهرة - ١٣١٨ هـ

الغزالي : ابو حامد محمد بن محمد (ت ٥٠٥ هـ)

٦٩- كتاب الاربعين في اصول الدين - القاهرة - مكتبة الجندى ١٩٦٥م٠

٧٠- احياء علوم الدين - دار المعرفة - بيروت ٠

ابو الفداء : عماد الدين اسماعيل بن محمد بن عمر (ت ٧٣٢ هـ)

٧١- تقويم البلدان - باريس - دار الطباعة السلطانية ١٨١٥م

٧٢- المختصر في اخبار البشر - بيروت - دار المعرفة ١٩٥٦م٠

ابن قتيبة : عبدالله بن مسلم ابو محمد (ت ٢٧٦ هـ)

٧٣- المعارف - تحقيق ثروت عكاشة - دار المعارف بمصر ١٩٦٩م

القرماني : ابو العباس احمد بن يوسف الدمشقي (ت ٦٨٥ هـ)

٧٤- أخبار الدول واثار الاول - مكتبة المثنى القاهرة

القزويني : الامام زكريا بن محمد بن محمود (ت ١٢٨٣ هـ)

٧٥- اثار البلاد وأخبار العباد - دار صادر - بيروت ١٣٨٥هـ/١٩٦٩م٠

القلقشندى : ابو العباس احمد بن علي (ت ٨٢١ هـ)

٧٦- صبح الاعشى في صياغة الانشا - المؤسسة المصرية العامة

٧٧- نهاية الارب في معرفة انساب العرب - تحقيق ابراهيم الابيارى الشركة العربية للطباعة والنشر القاهرة ١٩٥٩م٠

ابن قيم الجوزية : شمس الدين ابي عبدالله (ت ٧٥١ هـ)

٧٨- اعلام الموقعين عن رب العالمين - بيروت - دار الجبل ١٩٧٣م

٧٨ـ اعلام الموقعين عن رب العالمين ـ بيروت ـ دار الجبل ١٩٧٣م٠

ابن كثير : ابو الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ) ٠

٧٩ـ البداية والنهاية ـ مكتبة المعارف ـ بيروت ١٩٦٦م٠

ابن الكلبي : ابو منذر هشام بن محمد بن السائب (ت ٢٠٤ هـ)

٨٠ـ الاصنام ـ تحقيق احمد زكي ـ دار الكتب المصرية ١٣٤٣ هـ)٠

الكندى : ابو عمر محمد بن يوسف الكندى المصرى (ت ٣٥٠ هـ)٠

٨١ـ الولاة وكتاب القضاة ـ مطبعة الاباء اليسوعيين ـ بيروت ١٩٠٨م

الماوردى : ابو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصرى البغدادي (ت ٤٥٠ هـ)٠

٨٢ـ الاحكام السلطانية والولايات الدينية ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ
١٣٩٨ هـ/ ١٩٧٨م٠

مجير الدين : عبدالرحمن بن محمد بن عبد محمد العليمي المقدسي الحنبلي
(ت ٩٢٨ هـ)٠

٨٣ـ الانس الجليل في تاريخ القدس والخليل ـ بيروت ـ دار الجيل ١٩٧٣م٠

المسعودى : ابو الحسين علي بن الحسين بن علي (ت ٣٤٦ هـ)٠

٨٤ـ مروج الذهب ومعادن الجوهر ـ تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد
ـ شركة الاعلانات الشرقية ـ ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧م٠

٨٥ـ التنبيه والاشراف ـ بيروت ـ دار التراث ١٩٦٨م

المقريزى : تقي الدين ابو العباس احمد بن علي (ت ٨٤٥ هـ)٠

٨٦ـ الخطط المقريزية ـ مكتبة المثنى ـ بغداد ٠

٨٧ـ كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك ـ لجنة التأليف والترجمة
١٣٥٣ هـ/ ١٩٣٤م٠

٨٨ـ اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا ـ تحقيق جمال الدين
الشيال ـ دار الفكر العربي ـ ١٣٦٧ هـ/ ١٩٤٨م٠

المقرى : نصر بن مزاحم (ت ٢١٢ هـ)٠

٨٩ـ وقعة صفين ـ تحقيق عبدالسلام هارون ـ المؤسسة العربية الحديثة ـ ١٣٨٢ هـ٠

المقرى : احمد المقرى استلمساني ٠

٩٠ـ نفح الطيب في غصن الاندلس الرطيب ـ تحقيق احسان عباس ـ بيروت ـ ١٩٦٨م٠

المقدسي : مظهر بن طاهر المقدسي (ت ٣٥٥ هـ)٠

٩١ـ البدء والتاريخ ـ مكتبة المثنى ـ بغداد

المقدسي : شمس الدين محمذ بن احمد ابو عبدالله (ت ٣٧٥ هـ)٠

٩٢ـ احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ـ طبعة ليدن ١٩٠٦م٠

ابن منظور : جمال الدين بن محمد بن مكرم (ت ٧١١ هـ)

٩٣ـ لسان العرب ــ دار المعارف ـ القاهرة ٠

ابن النديم : محمد بن اسحق ابو الفرج (ت ٢٣٥ هـ)٠

٩٤ـ الفهرست ـ بيروت ـ دار المعرفة ١٩٧٨م٠

النويرى : شهاب الدين احمد بن عبدالهادى (ت ٧٢٣ هـ)٠

٩٥ـ نهاية الارب في فنون الادب ـ وزارة الثقافة والارشاد القومي نسخة مصورة عن دار الكتب المصرية٠

اليعقوبي : احمد بن ابي يعقوب بن واضح (ت ٢٩٢ هـ)٠

٩٦ـ تاريخ اليعقوبي ـ مطبوعات المكتبة الحيدرية ـ النجف ١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤م٠

ابو يوسف : القاضي يعقوب بن ابراهيم (ت ١٨٢ هـ)٠

٩٨ـ الخراج ـ القاهرة ـ المكتبة السلطانية ١٣٨٢ هـ٠

٠٣ المراجع الحديثة :-

امين : احمد امين

١ - فجر الاسلام - القاهرة - مكتبة النهضة المصرية ١٩٧٥م٠

أرنولد : سير توماس ارنولد

٢- الدعوة الى الاسلام - ترجمة حسن ابراهيم حسن وزملائه - القاهرة - النهضة المصرية٠

بهنسي : عفيف بهنسي

٣- جماليات الفن العربي - الكويت ١٩٧٩م٠

بروكلمان : كارل بروكلمان

٤- تاريخ الشعوب الاسلامية - ترجمة نبيه فارس ، ومنير البعلبكي - بيروت - دار العلم للملايين ١٩٦٥م٠

باركر :

٥- تاريخ دولة السلجوق - القاهرة ١٩٦٠م٠

ابو بدر : شاكر احمد ابو بدر

٦- الحروب الصليبية والاسرة الزنكية - الجامعة اللبنانية - بيروت٠

بيضون : ابراهيم بيضون

٧- الدولة العربية في اسبانيا - بيروت - دار النهضة ١٩٧٨م٠

بخيت : عبدالحميد بخيت

٨- ظهور الاسلام - دار المعارف - القاهرة - ١٩٦٧م٠

التميمي : رفيق التميمي

٩- الحروب الصليبية - مطبعة اللواء - القدس ١٩٤٥م٠

الجارم : محمد نعمان الجارم

١٠ـ أديان العرب في الجاهلية ـ مطبعة السعادة ـ القاهرة ١٣٤١هـ/١٩٢٣م

جيبون : ادوارد جيبون

١١ـ اضمحلال الامبراطورية الرومانية وسقوطها ـ ترجمة محمد سليـــــم الهيئة المصرية ـ القاهرة ١٩٦٩م.

حتي : فيليب حتي

١٢ـ تاريخ العرب (مطرل) ـ مطبعة الكشاف ـ بيروت ١٩٦١م.

١٣ـ تاريخ سوريا ولبنان وفلسطيـــن ـ ترجمة كمال اليازجي ـ بيروت ـ دار الثقافة ١٩٥٩م.

حسن : حسن ابراهيم حسن

١٤ـ تاريخ الاسلام السياسي ـ النهضة المصرية ـ القاهرة ١٩٧٣م.

١٥ـ تاريخ الدولة الفاطمية ـ النهضة المصرية ـ القاهرة ١٩٦٤م.

١٦ـ المعز لدين الفاطمي ـ النهضة المصرية ـ القاهرة ١٩٦٤م.

١٧ـ النظم الاسلامية ـ النهضة المصرية ـ القاهرة ١٩٦٤م.

حسن : علي ابراهيم حسن

١٨ـ التاريخ الاسلامي العام ـ النهضة المصرية ـ القاهرة ـ ١٩٧٢م

حبشي : حسن حبشي

١٩ـ نور الدين ـ دار الفكر العربي ـ القاهرة ١٩٥٩م

حتاملة : محمد حتاملة

٢٠ـ محنة مسلمي الاندلس ـ عمان ١٩٧٧م.

٢١ـ التنصير القسرى لمسلمي الاندلس ـ عمان ١٩٨٠م.

٢٢ـ التهجير القسرى لمسلمي الاندلس ـ عمان ١٩٨٢م.

الخضرى : الشيخ محمد الخضرى

٢٣ـ محاضرات تاريخ الامم الاسلامية ـ المكتبة التجارية الكبرى ١٩٧٠م٠

الخربوطلي : علي حسني الخربوطلي

٢٤ـ تاريخ العراق في ظل الحكم الاموى

القاهرة ـ دار المعارف ١٩٥٩م٠

٢٥ـ الدولة العربية الاسلامية

القاهرة ـ عيسى البابي الحلبي ١٩٦٠م٠

ديماند : م٠ص٠ ديماند

٢٦ـ الفنون الاسلامية ـ ترجمة محمد عيسى ـ القاهرة دار المعارف ١٩٥٤م

ريسلر : جاك ريسلر

٢٧ـ الحضارة العربية ـ ترجمة غنيم عبدون ـ القاهرة الدار المصرية للتأليف والترجمة٠

رفائل : ابو اسحق رفائيل

٢٨ـ تاريخ نصارى العراق ـ مطبعة المنصور ـ بغداد ١٩٤٨م

الرنجاوى : عبد الفتاح السرنجاوى

٢٩ـ الخلافة العباسية اضمحلالها وسقوطها ـ مطبعة عطايا بمصر ١٩٥٥م

الريحاوى : عبد القادر الريحاوى

٣٠ـ العمارة العربية الاسلامية ـ دمشق ١٩٧٩م٠

السيد : احمد السيد

٣١ـ مفتاح الذهب تاريخ ملوك الاسلام والعرب ـ دار المعارف بمصر٠

سالم : السيد عبدالعزيز سالم

٣٢ـ تاريخ العرب في عصر الجاهلية ـ بيروت دار النهضة العربية ١٩٧١م

٣٣ـ دراسات في تاريخ العرب ـ القاهرة ـ دار المعارف ١٩٦٨م

شحاتة : عبد الفتاح علي شحاتة

٣٤ـ تاريخ الامة العربية ـ مطبعة عطابا ـ القاهرة ١٣٨١ هـ٠

شلبي : احمد شلبي

٣٥ـ الحياة الاجتماعية في التفكير الاسلامي ـ القاهرة مكتبة النهضة المصرية ١٩٦٨م٠

الصالح : صبحي الصالح

٣٦ـ النظم الاسلامية ـ بيروت ـ دار العلم للملايين ١٩٦٨م٠

طوقان : فدوى طوقان

٣٧ـ تراث العرب العلمي في الرياضيات والفلك ـ هدية لمقتطف ١٩٤١م٠

العابدى : محمود العابدى

٣٨ـ الاثار الاسلامية في فلسطين والاردن ـ عمان ١٩٧٣م٠

٣٩ـ القصور الاموية ـ عمان ١٩٥٨م٠

العبادى : احمد مختار العبادى

٤٠ـ في التاريخ العباسي والاندلسي ـ النهضة العربية ـ بيروت ١٩٧٢م٠

عاشور : سعيد عبد الفتاح عاشور

٤١ـ اوروبا في العصور الوسطى ـ الانجلو المصرية ١٩٦٤م٠

٤٢ـ الحركة الصليبية ـ الانجلو المصرية ١٩٦٣م٠

العريني : الباز العريني

٤٣ـ المغول ـ دار النهضة العربية ـ بيروت ١٩٦٧م٠

العدوى : ابراهيم العدوى

٤٤ـ التاريخ الاسلامي ـ الانجلو المصرية ١٩٧٦م٠

٤٥ـ الدولة الاسلامية وامبراطورية الروم ـ الانجلو المصرية ١٩٥٨م٠

٤٥ـ الدولة الاسلامية وامبراطورية الروم ـ الانجلو المصرية ١٩٥٨م٠

الغرابي : علي مصطفى الغرابي

٤٦ـ تاريخ الفرق الاسلامية ـ مطبعة علي صبيح ـ ميدان الازهر مصـــــر ١٩٥٨م٠

الغزى كامل بن حسين بن مصطفى

٤٧ـ نهر الذهب في تاريخ حلب ـ المطبعة المارونية ـ حلب

غوانمة : يوسف درويش

١ـ امارة الكرك ـ دار الفكر ١٩٨٢م٠

٢ـ تاريخ شرق الاردن المملوكي السياسي ـ دار الفكر ١٩٨٢م٠

٣ـ تاريخ شرق الاردن (المملوكي الحضارى) ـ دار الفكر ١٩٨٢م٠

٤ـ تاريخ بناية بيت المقدس ـ مكتبة الحياة الزرقاء ١٩٨٢م٠

فاعور : احمد صالح فاعور٠

٤٨ـ حركة الاشاعرة وأثرها على الدولة الاموية ـ رسالة ماجستير ١٩٨٠م

٤٩ـ الدولة الحمدانية في حلب ودورها في التاريخ الاسلامي ـ رسالـــــة دكتوراه ١٩٨٢م٠

فراج : عز الدين فراج

٥٠ـ فضل علماء المسلمين على الحضارة الاوروبية ـ دار الفكر العربـــي القاهرة ١٩٧٨م٠

كونل : ارنست كونل

٥١ـ الفن الاسلامي ـ ترجمة احمد موسى ـ بيروت ـ دار صادر ١٩٦٦م٠

لوبون : غوستاف لوبون

٥٢ـ حضارة العرب ـ ترجمة عادل زعيتر ـ القاهرة ـ مصطفى الحلبي ١٩٦٤م

ماجد : عبدالمنعم ماجد

٥٣ـ التاريخ السياسي للدولة العربية ـ الانجلو المصرية ١٩٧٥م٠

٥٤ـ تاريخ الحضارة الاسلامية في العصور الوسطى ـ الانجلو المصرية ١٩٦٣م

مارسيه : جون مارسية

٥٥ـ الفن الاسلامي ـ ترجمة عفيف بهنسي ـ دمشق ١٩٦٣م٠

الموصلي : القس سليمان صائغ الموصلي

٥٦ـ تاريخ الموصل ـ المطبعة السلفية بمصر ١٣٤٢ هـ / ١٩٢٣م٠

متز : ادم متز

٥٧ـ الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجرى ـ ترجمة محمد عبد الهادى ابو ريدة ـ مكتبة دار الكتاب العربي بيروت ـ مكتبة الخانجي القاهرة ٠

مرحبا : محمد عبد الرحمن

٥٨ـ المرجع في تاريخ العلوم عند العرب ـ بيروت دار الفيحات ١٩٧٨م٠

منتصر : عبدالحليم منتصر

٥٩ـ تاريخ العلم ودور العلماء العرب في تقدمه ـ دار المعارف ـ القاهرة ١٩٨٠م٠

الناطور : شحادة الناطور

٦٠ـ ثورة عبدالله بن الزبير ـ رسالة ماجستير

٦١ـ دور الموالي في المجتمع الاموى ـ رسالة دكتوراة ١٩٨٢م٠

AMIR ALI :

1 - ASHORT HISTORY OF THE SARACENS.

LONDON , MACMILIAN 1963.

CRESWELL, K.A.C.

1 . EARLY MAUSLIM ARCHITECTURE.

LIBRAIRIE DU LIBAN _ RIAD SOLH

SQUARE _ BEIRUT 1968 .

LANE POOLE :

3 - MAHMMADAN DYNSTIES.

DOZY :

4 - HISTORY OF THE ARABS IN SPAIN.

NICHELSON : A. REYNOLD.

5 - ALITERARY HISTORY OF THE ARABS .

CAMBRIDGE . 1962.

WELLS :

6 - ASHORT HISTORY OF THE MIDDLE EAST .

المحتويات

صف حروف ومونتاج
مؤسسة قدسية للخدمات الفنية
اربد قرب الجامعة